الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

قسم علم الاجتماع السياسي و العلاقات الدولية

تخصص تحليل السياسة الخارجية

السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي تجاه روسيا في الفترة من 2000 الى 2017

مذكرة تخرج مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة ماستر في العلوم السياسية

اعداد الطالبة: جابوربي سميرة

اشراف: د. علي ربيج

اعضاء لجنة المناقشة

الاستاذ: علي لوراري **رئيسا**

الاستاذ: علي ربيج **مشرفا**

الاستاذ: حمزة حسام **مناقشا**

الدفعة السابعة

العام الجامعي 2017 – 2018

شكر و عرفان

الحمد لله عز و جل سبحانه الذي مكنني من انجاز هذا العمل

كما اتقدم بجزيل الشكر و الامتنان الى الاستاذ المشرف ربيج علي

و لكل استاذ جد في تلقيني العلم

و كل من ساندني من قريب او بعيد

الى كل موظفي المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية

جابوربي سميرة

الاهداء

اهدي هذا العمل الى:

الوالدين الكريمين حفظهما الله و اطال عمرهما

الى كافة افراد عائلتي

الى اختي العزيزة "منى" لوقوفها الى جانبي و اتمنى لها كل النجاح في حياتها

جابوربي سميرة

الملخص باللغة العربية

موضوع الدراسة, متعلق بالسياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي تجاه روسيا عند تولي الرئيس فلاديمير بوتين مقاليد الحكم في روسيا الاتحادية سنة 2000 الى غاية السنة الفارطة. باعتبار انهما اكبر كيانين من حيث المساحة في اوروبا, و يمثلان قوة اقتصادية اقليمية و عالمية معتبرة, و لهما مكانة و دور مؤثر على الساحة الدولية, بالإضافة الى الجوار الجغرافي الذي يوجه العلاقات و المصالح الاقليمية بينهما.

الاتحاد الاوروبي, له مميزاته الخاصة التي تجعله يقترب في خصوصيته الى وحدة دولية اكثر من كونه اتحادا او تنظيما اقليميا, و له سياساته الخارجية المشتركة و الموحدة في مجالات رئيسية مختلفة, كما تتعرضه تهديدات داخلية و خارجية, و عليه تحديات يستوجب كسبها للحفاظ على مكانته في الساحة الخارجية, و لتعزيز دوره في الحراك الاقليمي و العالمي, ضمن نظام عالمي جديد متعدد الاقطاب.

دائما ضمن السياق الاقليمي و العالمي يؤثر التجاور الاوروبي الروسي على مجموع علاقات الطرفين, و على سياستهما الخارجية العامة مع باقي الاطراف الدولية, بالإضافة الى المسائل الاقتصادية التي لها تداعياتها في تحديد شكل السلوك الخارجي المنتهج لكل طرف تجاه الاخر. هذا السلوك يحكمه ايضا عامل صناعة القرار في روسيا سواء بما تعلق بالبيئة القانونية لها او بالتأثير الشخصي للرئيس فلاديمير بوتين او حليفه ديميتري مدفيديف, الذي يرسم فلسفة السياسة الخارجية و يؤكد معاييرها الخاصة, كما يبرز نقاط قوتها على الساحة الدولية.

لتحليل و فهم السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي تجاه روسيا, يجب العودة الى اهم نقاط مسيرة العلاقات بين الطرفين, كالمجال الاقتصادي الذي يشغل حصة الاسد بينهما في التجارة الطاقوية و امنها, و التبادل الصناعي, او ما يشغل النقاش الدولي مؤخرا و هي العقوبات الاوروبية و الغربية عامة على روسيا. لكن المجال العسكري فيخص مشاريع توسع الحلف الاطلسي نحو الشرق الاوروبي, و تداعيات التدخل الروسي في جورجيا, و الازمة في اوكرانيا و جزيرة القرم, و اخيرا تباينات المواقف الاوروبية و الروسية في القضية السورية. هذه التأزمات تفتح مجال التساؤل للتنبؤ بمستقبل العلاقات بين الطرفين, و لطرح مختلف السيناريوهات التي يمكن ان تتسبب فيها اي مسالة اقليمية او دولية او طرف خارجي ما.

Résumé :

L'étude concerne la politique étrangère de l'UE à l'égard de la Russie, lorsque le président Vladimir Poutine a pris ses fonctions en Russie en 2000 jusqu'à l'année dernier. Ils sont les plus grandes entités en termes d'espace en Europe, ils représentent une puissance économique régionale et mondiale considérable, et ont un rôle influent sur la scène internationale, en plus de la proximité géographique qui dirige les relations régionales et les intérêts entre eux.

L'Union Européenne a ses propres caractéristiques qui la rapprochent dans sa spécificité d'une unité internationale plutôt que d'un syndicat ou d'une organisation régional, et a des politiques étrangères communes et unifiées dans divers domaines clés, elle fait également face à des menaces internes et externes, comme elle a des défis à relever pour maintenir sa position sur la scène étrangère et renforcer son rôle dans la mobilité régionale et mondiale au sein d'un nouvelle ordre mondial multipolaire.

Dans le contexte régional et mondial la proximité entre l'Europe et La Russie affecte les relations globales des deux parties, et leur politique étrangère générale avec le reste des parties internationaux, ainsi que les questions économiques qui ont des implications sur la détermination du comportement extérieur de chaque partie vis-à-vis de l'autre. Ce dernier est également régie par le facteur de prise de décision en Russie, tant sur le plan juridique que sur l'influence personnelle du président Vladimir Poutine ou de son allié Dimitri Medvedev, qui exprime la philosophie de la politique étrangère de la Russie et affirme ses propre normes, ainsi que ses atouts sur la scène internationale.

Pour analyser et comprendre la politique étrangère de l'UE vis-à-vis de la Russie, nous devons revenir sur les points les plus importants du déroulement des relations entre les deux parties. Tels que le domaine économique qui occupe une grande part entre eux dans le commerce et la sécurité de l'énergie, et les échanges industriels. Ou ce qui concerne le récent débat international, à savoir les sanctions européennes et occidentales en général contre la Russie. Mais la sphère militaire est liée à l'expansion de l'OTAN dans l'est européen, aux conséquences de l'intervention russe en Géorgie, à la crise en Ukraine et en Crimée. Et enfin les différences de positions européennes et Russe sur la question Syrienne. Ces crises ouvrent la question de la prédiction de l'avenir des relations entre les deux parties, et de soulever les différents scénarios qui peuvent être causés par tout parti régional ou international ou externe.

Summary

The study concerns the EU's foreign policy towards Russia when president Vladimir Putin took office in the Russian federation in 2000 until the last year. As they are the bigest two contries in terms of space in Europe, and representing a significant regional and global economic power, also they have an influential role on the international scene, in addition the geographical proximity, which directs regional relations and interests between them.

The European Union, has its own characteristics that make it closer to an international unit rather than a union or a regional organization, it has joint and unified foreign policy in various major fields, and it also faces internal and external threats, and the challenges that it must maintain its position in the international arena, and make strength its role in the regional and global policy, within a new multipolar world order.

Always within the regional and global context, the Russian-European neighborhood influence the total relations between them and their foreign policy with the rest of the countries, the repercussions of economic issues were focused on determining the form of foreign policies adopted by each side towards the other. This behavior is also governed by the decision-making factor in Russia, both in terms of the legal environment or the personal influence of president Vladimir Putin or his ally Dimitry Medvedev, in the political directions of Russia, which paints its foreign policy philosophy and affirms its own standards, also highlights its strengths on the international scene.

To analyse and understand the EU's foreign policy towards Russia, we must return to the most important points of the course of relations between the two parties. Such as the economic field, which occupies a larg share between them in energy trade and security, and industrial exchange, Or what concerne the recent international débate namely European and Western sanctions in général against Russia. But the military sphere is related to NATO's expansion into the European est, the consequences of Russia intervention in Georgia, the crisis in Ukraine, and crimea. And finally the differences in European and Russian position in the Syrian issue. All these crises open up the question of predicting the future of relations between the two parties, and to raise the various scenarios that can be caused by any regional or international crisisor by an external party.

خطة الدراسة

مقدمة

فصل تمهيدي: الاطار المفاهيمي و النظري للسياسة الخارجية

المبحث الاول: مفهوم السياسة الخارجية

المطلب الاول: تعريف السياسة الخارجية

المطلب الثاني: وسائل السياسة الخارجية

المطلب الثالث: محددات السياسة الخارجية

المبحث الثاني: النظريات في تحليل السياسة الخارجية

المطلب الاول: النظرية الواقعية

المطلب الثاني: النظرية الليبرالية

المطلب الثالث: النظرية البنائية

المبحث الثالث: المقاربات التفسيرية في السياسة الخارجية

المطلب الاول: المقاربة الجيوسياسية

المطلب الثاني: مقاربة الدور و الدور الاقليمي

المطلب الثالث: المقاربة الوظيفية

الفصل الاول: معالم السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي

المبحث الاول: بيانات تعريف الاتحاد الاوروبي

المطلب الاول: مراحل تشكيل الاتحاد الاوروبي

المطلب الثاني: التنظيم المؤسساتي للسياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي

المطلب الثالث: عناصر يختص بها الاتحاد الاوروبي كفاعل دولي

المبحث الثاني: محاور السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي

المطلب الاول: السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي

المطلب الثاني: السياسة الخارجية الامنية المشتركة للاتحاد الاوروبي

المطلب الثالث: السياسة الخارجية الاقتصادية الموحدة للاتحاد الاوروبي

المبحث الثالث: البعد العالمي للاتحاد الاوروبي

المطلب الاول: التهديدات و التحديات الدولية التي تواجه الاتحاد الاوروبي

المطلب الثاني: حصيلة اشغال الاتحاد الاوروبي و دوره في العالم

المطلب الثالث: ترسيخ الاتحاد الاوروبي لنظام عالمي تعددي جديد

الفصل الثاني: صورة روسيا الاتحادية بالنسبة للاتحاد الاوروبي

المبحث الاول: محددات شأن روسيا الاتحادية بالنسبة للاتحاد الاوروبي

المطلب الاول: الجوار الجغرافي لروسيا الاتحادية مع الاتحاد الاوروبي

المطلب الثاني: اقتصاد روسيا الاتحادية و تكامليته مع اقتصاد الاتحاد الاوروبي

المطلب الثالث: جيوسياسية روسيا الاتحادية و اثارها على علاقاتها مع الاتحاد الاوروبي

المبحث الثاني: صناعة القرار في السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية

المطلب الاول: البيئة العامة لصناعة القرار في سياسة روسيا الاتحادية

المطلب الثاني: تأثير شخصية الرئيس فلاديمير بوتين على التوجه السياسي لروسيا الاتحادية

المطلب الثالث: تكامل شخصية الرئيس ديميتري ميدفيديف للرئيس فلاديمير بوتين

المبحث الثالث: منطلقات السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية من منظور الاتحاد الاوروبي

المطلب الاول: نقاط قوة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية التي تضعف الاتحاد الاوروبي

المطلب الثاني: فلسفة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية في مفهوم الاتحاد الاوروبي

المطلب الثالث: معايير نظام العلاقات بين روسيا الاتحادية و الاتحاد الاوروبي

الفصل الثالث: المسيرة المعقدة لعلاقات الاتحاد الاوروبي مع روسيا الاتحادية

المبحث الاول: مآلات العلاقات الاقتصادية بين الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية

المطلب الاول: امن الطاقة و الاعتماد المتبادل غير المتكافئ

المطلب الثاني: مجموعة الثمانية او السبعة للدول الصناعية الكبرى

المطلب الثالث: الطبيعة المزدوجة لعقوبات الاتحاد الاوروبي على روسيا الاتحادية

المبحث الثاني: مؤشرات التوتر العسكري في علاقات الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية

المطلب الاول: جولات التوسيع لحلف شمال الاطلسي

المطلب الثاني: اشكالية مجموعة الدول المستقلة (حالة جورجيا و اوكرانيا)

المطلب الثالث: تباين المواقف و النجاحات في الازمة السورية

المبحث الثالث: مشوار علاقات الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية على مفترق الطرق

المطلب الاول: استدراك الوقت الضائع و خلق قطب منافس لأمريكا

المطلب الثاني: تغييرات في المراوغة ضمن مباريات باردة

المطلب الثالث: الفراق بالتراضي و الدروس المحصلة

الخاتمة

مقدمة الدراسة

تمهيد

يهتم علم السياسة الخارجية بمعرفة الخصائص المميزة للسياسات الخارجية للوحدات الدولية, عادة السياسة التي تتبناها هذه الاخيرة لا تأتي من فراغ, انما هي انعكاس لاعتبارات موضوعية و ذاتية خاصة بالوحدة. و يقوم التحليل العلمي للسياسة الخارجية للاتحادات الدولية على اساس انها سياسة نمطية, يبحث فيها عن الفعل الثابت و النسقي و المتكرر, هذه الوحدة هي الاتحاد الاوروبي الذي يتحدث و يتصرف بطريقة نسقية و تكرارية يمكن رصدها و التنبؤ بها.

الاتحاد الاوروبي تشكل في 1992 عقب انتهاء الحرب الباردة, و ظهور نظام دولي جديد, عندها تشجع الطموح الاوروبي على التحرك السريع و القوي لتعزيز الوجود الاوروبي في العالم, لمواكبة تطورات الاحداث العالمية التي برزت فيها كثافة و سرعة الاتصالات السياسية و الدبلوماسية بين الدول, خاصة بعد تحرر معظم دول اوروبا الشرقية من المنظومة السوفيتية. و هو الان فاعل دولي كبير في الساحة الدولية, له كل صفات القوة الدولية (الصناعة, التجارة, التكنولوجيا, الثقافة, المال), و له ادارة متمكنة تسطر مجموعة من السياسات التي تغطي اهم قضايا الحراك الدولي المعاصر التي تدخل ضمن مجاله الاقليمي و الدولي. و في المجال العسكري له استراتيجيات و هياكل و اجهزة يعتمد عليها. كما له برنامج نشاط مكثف متواصل مع شبكة واسعة من العلاقات مع جميع بلدان العالم, و مع منظمات اقليمية و دولية عديدة, بما يضمن الازدهار و الاستقرار للدول و لشعوبها.

و في سياق العلاقات, اتجه الاتحاد الاوروبي بحكم الجوار الجغرافي الاوروبي, و التقارب المبدئي لمفهوم القوة العالمية و ممارستها, الى التقرب من روسيا الفدرالية التي تأسست في 1991 على انقاض انهيار الاتحاد السوفيتي و التي ورثت عنه الازمة بكل ابعادها, و استمرت الانتكاسة طول فترة حكم الرئيس بوريس يلتسن. حاول الاتحاد الاوروبي في التسعينيات مد يد العون لروسيا لإخراجها من ازمتها, لكن كان ايضا من باب احتواءها و من باب نشر الرسالة الليبرالية الرأسمالية الغربية. و بما انها كانت تملك مقدرات كبيرة من ناحية المساحة و الموارد و الارث العسكري السوفيتي, تم الاتفاق بين الطرفين على اعادة صياغة علاقات جديدة.

هذه العلاقات لم تكن يوما مستقرة, فمنذ التاريخ كان هناك تناوب بين فترات التوتر و التقارب. بالرغم من ان اوروبا وروسيا ليستا مجرد جيران جغرافيين, انما هما جزء من شعوب ذات جذور و ثقافة اوروبية, بل و رؤية مشتركة للعالم كذلك. لكن الاحكام المسبقة و التحيزات المكررة نمطيا, و المتمركزة في الدهنيات المشتركة للشعبين, تحول دون نجاح مشاريع التقارب.

بعد الحرب الباردة كانت الدول الاوروبية تنظر لروسيا بنوع من الغرور و التكبر, و لم تعطيها المكانة اللائقة بها, فعاملوها على انها دولة مريضة في فترة نقاهة بحاجة الى المساعدة لإعادة بناء نفسها, و في نفس الوقت ارادوا غرس الاخلاق الديمقراطية و المعايير الغربية فيها.

لكن بتولي بوتين السلطة في افريل 2000 انتهج استراتيجية تهدف الى اصلاح المنظومة الداخلية للدولة من خلال دعم السلطة المركزية, و تشديد قبضتها على المؤسسات الاقتصادية و السياسية و تقوية قدراتها الاستراتيجية. انعكس هذا بوضوح على سياسة روسيا الخارجية التي اعلنت على لسان رئيسها, ان سنوات الضعف و المهانة قد ولت و طلب من الغرب معاملة روسيا باحترام و عدل, كقوة لها مكانتها و دورها العالمي. و اتجهت روسيا منذ بداية القرن الواحد و العشرين الى بناء علاقات شراكة مع عدة دول في العالم, و الاهتمام بالقضايا الدولية كالإقليمية, مع الحرص على اداء دور الوسيط العادل في حل بعض الازمات الخارجية المتعلقة بها, بما تقتضيه مصالحها وفق سياسة خارجية مستقلة تماما عن الغرب و عن الرسائل الايديولوجية, من اجل استرجاع مكانة و هيبة روسيا في الساحة الدولية.

اما علاقاتها مع الاتحاد الاوروبي فهي تخضع لبرنامج مسطر, ينظم مستويات مختلفة من اللقاءات و الشراكات, لكن في العقدين الاخيرين كان ينظر اليها على انها دولة عادية. و الحوار الروسي الاوروبي كان يبدو في بعض المرات شاقا و صعبا. ربما يرجع ذلك الى ان كل طرف يرى نفسه عنصرا محوريا في هذا التعاون, و كلا الطرفين يرغبن من جهة في التحول الى الشراكة و التعاون الفعال, و من جهة لا يعطي اي طرف الاعتبار الكافي لطريقة عمل الاخر او لمعاييره و مبادئه. فبالرغم من ان روسيا لا تبحث على الانضمام الى الاتحاد الاوروبي, إلا ان نهج المفوضية الاوروبية تجاهها يقوم على نفس مبدأ التقارب التشريعي و المعياري الذي يتعلق بالبلدان الاعضاء في الاتحاد الاوروبي او الدول المجاورة له. هذا لا يعني ان مجالات التعاون بين الاتحاد الاوروبي و روسيا ليست كثيرة و متنوعة, بالعكس فالاتحاد هو شريك اقتصادي اساسي لروسيا و هي بدورها شريك مهم له, و خاصة مورده الرئيسي للطاقة.

لكن اليوم تدهورت العلاقات بين موسكو و بروكسل و وصلت الى ذروتها, و اصبح الاتحاد الاوروبي يرى شرعيته الاقتصادية تهتز, بينما لا تزال روسيا تعاني من عدم وجود شرعية ديمقراطية. كما يفتقر كل طرف الى وجود درجة كافية من الثقة في الاخر, و الى الكثير من التعارف المتبادل بينهما. لتحقيق تقارب وظيفي و مؤسسي واسع النطاق. و الان يبدو ان الدول الاوروبية لا يوجد لديها خيار سوى تقبل الوضع الذي يرسم علاقات محدودة مع روسيا.

1/ مبررات و دوافع اختيار موضوع الدراسة

اسباب موضوعية

* التهديدات المحيطة بالاتحاد الاوروبي من كل النواحي, التي تشغل قادته و تهدد وجوده و استمراره. بالإضافة الى التوترات الناجمة عن العقوبات المفروضة من الاتحاد الاوروبي على روسيا, و المغامرة بأمن الطاقة في اوروبا. يعطينا الرغبة في محاولة الكشف عن كواليس الاتحاد الاوروبي, و اذا ما كان يخضع هذا الاخير الى إجراءات و قوانين حقا, ام انه لا يخلو من الجانب الكاريزمي و النفسي لبعض قادة دوله التي تسيطر على صناعة القرار بداخله.

* الدخول القوي لروسيا على منصة تسوية الازمات الدولية مؤخرا, سواء ما تعلق بالملف الايراني او الملف السوري و تعقيداته الكبيرة. و النجاحات التي حققتها تجعلها تتصدر الساحة الدولية, و اصبح من الفضول العلمي محاولة فهم الفلسفة السياسية لهذه الدولة, و رؤيتها المختلفة عن الغرب لمفهوم العلاقات الدولية, و لمفهوم حل الازمات في العالم.

* تدخل روسيا في جورجيا 2008 لحماية مصالحها و مواطنيها الذي ميزته السرعة و الدقة, و تدخلها مرة اخرى منذ 2013 في شرق اوكرانيا و ضم شبه جزيرة القرم الى اراضيها بداعي الحفاظ على مواطنيها و امنها و مصالحها ما تسبب لها في حرب ضمنية مع الغرب, يعطي الرغبة في معرفة الاسباب الخفية لسلوك كل طرف, و التنبؤ بمستقبل النظام العالمي الجديد. و هل سيكون فعلا متعدد الاقطاب, ام ستبقى الهيمنة الغربية تأخذ الصدارة كما في السابق.

اسباب ذاتية

* بالطبع اول ما يثير الفضول الذاتي في هذه الدراسة هي: معرفة اذا ما كان الاتحاد الاوروبي سيصمد امام هذا الكم الهائل من التهديدات المحيطة به, ام انه يواجه بداية ازمة وجودية لن ينجو منها.

* العودة القوية لروسيا في ظل عزلة غربية لا سابق لها, جعلتنا نهتم بالموضوع لمعرفة ما اذا كانت هناك اطراف ثالثة ستتحرك لفرض العدل و المساواة بين الجميع في هذا النظام العالمي, ام انه حكر على الغرب, و كل من يتجرا على فرض وجوده سيقابل بالرفض و العزلة.

* اما فيما يتعلق بالرئيس الروسي فلاديمير بوتين, فشخصه يثير الفضول, و الكل على ما اظن يهتم بمعرفة الاستراتيجيات التي انتهجها للصعود بروسيا بهذه الطريقة على سلم العلاقات الدولية, و الجرأة و الاصرار على مواقفه في القضايا الخارجية بكل استقلالية لتلبية مصالح روسيا قبل كل شيء.

2/ اهمية الدراسة

تتجلى اهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على منظومة الاتحاد الاوروبي و روسيا كفاعلين دوليين مهمين على الساحة الدولية, من جهة تفسر هذه الدراسة كيف استطاع الاتحاد الاوروبي و في فترة وجيزة ان يحتل صدارة الفواعل الدولية الكبرى على الساحة الدولية, من خلال سياسات تعاون و شراكة مكثفة مع اطراف قريبة و بعيدة. و من جهة اخرى تركز الدراسة على العودة القوية و السريعة لروسيا على الواجهة الدولية, من خلال نجاحات داخلية و خارجية. ثم في الخطوة الثانية التطرق الى ما الت اليه العلاقات بين الطرفين بعد ما كانت برامج الشراكة و التعاون تملا طاولة الحوار بينهما, و معرفة الاسباب الحقيقية للقطيعة في العلاقات التي يعيشها الطرفين, و التي تشير حتما الى دخول النظام العالمي في مرحلة جديدة ستؤكدها و توضحها بدقة السنوات المقبلة.

3/ المشكلة البحثية

تجدر الاشارة هنا الى ان بداية العلاقات بين الاتحاد الاوروبي و روسيا كان متزامنا مع ميلاد الطرفين بعد نهاية الحرب الباردة, و التي كانت مرتبطة الى حد كبير بتطورات وضعهما الداخلي العميق. روسيا كان اقتصادها يمر بمرحلة انتقالية من شيوعية دامت سبعون عاما الى الديمقراطية و السوق الحرة. اما الاتحاد الاوروبي فكان في مرحلة هضم لموجات التوسع, و كان يعمل لأجل تأكيد وجوده كقطب قوي في نظام العلاقات الدولية بعد الحرب الباردة. هذه التغيرات البنائية كانت لها انعكاساتها على تحفظ مضمون علاقات الشريكين. و كان لأمثلة التعاون الناجح في ملف كالينينغراد, و الادراك الروسي لسياسة الجوار الجديد للاتحاد الاوروبي, الدور الكبير في توضيح انعكاسات هذه التطورات على علاقات الشريكين. فمنذ

البداية كان المظهر السياسي له دوره في الحوار الثنائي بالرغم من ان القضايا الاقتصادية هي التي تعتني بتحديد خصائص علاقات الطرفين, و سيكون لها الدور الكامل لرسم مستقبل هذه العلاقات.

من هذا المنطلق ستحاول هذه الدراسة البحثية مناقشة الاشكال التالي:

ما مدى هيمنة منطق القيم السياسية على منطق المصالح الاقتصادية في سياسة الاتحاد الاوروبي الخارجية تجاه روسيا, التي كان من المفروض ان تطور مجال التعاون الملموس بين الشريكين, الذي يقوم على مبدأ الكل رابح (اقتصاديا) و الكل ناجح (سياسيا) ؟.

و في الاجابة عن المشكلة البحثية السابقة يتوجب علينا تفكيكها الى **اسئلة فرعية** تكون كالتالي:

- ما هي مقومات و معضلات السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي ؟.
- هل السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي استجابت للطموح الروسي في توازن العلاقات بين الطرفين ؟.
- هل القطيعة هي محصلة علاقات الاتحاد الاوروبي مع روسيا ام هناك مظاهر اخرى للتعاون بين الطرفين في المستقبل ؟.

4/ فرضيات الدراسة

ان محاولة الاجابة عن مجموعة التساؤلات هذه تجرنا الى وضع مجموعة من الفرضيات التي سيتم اخضاعها الى الدراسة و التحليل للتأكد من مدى صحتها.

الفرضية الرئيسية:

على افتراض ان دول النظام الاوروبي ترى ان كل الدول ترغب في الانضمام الى الاتحاد الاوروبي للاستفادة من مزاياه, و ان استراتجيتهم تجاه روسيا تهدف الى تحويلها الى دولة اوروبية, و إلا فالتعايش معها مستحيل في ظل اختلافها. و ان مفهوم التطور المشترك الذي يحافظ على النظام الاوروبي الحالي, و يتيح الفرصة لروسيا لتطوير نظامها الخاص, و الذي يمكن ان تبلوره الشراكة الاقتصادية المباشرة او المؤسساتية الدولية بين الطرفين, هي مؤجلة من اجل السياسة.

الفرضيات الفرعية:

* على افتراض ان قوة السياسة الخارجة للاتحاد الاوروبي تكمن في وحدة قراراتها و مواقفها تجاه عدة قضايا اساسية خارجية في المجال السياسي او العسكري او الاقتصادي, و ضعفها يكمن في مواجهة عدة تهديدات يمكن لها ان تعيق هذا التكامل و الاندماج.

* على افتراض ان هناك تباين في الاهداف بين البرنامج السياسي الخارجي للاتحاد الاوروبي المنطلق من مجموعة معايير خاصة بالدول الاعضاء فيه و بين فلسفة السياسة الخارجية الروسية و طموح شخص الرئيس الروسي في خلق تعاون و شراكة واسعة الحدود و المجالات و اكثر عدلا بين الطرفين.

* على افتراض ان لغة العقوبات الاقتصادية المتهاطلة على روسيا من طرف الاتحاد الاوروبي ردا على الازمات المتسببة فيها هذه الاخيرة من استخدام للقوة العسكرية في شرق اوكرانيا و ضم جزيرة القرم او مساعدتها لصمود نظام بشار الاسد في سوريا, قد اضعفت الجانب الحيوي و الوحيد في العلاقات بين الشريكين, يمكننا القول ان القطيعة هي محصلة العلاقات الثنائية اليوم, و يصعب في ظل هذه التوترات التنبؤ بمظاهر اخرى للتعاون بين الطرفين في المستقبل القريب.

5/ المناهج و المقتربات المستعملة في الدراسة

* **النظريات:** تم التركيز في هذه الدراسة على النظرية الواقعية: القائمة اساسا على متغير المصلحة و القوة و ان المجتمع الدولي عبارة عن ساحة للصراع لتلبية اكبر قدر ممكن من المصالح القومية للدول, مما يؤثر على مصالح الدول الاخرى, و هو ما كان مرادفا للسلوك الروسي في جورجيا و حتى في اوكرانيا و تداعياته على المنطقة ككل. و النظرية الليبرالية: التي تأكد على مبدأ التبادل و التعاون بين الدول, و هو ما يمثل شعار الاتحاد الاوروبي في تكامله الداخلي, كما يمثل ايضا مضمون الشراكة الروسية الاوروبية التي تتجلى فيها اهمية المكاسب المطلقة للطرف الاوروبي على حساب الطرف الروسي. و اخيرا النظرية البنائية: التي تقوم على دور القيم المشتركة للمجتمع المحلي و المجتمع الدولي في تحديد السلوك الخارجي للدول, و هذا ما تعكسه السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي التي لا تحبذ التعامل مع الانظمة غير الديمقراطية المخالفة لقيمها.

* **المقتربات:** اما موضوع الدراسة فقد تم التقرب منه من باب مدى اهمية العامل الجيوسياسي: الذي يقوم على تنافس الدول على مجالات و اقاليم جغرافية حيوية تساعدها على تحقيق مصالحها القومية, و هو

بالضبط ما يحدث بين الاتحاد الاوروبي و روسيا على اقاليم اوروبا الشرقية. و عامل الدور: الذي يشير الى ادراك صانع القرار في السياسة الخارجية لمكانة بلاده في النظام الدولي, و بالطبع هذا ينطبق على وحدات قوية كالاتحاد الاوروبي و روسيا و مكانتها الاقليمية و الدولية. و اخيرا العامل الوظيفي: الذي يفسر حل الصراعات المتسببة فيها الدول دون الشعوب بتكثيف التفاعلات التكاملية من خلال المنظمات الوظيفية, و كل مستجد يفرزه التكامل يجب ان تتبعه خطوة اندماجية متقدمة حتى نصل الى الانصهار البنيوي, و هذا بالضبط شكل الاتحاد الاوروبي و ما يطمح له الحلم الروسي في تحقيق التكامل الاوراسي.

* **المناهج:** كما استعمل في طرح هذه الدراسة البحثية المناهج التالية

التاريخي: استعمل هذا المنهج لرصد مختلف وقائع المراحل التي مرت بها العلاقات القائمة بين الاتحاد الاوروبي و روسيا و خاصية كل مرحلة التي ترسمها الاحداث المؤثرة في سياقها من عام 2000 الى غاية العام الجاري, مع التطرق الى ما قبل عام 2000 عند الحاجة.

الوصفي: استعمل هذا المنهج للملاحظة, الوصف, البيان, و التفسير للمتغيرات و الامكانيات التي تحدد مسار و توجه سياسة كل من الاتحاد الاوروبي و روسيا تجاه بعضهم البعض, و فهم مواقف كل طرف في قضايا اقليمية و دولية بارزة, و انعكاساتها على مضمون العلاقات السارية بين الطرفين, و استخلاص التطورات الحاصلة فيها.

التحليلي: استعمل هذا المنهج لرصد اهم مؤشرات السياسة الخارجية لكل من الاتحاد الاوروبي و روسيا باعتبارها ظاهرة من ظواهر السلوك الخارجي للوحدات الدولية, ثم تحليل محتوى هذه المؤشرات للتوصل الى معرفة اسباب هذه الظاهرة, العوامل التي تتحكم فيها, استخلاص النتائج, و التنبؤ بالسلوك المستقبلي لكل طرف تجاه الاخر.

6/ الاطار الزماني و المكاني للدراسة

* **اطار الزمان:** هنا ركزت الدراسة على العلاقات بين الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية بعد انقضاء فترة التكوين الذاتي لكل منهما, بمعنى ابتداء من تسلم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الحكم و دخول استراتيجياته الجديدة حيز التطبيق, و التي كانت من عام 2000 الى غاية 2017.

* **اطار المكان:** تركز الدراسة على الحيز المكاني المنحصر بين الاتحاد الاوروبي و دول اوروبا الشرقية عامة, و دول مجموعة الكومنولث خاصة, و تحديدا (جورجيا, اوكرانيا, دول البلطيق, بولندا, التشيك), كما

تقف ايضا الدراسة على بعض الدول العربية كسوريا و تركيا و ليبيا, و لا يخلو المجال المكاني ايضا من التطرق لبعض البلدان في اسيا و امريكا الشمالية و شبه الجزيرة العربية و الشمال الافريقي.

7/ الدراسات السابقة

* كتاب عنوانه The Foreign Policy of the European Union (Assessing Europe's Role in the Wold) من تاليف فيديريكا بيندي الصادر عن معهد بروكينغز في طبعة 2010 الذي يتناول السياسة الخارجية الاوروبية و مدى نجاح الاتحاد الاوروبي في فرض نفسه كفاعل دولي مهم على الساحة الدولية, بالتطرق الى ماضيه و حاضره, و الى توجهه المسطر نظريا و الظاهر في ممارساته الدورية لسياسته الخارجية, مع الاشارة الى حساسية جزء من علاقاته الخاصة و المؤثرة مع بعض البلدان و المناطق خاصة في جواره العام.

* دراسة بعنوان Les relations UE-Russie : Moscou pose ses conditions من تأليف لوران فيناسييه لمركز الدراسات و الابحاث Notre Europe الصادرة في مارس 2006 و التي تتناول بدورها اثر الاختلافات السياسية على العلاقات الاوروبية الروسية, مع التصور الايجابي لتطور الشراكة بين الطرفين التي يجب حسب رأي الباحث ان تركز اكثر على التعاون الجيوسياسي في بعض مناطق الجوار الخاصة, كما ترى ضرورة ملحة لتقاسم المسؤولية في حل الازمات الاقليمية من اجل تحقيق الامن الجماعي.

* مذكرة ماستر في الادارة العامة بعنوان La Russie et L'Union Europienne – histoire, état et perspectives du partenariat. للمدرسة الوطنية للإدارة بفرنسا لسنة 2003-2005, هذه الدراسة تشرح مدى تعدد مجالات الحوار بين الاتحاد الاوروبي و روسيا مع الاشارة الى غلبة الجانب السياسي على هذا الحوار, و البحث في مصادر الخلافات التي ميزت علاقات الطرفين منذ التاريخ و التي تؤثر بشكل مباشر على الشراكة الاقتصادية بينهما.

8/ صعوبات الدراسة

ان محدودية الكتابات بخصوص السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي كوحدة دولية من وحدات النظام العالمي تظهر بشكل واضح في الكتابات العربية, التي كانت تركز على الاتحاد كمنظمة اقليمية و على مؤسساته, هياكله, تكامله الاقتصادي الداخلي, او تحدياته, و احيانا سياساته الخارجية الامنية فقط, ضمن ورقتها النظرية دون تحليل سياسي. مثلا: كالدور الذي تلعبه كل من المانيا و فرنسا في توجيه سياسة

الاتحاد, و في التأثير على قراراتها من خلال طريقة التصويت الخاصة بداخل الاتحاد. اما باللغة الاجنبية فمعظمها على مواقع التجارة الالكترونية غير المجانية. و الكتابات القليلة المتوفرة في المكتبة لم يعد مضمونها يتماشى مع التطورات الاخيرة للأحداث الدولية. اما عن الجانب الروسي بالعكس هناك كتابات عديدة, فقط يجب اخذ الوقت الكافي لتصفية الاخبار الصحفية العابرة من الكتابات التحليلية لمراكز البحوث, و التقارير العلمية, و ايضا المقالات الخاصة ببعض الدارسين و السياسيين الغنية بالمعلومات المفيدة جدا لموضوع الدراسة.

9/ <u>تقسيم الدراسة</u>

الاجابة على الاشكالية المطروحة ستكون في فصل نظري و ثلاث فصول كالتالي

* الفصل التمهيدي: هو تأصيل نظري يركز على وسائل و محددات السياسة الخارجية المرتبطة بتحديد السلوك السياسي الخارجي للاتحاد الاوروبي و روسيا, و الى النظريات و المقاربات المفسرة لسياستهما.

* الفصل الاول: ينطلق من بحث دور الاتحاد الاوروبي من خلال التعريف بالمنظومة, و التطرق الى اهم السياسات الخارجية المسطرة في برنامج عمله التكاملي, و اخيرا الى التهديدات التي تواجهه في الداخل و الخارج, ثم الطموحات العالمية المستقبلية التي يريد تحقيقها.

* الفصل الثاني: تم فيه تحديد الواقع الروسي بالنسبة للاتحاد الاوروبي من خلال اهمية الجوار الجغرافي و التكامل الاقتصادي, و من خلال المنظور الاوروبي لبيئة صناعة القرار في روسيا, و اخيرا الى النقاط المهمة في السياسة الخارجية لروسيا التي يعتني بها الاتحاد الاوروبي بحكم تأثيرها على علاقتهما.

* الفصل الثالث: يتناول هذا الفصل بيئة العلاقات الاقتصادية المتأزمة مؤخرا بين روسيا و الاتحاد الاوروبي, و التوترات الحاصلة في مستعملات القوة العسكرية و تهديداتها على الطرفين, و اخيرا الى المؤشرات التي تتنبأ بمستقبل هذه العلاقات.

الفصل التمهيدي: الاطار المفاهيمي و النظري للسياسة الخارجية

المبحث الاول: مفهوم السياسة الخارجية

- تعريف السياسة الخارجية
- وسائل السياسة الخارجية
- محددات السياسة الخارجية

المبحث الثاني: النظريات في تحليل السياسة الخارجية

- النظرية الواقعية
- النظرية الليبرالية
- النظرية البنائية

المبحث الثالث: المقاربات التفسيرية في السياسة الخارجية

- المقاربة الجيوسياسية
- مقاربة الدور و الدور الاقليمي
- المقاربة الوظيفية

الفصل التمهيدي: الاطار المفاهيمي و النظري للسياسة الخارجية

المبحث الاول: مفهوم السياسة الخارجية

انه من الصعب دراسة السياسة الخارجية بشكل علمي و موضوعي, و تحليل ظواهرها, لان هذه الاخيرة كباقي العلوم الانسانية تمارس في محيط مشوش و غير ثابت, ناتج عموما, عن تصرفات السياسيين و مختلف المؤسسات التي ينشطون فيها. و عليه, فان تنظير السياسة الخارجية لم يبلغ بعد التراكم المعرفي الكافي لوضع نظريات دقيقة, و يرجع الدارسين هذا الاشكال, الى اختلاف الوحدات المعتمدة في تحليل السياسة الخارجية, او الى اختلاف محددات دراستها, او ربما الى اختلاف جوانب التحليل لدى كل باحث في تفسير مختلف ظواهرها, و يظهر هذا الاختلاف حتى في ايجاد تعريف دقيق للسياسة الخارجية.

المطلب الاول: تعريف السياسة الخارجية

عند الدول ذات السيادة, نفرق بين نشاطها داخل اقليمها و هو ما يعبر عنه بالسياسة الداخلية, و نشاطها خارج اقليمها و هو ما يعرف بالسياسة الخارجية, هذه الاخيرة تطور شكلها منذ الحرب العالمية الثانية, فبعد ان كان محتواها يدور حول فكرة الامن القومي, اصبحت في الوقت الحالي متعددة الفروع و الاشكال التي تخص كافة مجالات حياة المجتمعات, و مع تزايد الفواعل الدولية و تعدد القضايا العالمية زاد الاهتمام بالسياسة الخارجية و زادت ظواهرها تعقيدا. [1]

فمثلا لو ركزنا على موضوع العمل السياسي الخارجي, فان كل سلوكيات الدولة التي تمارسها خارج اقليمها تدخل في حيز السياسة الخارجية, لكننا نجد بعض الممارسات التعاقدية التي تقيمها الدولة مع بعض الاطراف الخارجية من غير اشخاص القانون الدولي العام لا تدخل ضمن السياسة الخارجية او ضمن تزايد الاعتماد المتبادل. ايضا في الوقت الحالي اصبحت بعض التخطيطات في السياسة الداخلية للدولة تعطي انعكاسات دولية معتبرة مما يمزج السياسة الداخلية بالسياسة الخارجية لحد كبير. اما لو اخدنا بعين الاعتبار اطراف التعامل في السياسة الخارجية, فإننا نربط هذا النشاط و التفاعل بالوحدات

[1]- حسين بوقارة, **السياسة الخارجية, دراسة في عناصر التشخيص و الاتجاهات النظرية للتحليل**, دار هومة, الجزائر, 2012 , ص. ص. 13- 18.

السياسية المستقلة, و هنا نستثني نشاط بقية الفواعل التي اصبحت تتمتع بالشخصية القانونية الدولية, و كذلك نشاط بعض الاشخاص الطبيعيين الذين لهم دور فعال في النظام الدولي يفوق دور بعض الدول المستقلة.

ففي محاولة تعريف السياسة الخارجية نجد هناك ثلاث مجموعات:

المجموعة الاولى: يعرفون السياسة الخارجية على انها ذلك النشاط الذي تمارسه الاجهزة السلطوية بشكل منظم و مقنن من اجل تحقيق اهداف و غايات مسطرة في المحيط الدولي. و من رواد هذه المجموعة نجد "جيمس روزنو" و "محمد السيد سليم".

- "جيمس روزنو": يرى السياسة الخارجية على انها تلك التصرفات السلطوية التي تمارسها الحكومات من اجل ابقاء او تغيير وضع معين في الساحة الدولية بطريقة تخدم الاهداف الوطنية المسطرة.
- "محمد سليم": يعرف السياسة الخارجية على انها: " برنامج العمل العلني الذي يختاره الممثلون الرسميون للوحدة الدولية من بين مجموعة البدائل البرنامجية المتاحة من اجل تحقيق اهداف محددة في المحيط الخارجي. " [1]

و التعريفان وجهت لهما انتقادات مست النشاط السياسي الخارجي و مجاله او الفواعل التي تمارسه, ثم ان السياسة الخارجية لا يمكنها ان تقوم على الدقة و الاحكام كالسياسة الداخلية, و هذا راجع لتعدد المتغيرات الغير ظاهرة في المحيط الدولي و لتطوره السريع و عدم ثباته, فالتكهن للمدى القصير ممكن اما للمدى المتوسط او الطويل فهذا مستحيل.

المجموعة الثانية: يعرفون السياسة الخارجية بعيدا عن الحدود الاجرائية,

- "افانس" و "نيونهان يرون" ان: " السياسة الخارجية هي ذلك النشاط المتمثل في افعال و ردود افعال و تفاعل الدول و الفواعل. "
- اما "ماكقوان": فيعرف السياسة الخارجية على انها: مجموعة السلوكيات التي تتفاعل من خلالها المجتمعات المنظمة مع المحيط الخارجي و الاستفادة منه.

فبالرغم من توسع مجال السياسة الخارجية في هاذين التعريفين, إلا ان الانتقاد هنا ركز على صعوبة تحديد وحدات و فواعل السياسة الخارجية, مما يجعلها ظاهرة معقدة يصعب تنظيرها علميا.

[1]– محمد السيد سليم, **تحليل السياسة الخارجية**, ط 2, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, 1998, ص. 12.

المجموعة الثالثة: نظرا للتناقض و الابهام الذي ميز معظم تعريفات السياسة الخارجية, نجد ان اي دارس لهذا الميدان يعتمد تعريفا يتلاءم و توجهاته المنهجية و العلمية عن طريق جمع الخصائص المشتركة لظاهرة السياسة الخارجية, و نجد هنا تعريف

"حسين بوقارة": " السياسة الخارجية تتمثل اساسا في تلك الافعال و ردود الافعال, و المواقف العلنية و الضمنية, التي تصف و تصيغ مجموعة من الاهداف و الاولويات و الاجراءات, التي توجه سلوك الدول في علاقاتها ببعضها البعض, او في علاقاتها بالفواعل الدولية الاخرى انطلاقا من النسق الفكري و العقائدي الذي تؤمن به, فهذا النسق الفكري يساعد في تحديد طبيعة و محتوى و توجه السياسات الخارجية للدول, و هو الذي يرسم بدقة ادوارها في البيئة الخارجية." [1]

و اذا ما اعتمدنا على هذا النسق الفكري يمكن تصنيف السياسات الخارجية الى:

- حسب الاجراءات التي تركز عليها عملية صنع القرار في السياسة الخارجية, و من الناحية الشكلية, هناك سياسات خارجية ديمقراطية و اخرى تسلطية, ففي الاولى عملية صنع القرار تمر بمؤسسات منتخبة تناقش و تتابع القرار, و هذا الميكانيزم يعمل على تقسيم مسؤولية تحديد غايات و اولويات السياسة الخارجية على عديد الهيئات, لتفادي البدائل غير عقلانية. اما التسلطية, و بالرغم من وجود مؤسسات دستورية و احيانا مؤسسات منتخبة لكن وجودها يبقى رمزي فقط, فإنها تتسم بالمركزية الشديدة عند تحديد الاهداف و الاولويات و صناعة القرارات, و عادة ما تخضع للتوجهات الشخصية مما يبعدها عن العقلانية.
- اما حسب طبيعة اهداف السياسة الخارجية, فهناك سياسات تطمح الى التوسع و الهيمنة, إما عن طريق المحافظة على الاوضاع الحالية او تغييرها الى ما يخدمها, هذا عادة ما ينتهي بنشوب ازمات و صراعات مع المحيط الخارجي. و سياسات تنشط لتحقيق اهداف سلمية و شراكة نفعية دون الهيمنة على الاخرين, كسياسات الاعتماد المتبادل.
- اما حسب القيم و المبادئ التي تأطر السياسة الخارجية, فهناك سياسات خارجية ايديولوجية و اخرى براغماتية, فالأولى تحدد اهدافها و تصنع سياستها وفق مسلمات هذا النظام السياسي, و من اهدافها

[1]- حسين بوقارة, مرجع سابق, ص. 19.

بعث ايديولوجياتها الى دول اخرى, اما الثانية فلا تركز كثيرا على الجانب الايديولوجي فهي ترسم لنفسها سياسات تتماشى و مصالحها و اهدافها. [1]

المطلب الثاني: وسائل السياسة الخارجية

تسعى السياسة الخارجية لأية دولة الى تحقيق مجموعة من الاهداف التي تتعلق بأمنها و استقرارها و تطورها, و تجسيد هذه الاهداف مرتبط بمجموعة من الامكانيات المادية و المعنوية, كجغرافية الدولة و بيئتها الداخلية و وضعها الاقتصادي و القدرات العسكرية على المستوى الاقليمي او على المستوى الدولي. ان هذه الامكانيات هي التي تحدد نوع الوسيلة او الاداة التي تستعملها الدولة في صنع سياستها الخارجية, فكلما توفرت الوسائل كلما كان للدولة فرص اكثر لممارسة السياسة الخارجية بكل حرية و الوصول الى غايتها, و يمكن القول ان دارسي السياسة الخارجية اتفقوا على مجموعة من الوسائل و الادوات تتمثل في: الوسائل الدبلوماسية, الوسائل العسكرية, الوسائل الاقتصادية, الوسائل الاستخباراتية, و اخيرا الوسيلة الدعائية. [2]

اولا – الوسائل الدبلوماسية: و هي " مجموعة القواعد و الاعراف و المبادئ الدولية, التي تهتم بتنظيم العلاقات القائمة بين الدول و المنظمات الدولية, و الاصول الواجب اتباعها في تطبيق احكام القانون الدولي, و التوفيق بين مصالح الدول المتباينة, و فن اجراء المفاوضات في الاجتماعات و المؤتمرات الدولية, و عقد الاتفاقات و المعاهدات," [3] و لها صفة الرسمية على كافة مستوياتها. و هي تمثل الوجه التنفيذي لصانع السياسة الخارجية. و على خلاف الدبلوماسية التقليدية التي كانت تتسم بالسرية و المحدودية في العديد من الحالات, نجد الدبلوماسية الحديثة قد تخلت عن هذا الطابع و اصبحت علنية و اعلامية, و اصبح هناك فئة من الدبلوماسيين ذوي المهارات العليا يتولون مهام تنفيذ اهداف السياسة الخارجية للدولة التي ينتمون اليها.

ثانيا – الوسائل العسكرية: و هي مجموعة الامكانيات الخاصة باستعمال او التهديد باستعمال الاسلحة من طرف دولة ما ضد اطراف دولية اخرى, و الوسيلة العسكرية يتم استعمالها في ظروف و وفق

---

[1]– حسين بوقارة, مرجع سابق, ص.ص.27–28.

[2]– المرجع نفسه, ص.ص. 96–97.

[3]– خالد علي لورد, **فهم و تفسير السياسة الخارجية**, محاضرة, الجزء الثاني, سودانيل, 23. 09. 2011.
www.sudaress.com/sudanile/32747

امكانيات محددة, تتعلق بقوة الدولة, و توجهات سياساتها الخارجية, و دورها في المحيط الخارجي, و غيرها من الامكانيات الاخرى. وتعتبر هذه الوسيلة, الاختيار الاخير لما له من خسائر تفوق النجاحات التي يمكن تحقيقها. و القوة العسكرية لها اكثر من مظهر, فزيادة عن استخدامها التقليدي, اي الفعلي كالحرب الدفاعية او الهجومية, سواء الفردية او على شكل تحالفات عسكرية تتعاون فيها الدول من اجل تحقيق هدف مشترك, كالحرب العالمية الثانية, نجدها ايضا تأخذ الطابع الردعي, و الضغط بها على الاخرين في فترة السلم, عن طريق استعراض القوة العسكرية كإشارات ترسلها دولة ما الى دولة اخرى, او عن طريق مساعدات عسكرية, كبيع الاسلحة و المعدات الحربية و قطع الغيار لدولة اخرى, كذلك عن طريق نظام البيع بالقرض العسكري, لشراء اسلحة و خدمات وفق بنود معينة, او عن طريق ارسال البعثات التأهيلية العسكرية و الخبراء العسكريين, لغرض الاشراف على العتاد العسكري و تشغيله و تدريب جيش الدولة الاخرى على استعماله. [1]

ثالثا – الوسائل الاقتصادية: لهذه الوسيلة اهمية كبيرة, لأنها تحقق الرفاهية لشعوب العالم, و قد تكون هذه الاداة موجهة لتحقيق اهداف اقتصادية كترقية الاستثمارات و البحث عن الموارد و الحصول على اسواق جديدة, او موجهة لتحقيق اهداف سياسية محضة, و الدولة التي تملك متغيرات القوة الاقتصادية يكون لها التأثير على الاخرين, و كسب تأييدهم لتوجهاتها في تنفيذ سياستها الخارجية, و من بين اهم هذه العناصر هو: نظام المساعدات الاقتصادية الخارجية, الذي تحاول به الدولة المانحة التأثير على السياسة الخارجية للدولة المستقبلة لهذه المساعدات, او فرض تحولات و اصلاحات على نظامها الداخلي. هناك ايضا نظام المقاطعة الاقتصادية لأجل الحاق خسائر مادية بالدولة التي يقع عليها العقاب, لخلق الازمة فيها و الضغط على صناع قرار سياساتها, نجد كذلك عنصر الحضر, و يخص المبادلات التجارية, سواء الصادرات او الواردات, و قد يكون شاملا او جزئيا. [2]

رابعا – الوسائل الاستخباراتية: ويكلف بهذه المهمة اجهزة المخابرات و الاستعلامات, فيقومون بجمع و تفسير المعلومات حول نوايا وخطط و سلوك الدول الاخرى, خصوصا تلك المتعلقة بقضايا الامن القومي و المصلحة العليا للدولة, بهدف التحضير المحكم لاتخاذ القرارات الاكثر فعالية في السياسة الداخلية و الخارجية. فالوسائل الدبلوماسية و العسكرية و الاقتصادية لا يمكن لها ان تنجح في تحقيق

[1]– خالد علي لورد, مرجع سابق.

[2]– المرجع نفسه.

اهداف السياسة الخارجية لو لم تعتمد على وسيلة الاستخبارات, ان الدبلوماسية الحديثة على عكس التقليدية تعتبر التجسس نشاط عادي تمارسه السفارات دون احراج لها, و ليس من السيء تعيين ملحقين عسكريين ما دام هذا النشاط لا يمس باستقرار و امن الدولة المضيفة, و عدم التدخل في شؤونها الداخلية, او توظيف اي جهة من الجهات داخلية او خارجية ضدها. [1]

خامسا – وسائل الدعاية: تعتبر الدعاية احدى ركائز العمل السياسي للحكومات و اكثرها فنا, تسخر فيها الدول مختلف وسائل الاتصال و تقنياته للتأثير على الرأي العام الاجنبي, بما يخدم مصالحها القومية و توجهاتها السياسية, سواء بكسب تعاطف الرأي العام العالمي اتجاه قضية ما, او تعبئة الكراهية ضد عدوها, كذلك للحفاظ على صداقة الحلفاء و الدول المحايدة, او عن طريق تفرقة جمع الدول المعادية لها, و افشال الروح المعنوية لجيوش الاعداء, و خلق البلبلة و زعزعة الاستقرار السياسي داخل هذه الدول. و لبلوغ هذه الاهداف, توظف الدول مجموعة من القيم و المبادئ و القوانين الدولية للتأثير في الرأي العام, لكن هذا التوظيف و التأثير في الغير يختلف من دولة لأخرى, حيث تكتفي الدول الصغيرة و المتوسطة بإعلان قيمها و مبادئها دون فرضها على الغير, بينما تذهب الدول الكبرى الى الضغط على الاخرين للتجاوب مع سلوكياتها. [2]

المطلب الثالث: محددات السياسة الخارجية

ان صناعة السياسات الخارجية لأية دولة لا يتوقف فقط على تحقيق الاهداف المرجوة و المصلحة الوطنية, و انما تشمل مجموعة من العوامل و المتغيرات التي تمثل حدود لسلوكيات هذه الدولة, مما قد ينعكس على سياستها ايجابا او سلبا, و يمكن حصر هذه المحددات حسب ما اتفقت عليه الادبيات السياسية في المحددات الجغرافية, المحددات السكانية, المحددات المجتمعية, المحددات الايديولوجية, المحددات الشخصية, المحددات الاقتصادية, و المحددات الخارجية.

اولا – المحددات الجغرافية: للمتغيرات الجغرافية تأثير كبير في توجيه السياسات الخارجية للدولة, و في تحديد سلوك الفواعل الدولية الاخرى اتجاهها, فالدول تختلف من حيث المساحة الشاسعة او الصغيرة التي تضاعف من حجم الموارد الزراعية او الباطنية, و حتى في الحركة العسكرية في حالة الغزو. ايضا موقع الدولة و طبيعة حدودها, فالدول الداخلية اكثر عرضة للضربات الغازية من الدول ذات الحدود المائية,

[1]– حسين بوقارة, مرجع سابق, ص. 109.

[2]– المرجع نفسه, ص. 111.

التي تظهر العدو عن بعد, او تساعد في سهولة تنقل البضائع و تفعيل التجارة. كذلك السلاسل الجبلية و ما توفره من حماية للدولة في حالة الغزو, او في تلطيف المناخ و تفعيل السياحة الجبلية و الاقتصاد الوطني, دون اهمال نوعية التجاور الجغرافي, فالدولة الجارة القوية تضمن الامان لجاراتها, سواء من الغزو البعيد, او حتى من التضارب الذي يمكن ان ينشب بين الجارات, فيكون اقل حدة, لان تدخلها سيفرض حل الازمة, ايضا التجاور الجغرافي الكثيف للدول يخلق التكامل السياسي عن طريق تحالفات في ميادين عديدة. [1]

ثانيا – المحددات السكانية: الدول ذات الكثافة السكانية المعتبرة تكون اكثر حركة في الساحة الدولية لتلبية احتياجات سكانها, بالإضافة الى ان العامل البشري من ذوي القدرات الفكرية و الكفاءة يمثل قوة عمالية تساهم في تطور الدولة, و في تحقيق امنها الوطني, و بالتالي منحها فرص اكثر لتحقيق اهدافها الخارجية, و إلا كان عبئا على هذه الاخيرة في تلبية حاجياته دون مساهمته في تنميتها. و يبقى تحديد النمو الديمغرافي وفق برامج مناسبة لإمكانيات الدولة, من اولوياتها للحفاظ على التوازن السكاني الفعال. ثم ان التوافق العرقي و الديني و اللغوي و درجة تباين الاقليات داخل الدول ينعكس ايجابا او سلبا على تنفيذ قرارات سياساتها الخارجية. [2]

ثالثا – المحددات المجتمعية: هي جملة من الافكار السياسية التي يعتنقها مجتمع ما, و التي يختص بها عن المجتمعات الاخرى, فبالرغم من وجود عدة شخصيات داخل المجتمعات المتعددة الاعراق و الديانات, لكن هناك شخصية واحدة تأخذ الصدارة في المجتمعات المتكافئة و المستقرة. و ما دام صانعوا القرار, هم افراد من مجتمعاتهم, فحكمهم و بالرغم من اختلاف بعض الصبغات الفردية في الطريقة, لن يغير كثيرا من طبيعة توجهاتهم في السياسة الخارجية, ما دامت هناك استراتيجيات ناجعة. [3] ثم ان مساهمة الاحزاب تتوقف على طبيعة النظام, فنظام الحزب الواحد له حرية اكبر في تصميم سياسته الخارجية لغياب المعارضة فيه, و نظام الثنائية الحزبية له مبادئ و افكار اكثر وضوحا و استقرارا, لأنه الحزب الفائز على الاخر, اما نظام التعددية الحزبية فتتوالى فيه الحكومات التي لا يتوفر داخلها الاجماع, و تكون توجهاتها غير متكافئة. اما بشان جماعات المصالح, فنشاطها سري يخلو من الاطر القانونية و الهيكلية,

---

[1]– لويد جنسن, **تفسير السياسة الخارجية**, ت, محمد بن احمد مفتي, محمد السيد سليم, عمادة شؤون المكتبات, جامعة الملك سعود, الرياض, 1989, ص.ص. 244–249.

[2]– حسين بوقارة, مرجع سابق, ص.ص. 78–81.

[3]– لويد جنسن, المرجع نفسه, ص. 53.

ما يخلق لها اختلاف من وسط لأخر و من زمان لأخر يعيق تقييم دورها في السياسات الخارجية للدول. نجد كذلك الرأي العام, الذي تأثر فيه السلطة و يؤثر بدوره في توجهاتها الخارجية في الانظمة الديمقراطية حسب قوة كل طرف, اما في الانظمة المغلقة, فالسلطة هي التي تأثر في الراي العام عن طريق الاعلام و ليس العكس. [1]

رابعا – المحددات الايديولوجية: هي مجموعة التصورات و الاعتقادات الفكرية و الفلسفية و النظريات التي تمثل منهجا تقتدي به الشعوب, و يأطر ممارستها السياسية و الاجتماعية و الاقتصادية. و نظرا لغياب قيم و اخلاق موحدة تنتهجها كل دول العالم, فان ما يعتقده مجتمع ما انه صحيح, يجده مجتمع اخر خاطئ, مما يجعل الايديولوجيات سببا في نشوب الاختلافات و حتى الصراعات. فهناك سياسات خارجية متوازية مع ايديولوجيتها تطمح عموما الى بسطها خارج حدودها الجغرافية, و هناك سياسات خارجية ترغب في الهيمنة على الاخر, و هنا تسخر ايديولوجيتها في خلق مبادئ كاذبة لإضفاء الشرعية القانونية على سلوكياتها, وهناك سياسات خارجية تبحث عن المصلحة العامة لمجتمعاتها, دون فرض ايديولوجيتها الوطنية على غيرها, كما نجد سياسات خارجية تجمع بين كل هذه الحالات حسب الحاجة و تفاعلات الساحة العالمية. [2]

خامسا – المحددات الشخصية: الدولة عبارة عن جهاز قانوني مجرد, تسيره مجموعة من الافراد ينتهجون سياسات داخلية و خارجية معينة, من مجموع البدائل المتاحة, لذلك نجد ان السمات الشخصية للقادة السياسيين و المتمثلة في: تكوينهم الاجتماعي, خبرتهم, و ادراكهم, تأثر في هذه السياسات بدرجات متفاوتة, حسب مجموعة من المتغيرات, فمثلا نجد اثر شخصية السياسي واضحا اذا تعلق الامر برغبته هو في الاهتمام بالشؤون الخارجية, او اذا كانت له صلاحيات و هيمنة داخل السلطة, او اذا تعلق الامر بالقضايا العادية او القضايا المبهمة بسبب قلة المعلومات او وفرتها و تضاربها, او ما تعلق بالاستراتيجيات طويلة المدى. لكن دور السمات الشخصية يتراجع في القضايا التي تهدد الامن و الاستقرار الوطني, فتساهم اطراف اخرى في اتخاذ القرار, لكي لا يتحمل القائد مسؤولية قراره في حالة تفاقم الاوضاع. [3]

---

[1]– حسين بوقارة, مرجع سابق, ص.ص.91–92.

[2]– المرجع نفسه, ص.ص. 83–85.

[3]– لويد جنسن, مرجع سابق, ص.ص. 15–19.

سادسا – المحددات الاقتصادية: و تخص الموارد الطبيعية, المنتجات الصناعية, التبادلات التجارية, و صندوق الصرف المالي, و المهارات المعرفية, و التكنولوجيات. ان في ظل الاعتماد المتبادل, كل دولة بحاجة الى الدول الاخرى لتحقيق الاكتفاء الذاتي, لكن هذا لا يمنع سيطرة البعض على البعض الاخر, لان الدول المهيمنة تستحوذ على الموارد او الخدمات او التكنولوجيات ذات الحاجة المتزايدة, ما يجعل الدول الاخرى تابعة لها ومحدودة التصرف على الساحة الدولية. هناك ايضا نظام الاعانات الاقتصادية, و نظام العقوبات, و الحضر الاقتصادي, و حجم المديونية, و حجم المخزون من الموارد الحيوية, كذلك المشاركة في التحالفات الاقتصادية, كل هذه العوامل تأثر سلبا او ايجابا في قوة الدولة, و في مكانتها على الصعيد الخارجي.[1]

سابعا – المحددات الخارجية: تمثل الفواعل الدولية, اليات توزيع القوة, و بنية النظام الدولي الذي تمارس فيه الدول نشاطها السياسي الخارجي, فالبيئة الخارجية هي التي تعيق او تزيد من حرية هذا النشاط. حيث كلما تعددت الاقطاب داخل النظام الدولي, كلما زادت حرية التصرف, و العكس صحيح. و كلما كانت للدولة مقومات القوة, كلما كانت في مقدمة الركب, و كان باستطاعتها التفاعل مع سلوكيات و افعال الاخرين بردود افعال مماثلة او اكثر حدة, او ربما تكون السباقة للقيام بالفعل, لتأكدها من عدم قدرة الطرف الثاني من الرد عليها. لكن البيئة الدولية لا يوجد فيها فقط هذه الفوضى, و انما فيها ايضا التكتلات, التكامل, الشراكة, و الاعتماد المتبادل, و المنظمات, فهذه الاليات تفرض على الدول المنخرطة فيها, مجموعة من القيود و القواعد و القوانين المنظمة لسلوكها الخارجي, و إلا سلطت عليها العقوبات الجماعية.[2]

المبحث الثاني: النظريات في تحليل السياسة الخارجية

هي نظام استنتاجي للتصنيف, و اطار مفهومي, يسمح بترتيب و دراسة المعلومات و المعطيات بشكل منظم و عقلاني, يقدم مجموعة فرضيات او بيانات, او اقتراحات عملية متماسكة منطقيا. انها ايضا بناء

[1]– حسين بوقارة, مرجع سابق, ص.ص. 81–82.

[2]– المرجع نفسه, ص.ص. 93–95.

فكري يهدف الى الربط بين العدد الكبير من الظواهر و القوانين, التي تعتمد التحليل و التركيب, و تثبت بالحجة و الدليل. فهي اذن تصورات تهدف الى الربط بين المقدمة و النتائج.

المطلب الاول: النظرية الواقعية

بالرغم من كل ما يقال عن النظرية الواقعية في التحليل السياسي, إلا ان هذه المدرسة لا زالت تفرض نفسها في ساحة التنظير و الممارسة السياسية, و هي من النظريات الفوقية, اي انها تفسر سلوك الدول من منظور فوقي و هو النظام الدولي. لقد مرت هذه النظرية منذ ظهورها بمراحل عديدة, اسفرت على ظهور العديد من الاتجاهات بداخلها, يحاول فيها كل تيار التأقلم مع التطورات اللاحقة بالبيئة السياسية, فالبداية كانت على يد "مورغانتو" و كانت تعرف بالواقعية الكلاسيكية, ثم جاء "والتز" و اضاف لها بعض العناصر التحليلية و اصبحت تعرف بالواقعية الجديدة (البنيوية), و تسبب تطور الاحداث و الظواهر السياسية داخل الساحة الدولية في خلق اتجاهين داخل المدرسة الواقعية هما: الاتجاه الهجومي, و الاتجاه الدفاعي, و اصبحت تسمى, الواقعية النيوكلاسيكية.[1]

الواقعية الكلاسيكية: نشئت من الكتابات القديمة "لهوبز", و "سان تسو", و من روادها "مورغانتو", و "كار", و غيرهم, الذين حاولوا تفسير احداث القرن العشرين التي تميزت بالحروب و الصراعات. و قد نشطت بفعالية في الحرب الباردة. تعتبر هذه النظرية الدولة الفاعل الاساسي في البيئة الدولية, و ان كل الدول تتصارع لمضاعفة قوتها و التقليل من قوة اعدائها, لحماية امنها القومي و مصلحتها الوطنية. و ترى كل دولة باقي الدول القوية خصوما لها, و عقلانيون, يبحثون عن كيفية زيادة ارباحهم و تقليل الخسائر و التكاليف من اجل تحقيق اكبر قدر ممكن من الاهداف.[2] لان القوة حين لا تكون لك و تكون لغيرك فإنها تشكل خطرا عليك. و تعتبر الواقعية الكلاسيكية مفهوم القوة, و المصلحة الوطنية, و تعظيم المكاسب, و الفوضى الدولية من مبادئها. و يرى "مورغانتو" انه لا يوجد سلطة مركزية, او قانون قوي و صارم في الساحة الدولية ينظم علاقات الدول فيما بينها, و ان كل ما تتلقى الدولة من خسائر من غيرها, لن يسترجع إلا بالقوة.[3] ولا تؤدي المتغيرات الداخلية اية دور في السياسة الخارجية, كما يقول "هنري كسنجر": " تبدأ السياسة الخارجية حينما تنتهي السياسة الداخلية. " ولكن ذلك لا يعني حتما

---

[1]– د, احمد نوري النعيمي, **البنيوية العصرية في العلاقات الدولية**, مجلة العلوم السياسية, العدد 46, العراق.

[2]– جهاد عودة, **النظام الدولي, نظريات و اشكاليات**, ط 1, دار الهدى للنشر و التوزيع, مصر, 2005, ص. 30

[3]– جهاد عودة, المرجع نفسه, ص. 40.

الحرب, فيمكن ان يكون هناك سلم, و لكن السلم الدائم يقوم على توازن مستمر للقوى, بحيث تكون الاطراف الفاعلة بالنظام الدولي متقاربة في القوة, و هكذا لا يرى اي طرف ان باستطاعته الفوز بأي حرب ما على الاخر.

و انتقدت هذه النظرية بسبب موضوعها الذي يقف على سلوك الدولة كفاعل اساسي في السياسة الخارجية, و المبالغة في تفسير مفهوم المصلحة الوطنية, و مفهوم القوة, و تجاهلت دور المؤسسات الدولية, و المكونات الداخلية للدول.

الواقعية الحديثة: هي نفسها الواقعية الكلاسيكية لكن بديكور جديد, طورها "والتز" و سماها الواقعية البنيوية, تتناول سلوك الدولة من مفهوم ان فوضوية النظام الدولي السائد, هي المحدد الرئيسي للسياسات الخارجية, كما انها ترى ان قلة الامن, و كل الصدامات, و الصراعات و المنافسات بين الدول, السبب فيها, ليس طبيعة الدول, و انما طبيعة النظام الدولي. و ان العالم عبارة عن فوضى, و الدول تؤدي كل ما بوسعها للحصول على هذه القوة لحماية نفسها, و التغلب عن منافسيها, لأنها مهددة بطبيعتها. و يؤكد "والتز" على ان كل البدائل المتاحة في النشاط الخارجي هي من صنع النظام الدولي. و تلخيصا لمبادئ هذه النظرية, يمكن اعتبار الدولة كفاعل اساسي لامتلاكها لوسائل العنف المنظم, و ان الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي هي التي تحدد سلوك الوحدات الدولية, نظرا لعدم وجود قوة مركزية تنظم هذا الفضاء الدولي. هذه الفوضى تجبر الدول على المحافظة على بقائها بتحقيق المصلحة عن طريق القوة و الهدوء العقلاني لتفادي الخسائر. [1] و ان العناصر الداخلية لا اهمية لها في تحليل او فهم السياسة الخارجية للدول.

فانتقدت هي الاخرى من انصار النيوكلاسيكية في جانبها المتعلق بالواقعية الدفاعية, فالنظرية اعتمدت الدولة وبنية النظام الدولي و اهملت العوامل الداخلية.

الواقعية النيوكلاسيكية: هي اعادة بعث للواقعية الكلاسيكية. انها تركز على كل ما سبق ذكره عن المنافسة و القوة, و لكنها ترى ان المتغيرات الداخلية للدول, و معارف صانع القرار و ادراكه, تلعب دورا كبيرا في توجيه سلوك السياسة الخارجية و اهدافها. و الدول عندما تخزن هذه القوة خوفا من الدول القوية, لان هناك أسباب, تعود الى همجية النظام الدولي, و حكمة القائد الذي يبحث عن استقرار و امن بلاده

[1] – ابراهيم بولمكاحل, **تطور اتجاهات المدرسة الواقعية في تحليل العلاقات الدولية و السياسة الخارجية**, محاضرات, جامعة قسنطينة, قسم العلوم السياسية, 21.05.2011. **http://www.academia.edu/4737995**

وشعبه. انها مزيج من الواقعية الكلاسيكية و الواقعية الحديثة, فهي تجمع بين المتغيرات على مستوى الدولة, و المتغيرات على مستوى النظام الدولي. و تنقسم الواقعية النيوكلاسيكية بدورها الى: الواقعية الدفاعية, و الواقعية الهجومية.

الواقعية الدفاعية: من روادها "ستيفن فان ايفارا", "روبرت جارفيس". فهي تركز على ان فوضوية النظام الدولي هي اقل خطورة, و انه هناك نوع من الامن, و هناك تأثير للبنى الداخلية على السياسة الخارجية. عندما تكون الامكانيات و النوايا الدفاعية محققة اكثر من الامكانيات و النوايا الهجومية, هنا تنقص الرغبة في التوسع ويكون هناك الامن, لان الدول سوف تميل الى الاسلحة الخاصة بالدفاع عن امنها دون تهديد الاخرين, و تقل فوضوية الساحة الدولية. فنقاطها الرئيسية هي: عند وجود تهديد خارجي, الدولة تهيا امكانياتها البشرية و العسكرية و الاقتصادية, فالقادة بإدراكهم الشخصي للتهديد, يستعملون وسائلهم فقط للدفاع و ليس للهجوم المسبق, ايضا هناك تعاون, و سياسات مشتركة بين الدول, تأكد فوضى ايجابية بدلا من فوضى سلبية من اجل تفادي الحرب, [1]

الواقعية الهجومية: من روادها: "ستيفن وولت", فهي انتقاد للواقعية الدفاعية, انها ترى ان الفوضى تجبر الدول على مضاعفة قوتها, فالخطر مستمر مادام هناك دول تستطيع ان تغزوا اخرى بسهولة. لكنها ترفض تفسير السياسات الخارجية بعامل الفوضى الدولية فقط, و يذهب منظريها الى التأكيد على وجوب اعتماد السياسة الخارجية على المتغيرات الداخلية و النسقية, و التأثيرات الاخرى, و ضرورة ازالة ذلك الفصل القطعي بين هذه المتغيرات.

ساهم تزايد استقلال الدول, و التطور العلمي في داخلها, و اهتمام الرأي العام بالقضايا الدولية, و تباين تركيبة المجتمعات و تنوع سلوكها, في فتح المجال لنظريات اخرى, حيث يقول "كريستنسن" احد رواد الواقعية النيوكلاسيكية: " الموروث الواقعي يمكن ان يكون له قدرة تفسيرية في وقت ما, لكن و مع ذلك فان بعض التوجهات الجديدة يمكن تفسيرها بنظريات السياسة الداخلية, مثل الاختلافات الايديولوجية, الضغوطات السياسية الداخلية, او حتى الجانب السيكولوجي للقيادات المختلفة." [2]

---

[1]– منير محمود بدوي, **العلاقات الدولية, عالم واحد نظريات متعددة لستيفن والت**, محاضرة, جامعة الملك سعود, قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية, 10.01.2009.

[2]– ابراهيم بولمكاحل, مرجع سابق,

المطلب الثاني: النظرية الليبرالية

الليبرالية من اولى المدارس التي تناصر مبادئ و قيم التعاون الدولي, و تعتبر الاشخاص في الاساس طيبون بالفطرة, و قادرين على التعاون لتغيير اوضاعهم للأحسن, فهي تؤكد على ان سلوك الفواعل الدولية فيه الكثير من الاتحاد و التنظيم لبناء نظام عالمي عادل و سلمي, انها الحالة الطبيعية للعالم, و لا يوجد فقط الصراع و التنافس من اجل القوة لان هذا يمثل استثناء. انها تأكد على الفرد و المجتمع في دراسة السياسة الخارجية, وتعتبر المنظمات الدولية و الغير حكومية, فواعل اساسية في النظام الدولي, اما الدولة فوظيفتها تسيير السياسة الخارجية التي لا تنصب فقط في مصلحتها الذاتية, و انما هي ذات طابع عام, و اهدافها عقلانية, و اولويات هذه السياسة الخارجية, مصدرها الرئيسي هو المحيط الداخلي للدول. انها تعترف بتأثير البيئة الداخلية على السياسة الخارجية, دون انكار اثر الضغوطات المفروضة من البيئة الخارجية, فهي تحلل وفق منهج تصاعدي.[1]

"اندرو مورافكسيك" جاء بمنظور ليبرالي اكثر عمومية لتفسير التفاعلات الدولية مرتكزا على ثلاث فرضيات رئيسية:

1 / ان الاشخاص و الجماعات المتخصصة داخل المجتمع, هي المكونات الاساسية و الفاعلة في السياسة الخارجية و ليس الدول.

2 / تمثل الدولة مجتمعها الوطني في الساحة الدولية, و تسعى الى تحقيق مصالحه الوطنية, و الفردية, و مصلحة الجماعات المتخصصة, المهيمنة على قضية ما مطروحة على طاولة المناقشات العالمية.

3 / ان تشكل الجماعات المتخصصة على المستوى العالمي يوجه سلوك الدول, و يحد منه, و يفرض على هذه الاخيرة تحقيق اهدافهم الذاتية.

كما يذهب بعض الباحثين في النظرية الليبرالية, الى تصنيف مبادئ هذه الاخيرة ضمن خانة الانضباط و الاعتدال و الوسطية و السلم.

الليبرالية الحديثة: هو اتجاه داخل الليبرالية الام, ينطلق من العوامل الداخلية في فهم السياسة الخارجية, كذلك يعتمد في تحليله لهذه الاخيرة, على الكيفية التي تؤثر بها المؤسسات الدولية على سلوك الدول,

[1]- جهاد عودة, مرجع سابق, ص. 54.

و كيفية بعث قيمها و مبادئها و اقناع العالم بها. مثلا بتركيز الدراسات على الدور الذي تلعبه الامم المتحدة, او منظمة التجارة العالمية, في تحديد سلوك السياسة الخارجية للدول.

قام انصار الليبرالية الجديدة بطرح فكرة السلام الديمقراطي على يد "ايمانيول كانت", هذه النظرية تصف غياب الحرب بين الدول الليبرالية, و تعتمد التفسير الداخلي المحض لتحليل السياسة الخارجية, و الارتباط القوي بين طبيعة النظام السياسي للدول و سياستها الخارجية. و لأنها ترتكز على الارتباط الموجود بين الديمقراطية و السلام, و مادام عدد الدول الديمقراطية في تزايد, هذا ما ساهم في زيادة انتشارها.[1] و لكن ما تزال هذه النظرية مبهمة و غير واضحة. و لم يتوصل بعد الباحثين السياسيين الى تنظيرها بشكل محكم, و معرفة السبب وراء عدم اقتتال الدول الديمقراطية مع بعضها البعض, فمن المحتمل ان يكون الطريق للسلم الديمقراطي دمويا بشكل استثنائي, و قد اظهرت بعض الفرضيات عند بحثها و دراستها, ان الدول التي هي في طريقها الى تبني الديمقراطية, معرضة للخوض في حروب, اكثر من الدول الديمقراطية الاصل.

نظرية النظام: استأصلت هذه النظرية من المبادئ الليبرالية, التي تقر بتأثير المؤسسات, او اجهزة الحكم الدولية, او المحددات الدولية الفاعلة, على السياسة الخارجية للدول, و تؤمن بإمكانية التنسيق في ظل نظام دولي فوضوي, ان اجهزة الحكم الدولية هذه هي امثلة حية للتنسيق الدولي. و بينما يرى الواقعيون ان الصراع و القوة هو السلوك الارجح في الساحة الدولية, يركزوا باحثي نظرية نظام اجهزة الحكم الدولية على وجود تنسيقا فعليا في العالم بالرغم من فوضوية هذا الاخير. و يشيرون بهذا الى التنسيق في ميدان التجارة, و حقوق الانسان, و الامن الاجتماعي, وغيرها من الملفات العالمية الاخرى, و التي تمثل في حد ذاتها اجهزة حكم, لها قوانينها و قراراتها التي تؤطر نشاطها من اجل تحقيق الاهداف المشتركة.[2]

المطلب الثالث: النظرية البنائية

ظهرت البنائية في الثمانينات, و كان "نيكولاس اونوف" اول من استعمل هذا المصطلح في كتابه "عالم من صنعنا ", منتقدا الواقعية البنيوية, و جاء الاتجاه البنائي مركزا على تأثير المعايير و القيم و الافكار على سلوك الدول الخارجي, فهو يرى ان السلوك الدولي قائم في الاساس على البنية الاجتماعية, و يأخذ

[1]– منير محمود بدوي, مرجع سابق.

[2]– عباده السباع, **نظريات السياسة الدولية, النظرية الليبرالية و نظرية النظام**, الباحثون السوريون, 31.03.2014.
http://www.syr-res.com/article/1678.html

بعين الاعتبار في تحليله للسياسة الخارجية, التداخل الكبير بين افكار البيئة الاجتماعية الداخلية و افكار البيئة الاجتماعية الخارجية, و دورها في توجيه سلوك صناع القرار, لأنها تمثل مرجعيتهم في تحقيق اهدافهم الخارجية. هناك من يعتبرها نظرية تركيبية, اكثر منها نقدية للواقعية الجديدة, او لليبرالية. فمن الجانب الأنطولوجي هذه النظرية تتميز عن غيرها من المدارس التفسيرية الاخرى, في كونها تولي اهمية كبيرة للهوية و القيم في بناء السلوكيات و الاهداف الخارجية, اما من الناحية الابستمولوجية, فهي اتجاه نقدي, يؤكد على ضرورة التعددية للمناهج العلمية, خاصة التفسيرية منها, في فهم قواعد السياسة الخارجية. اما من الجانب التحليلي, فان هذه النظرية ركزت على مستوى وسط في تفسير السياسة الخارجية. فوسطيتها نجدها بين المقياس الكلي البنيوي ذو رؤية فوقية للسياسة الخارجية للدول كالواقعية الجديدة, وبين المقياس التحليلي ذو رؤية تصاعدية من اسفل الى اعلى مثل الليبرالية, فهي تستخدم المجتمع الدولي بمعاييره, و المجتمع المحلي بقيمه, في ان واحد, لتحليل السلوك السياسي للدول.[1]

و بشكل مختصر, يرى "الكسندر واند" ان هذه النظرية تقوم على مجموعة من الفرضيات التي تساعد في فهم السياسة الخارجية بشكل دقيق, هي كالتالي:

1 / الدول هي الوحدات الاساسية في تحليل السياسة الخارجية.

2 / ان العالم الخارجي توجهه الافكار, و ليس فقط القوة والهيمنة.

3 / البنيات الاساسية للنظام الدولي القائم على الدول, مبنية بشكل تذاتاني (قيم مشتركة بين الدول)

4 / البنى الاساسية للسياسة الخارجية, هي بنى اجتماعية و ليست مادية.

5 / هويات ومصالح الوحدات الاساسية, يتم رسمها بفعل البنى الاجتماعية, اكثر مما هي موجودة بشكل منعزل ضمن النظام الدولي.

اننا نقف امام مجموعة من الاقتراحات التي تساعد في فهم و تفسير السياسة الخارجية للوحدات, تتلخص في: خصائص مجتمعية توجه السلوك الخارجي للدول, و مدى تأثير الهويات على سلوكها الخارجي و مصالحها الوطنية.

[1]– **النظرية البنائية في العلاقات الدولية**, الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية و الاستراتيجية, قسم علم السياسية و الفكر السياسي, 04.03.2015.

1 / بالنسبة للخصائص المجتمعية التي توجه السلوك الخارجي للدول فإنها تركز على التنشئة الاجتماعية للقادة, و اثرها على سلوكهم الخارجي, و على اهمية القيم و الادراك و الدور, و تنسيقها مع القدرات المادية لتحديد البنيات الاجتماعية و توجيه السلوك السياسي.

فيما يتعلق بالتنشئة الاجتماعية للقادة و اثرها على سلوكهم الخارجي, فان البنائيون عكس الواقعيون و الليبراليون, اللذان يعتقدان ان الرجل السياسي رجل عقلاني كالرجل الاقتصادي, يبحث عن تحقيق الربح بأقل التكاليف, نفس الشيء بالنسبة للعقلاني يبحث عن تحقيق المصلحة الوطنية و اهداف دولته بأقل الخسائر و الامكانيات, اما القائد في البنائية فهو رجل اجتماعي, لا يسعى الى تحقيق اهدافه الانانية الخاصة بدولته فحسب, و انما يسعى الى تطبيق مبدأ التوفيق بين الاهداف الخاصة التي تحقق مصلحة دولته, و بين المعايير الاجتماعية التي حصلها السياسي ممثل الدولة من التنشئة الاجتماعية في النظام الاجتماعي الداخلي و الخارجي, و هذه المعايير تختصر عموما في الافكار, المعتقدات, الهوية, الثقافة, السمات الشخصية, و نظرة العالم (هي قيم جماعية مشتركة تعبر عن ذاتية المجموعة). هذا ما يظهر الاختلاف بين السياسة الخارجية لدولة ما عن اخرى, فكل واحدة متميزة و منفردة.[1]

اما عن اهمية القيم, و الادراك, و الدور, و تنسيقها مع القدرات المادية, لتحديد البنيات الاجتماعية, و توجيه السلوك السياسي. فحسب "نيكولاس اونوف", ان النظرة الانطولوجية البنائية تختلف عن الواقعية فيما يتعلق بمفهوم البنية, السلوك, المصالح, فالبنائية ترى الواقع ذو طبيعة تذاتانية, و هو موجود نتيجة الاتصال الاجتماعي الذي يساعد في تقاسم بعض المعتقدات و القيم, فالإدراك الجماعي للمعايير, يعطي للأشياء المادية معنى يساعد على تكوين الواقع.[2] هناك توزيع المعرفة الخاص بالدول, تحول فيما بعد, الى وضعية و مكانة المعرفة لدولة ما في النظام الدولي, وتتحدد هذه المكانة اذا تحدد الدور, مثلا: دولة عدوة لا احترام لها, بل يجب القضاء عليها و هزمها. لكن الدولة المنافسة يجب احترام سيادتها, و تسوية الازمة معها بطرق سلمية, قبل استعمال العنف. اما الدولة الصديقة, فكذلك يجب احترام سيادتها, و تسوية الازمة معها بطرق سلمية, والتعاون معها في حالة تهديد خارجي لأي الطرفين. ان التغييرات في السياسة الخارجية تأتي مع تغير دور الدولة, فالسياسة الخارجية التعاونية تتغير عندما يتغير الدور من منافس الى صديق, و الفوضى الدولية ليست حتمية, فهي نتاج ما تصنعه الدول و ليست قانون مسبق, فالفوضى هي

---

[1]- جهاد عودة, مرجع سابق, ص.ص. 163-164.

[2]- **النظرية البنائية في العلاقات الدولية**, الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية و الاستراتيجية, مرجع سابق.

ايضا ما تفهمه الدول و ما تحسه من الواقع المعاش, و ليس حقيقة حتمية يعيشها الجميع في وقت واحد, و بكيفية واحدة. و حتى في ظل هذه الفوضى, ان الدول هي المسئولة على رسم طريق لمبادئها, و قيمها, و قواعدها, كي تساهم في تغيير طبيعة الاوضاع التي كانت من قبل, او تبقي الوضع كما هو و تتبعه.

2 / اما عن متغير الهوية و اثره على السياسة الخارجية للدول, فان "الكسندر واند" يرى ان الهوية تمثل اعمدة الاهداف و المصالح الخارجية, و حسب النظرية البنائية هناك ترابط بين الهوية و المصلحة ذو مدى تاريخي, كما يؤكدون على الخطابات المبعوثة في وسط المجتمعات لأنها تعبر عن قيم هذه المجتمعات و تعكس اهدافهم الخارجية, و يمكن ان يخلق قيم جديدة, ربما يرحب بها في المحيط الخارجي. فيما يتعلق بالمصلحة, فهي لا تنشا من طبيعة المجتمع الدولي فحسب, بل و من طبيعة البناء القيمي و الاجتماعي للدول. اما الهوية, فان الدولة تنطلق من فهم ثابت, و محدد, و معروف مسبقا لهويتها, معتمدة على الاطر التاريخية, الثقافية, الاجتماعية, ثم ان هوية الدولة تعكس اولوياتها, و مصالحها, و سلوكها المستقبلي. بمعنى ان مصدر الصراعات الكبيرة في العالم, بين الجماعات, و الامم, هي بسبب ثقافة الهوية, لحضارات مختلفة, و ستبقى الدولة الوطنية, اقوى الفواعل في سياسة العالم.[1]

المبحث الثالث: المقاربات التفسيرية في السياسة الخارجية

هي أطروحات تفسيرية لا ترقى الى درجة النظرية, بل هي مرحلة من مراحل النظرية, وهي طريق الاقتراب من الظاهرة المدروسة, و مفتاح للوصول الى عمق هذه الظاهرة, لتقديم تفسيرات معقولة للسلوك السياسي الخارجي للدول, و علاقة هذه السياسات بالبيئة التي تعيش فيها, ايضا وضع القواعد العامة التي تؤطر هذا السلوك السياسي, من زوايا مختلفة, ينفرد بكل جانب منها فريق في اتجاه محدد, لكن المجموع يعطي نتيجة تفسيرية و موضوعية شاملة.

[1]– خالد المصري, **النظرية البنائية في العلاقات الدولية**مجلة جامعة دمشق, كلية العلوم السياسية, قسم العلاقات الدولية, المجلد 30, العدد الثاني, 2014, ص.ص. 326-327.

المطلب الاول: المقاربة الجيوسياسية

هي مقاربة تحوي بداخلها عنصرين: جيو و السياسة, فهي لا تدرس الجغرافيا السياسية التي تشير الى تأثير الجغرافيا بعناصرها الطبيعية و البشرية في سياسات الدول, فتجعلها دولة زراعية بالدرجة الاولى او دولة تجارية بحرية او دولة صناعية عن طريق تحويل مواردها الطبيعية مثلا. و انما تدرس "سياسة الأرض اي حالة الارض بكل عناصرها و تأثيرها على السلوك السياسي في تغيير الابعاد الجغرافية الافتراضية للدولة, اي تدرس العلاقة بين العناصر الجغرافية و قوة الدولة, فهي تعتمد على منطق تحقيق المصلحة السياسية القومية و لو بطريقة عدوانية.[1]

بمعنى اخر دراسة التأثير العكسي للأرض (مساحتها, مياهها, و مواردها, سكانها, موقعها, محيطها الخارجي) على السياسة, نظير تأثير السياسة على الارض للاستفادة من هذه الخصائص, اي السياسة المتعلقة باستغلال الارض من طرف الدولة في اي مكان تستطيع الوصول اليه, و هو ما يشير الى قدرتها على ان تكون وحدة فعالة في اوسع مساحة ممكنة من المحيط الخارجي.

و الجيوبوليتيك هو مصطلح ينتسب الى المدرسة الالمانية, ذات التوجه العدواني التوسعي, و من رواد هذه المدرسة الجغرافي السياسي "كارل هوس هوفر", حيث وضع تعريف الجيوبوليتيك في مجلة العلوم السياسية التي كان رئيس تحريرها انذاك, على انها تفسير لعلاقة السياسة بالمساحة الارضية, و تسخير الامكانيات الجغرافية و المعلومات الى معطيات علمية تفيد المجموعة السياسية للدول, في تحضير جدول الاعمال و الاولويات من خلال تحديد الاهداف و تبريرها و اقتراح الادوات المناسبة لانجاز هذا العمل.

يرى "لاديس كريستوف" ان الفرق الوحيد بين الجغرافيا السياسية, و الجيوبوليتيك, يكمن في الزاوية التي ينظر منها الدارسون لكل فرع, فالجغرافيا السياسية تدرس الظاهرات الجغرافية بتفسير سياسي, اما الجيوبوليتيك فتدرس الظاهرات السياسية بتفسير جغرافي. فهي دراسة للعلاقات الخارجية الجغرافية.[2]

ان المقاربة الجيوسياسية تحتوي في دراساتها ابعاد نختصرها فيما يلي:

---

[1]– عبد الكريم شكاكطة, **محاضرات حول الجغرافيا السياسية**, جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة, قسم العلوم السياسية, 2015–2016, ص.ص. 3 و 6.

[2]– محمد عبد الغني سعودي, **الجغرافيا السياسية المعاصرة**, دراسة الجغرافية و العلاقات السياسية الدولية, مكتبة الانجلو مصرية, 2010, ص.ص. 12–14.

1 / عامل الارض بمختلف عناصرها و خصائصها, هي عنصر متغير و ليس ثابت كما يعرف عنه في علم الجغرافيا.

2 / العامل البشري بما فيه من اتجاهات سياسية تحدد علاقات الدولة بمحيطها الداخلي و الخارجي, يمثل عنصرا مستمر التغيير.

3 / العامل الزمني لما له اهمية في دراسة مدى ترابط عامل الارض مع العامل البشري من اجل تحقيق مصلحة قومية و ذاتية, خلال مدة زمنية معينة, فالترابط في الماضي ليس كالترابط في الحاضر. [1]

اما عن مدارس الجيوبوليتيك, فان الالمان كانوا السباقون, ثم لحقت بهم المدرسة البريطانية, و الامريكية, و اخيرا المدرسة الفرنسية.

1) المدرسة الالمانية و القوة البرية: يعتبر "فريديريك راتزل" [2] اول من ركز على العنصر الجغرافي و تأثيره على قوة الدولة, حيث اعتبر الدولة كائن حي متعلق بالأرض ينمو و يتطور على حساب الكائنات الاخرى و هي الدول و لو تطلب الامر استعمال القوة, فالدولة اما ان تتطور او تتلاشى و تزول, ايضا ركز "راتزل" على تأثير الظواهر الجغرافية في تحديد سمات الشعوب. بعده جاء "رودلف كيلن" ليسير على نفس منواله, فهو يرى ان الدولة كائن حي و عاقل له مقومات اخلاقية و ذهنية, و انها في توسعها من اجل الهيمنة لا تكتفي بالقوانين البسيطة بل تسخر كل ما لديها من مؤهلات لتحقيق الاهداف المرجوة, كما نجد له مبدأ يقول: " القوة اهم من القانون و ان الضرورة لا تعرف القانون ". كما ركز بدوره على انتقال الرقعة الارضية من مساحة جغرافية عادية الى مناطق حضارية و سياسية تبحث على المحافظة على وضعها الحالي و الاستمرار ثم الامتداد و التوسع, و ان القوة البحرية سوف تنتقل و تنضم الى القوى البرية ثم المجموع سينتقل بدوره الى البحر مرة اخرى. اما عن "كارل هوس هوفر" [3] الذي كان من بعدهم, فقد ساند افكار سابقيه, و ان الدولة كائن حي تنموا و تتوسع على حساب الاخرين, ركز على دراسة السلطة الحكومية و مدى مساهمة المتغيرات الطبيعية من ارض و مناخ وموارد في اداء السلطة و توزيعها على القارات, و من جهة اخرى مدى مساهمة الجيوبوليتيك في تدعيم السلطة بالمجال الطبيعي. لقد كان يؤمن بفكرة ان الاستمرار هو مصير الدول الكبرى, اما الدول الصغرى فمصيرها

[1]- عبد الكريم شكاكطة, مرجع سابق, ص. ص. 6-7.

[2]- المرجع نفسه, ص.ص. 24-25.

[3]- المرجع نفسه, ص.ص. 28-30.

الزوال. ان المدرسة الالمانية وجدت لتروج لإمكانياتها العسكرية البرية و لتبرر توسعات هتلر انذاك, بالتركيز على فكرة النمو التوسعي و ان المجال الحيوي هو اكسجين هذا النمو, و ان كل الوسائل مسموح استعمالها ضد الدول الاخرى و لو بالقوة.

2) المدرسة الانغلوساكسونية و القوة البحرية: من روادها "الفراد ماهان" [1] امريكي الاصل لكنه ركز على دراسة القوة البحرية لبريطانيا لأنه يرى فيها القوة الفعلية التي يمكن نقلها لأي مكان اخر حسب الحاجة عبر البحر. و كانت هذه القوة تناسب التطور الصناعي الاوروبي انذاك سواء لاستعمار مناطق جديدة لتلبية الحاجة من المواد الخام او نقل البضائع و تفعيل التجارة او نقل الركاب, ثم ان الطبيعة الجغرافية البحرية لبريطانيا كانت تطابق الطبيعة الجغرافية للولايات المتحدة, و دراساته كانت رسالة موجهة لأمريكا لكي تنشط في المجال البحري و تنشر قواتها بعيدا عن حدودها. اما "هالفورد ماكندر" [2] تطرق الى فكرة "جزيرة العالم" و نقطة الارتكاز الموجودة بداخلها, و هذه الجزيرة تحوي كل من افريقيا و اوراسيا, و التي بقربها تمثل خطرا على امريكا بنفس حجم الخطر الذي تمثله اوروبا على بريطانيا, و تمثل جزيرة العالم اكبر كثافة سكانية منتشرة على اصغر مساحة من اليابسة في العالم, تتوسطها منطقة ارتكاز مقسمة بدورها الى نقطة شمالية ونقطة جنوبية باعتبارها افضل المناطق للدفاع عن الجزيرة, لكن لو تشكلت امبراطورية في مركز هذه الجزيرة فإنها ستصبح نقطة تهيمن على العالم كله, و يرى ان الريادة للقوى البرية حتى في تسييرها للقوى البحرية التي انتهى عهدها, مع الاخذ بعين الاعتبار تطور النظام الصناعي لبعض الدول. ان هذه الفكرة هي نقطة التقاء لمختلف الاتجاهات الجيوبوليتيكية, اي ان التقاء المسالك المائية و البرية كانت من اهم خصائص الشعوب المتطورة عبر التاريخ.

3) المدرسة الفرنسية: نشأت مع الاستاذ الفرنسي "فيدال دو لابلاس" [3] الذي كان يرى الظواهر بموضوعية مستقبلية ناقدة لسابقيه, محاولا تفسير الظاهرة الجغرافية بأكثر من الملاحظة البسيطة, ليس فقط من حيث المكان بل الزمان و مراحل التاريخ وعلاقاتها مع الظواهر الاخرى جغرافية كانت ام لا, انه يعتبر الحدث ليس له حالة دائمة بل هو متغير يجعل الظواهر الجغرافية ذات "ميوعة", و هو مفهوم جديد و هام, و هذا التغيير هو من فعل الانسان برغبة منه, فهو اختيار متعمد, عكس ما يقترح "راتزل" الذي

---

[1]– عبد الكريم شكاكطة, مرجع سابق, ص.ص. 32–33.

[2]– المرجع نفسه, ص.ص. 36 و 38 و 41.

[3]– بيير سيليريه, **الجغرافيا السياسية و الجغرافيا الستراتيجية**, ت, احمد عبد الكريم, ط1, الاهالي للنشر و التوزيع, دمشق, 1988, ص.ص. 22 و 25.

يراه تدخل غريزي عفوي لا يمكن تفاديه. كذلك يركز "فيدال" على اهمية العلاقات كالتبادل بأنواعه, و المواصلات, في حياة الاقاليم و الدول و مساهمتها في التقدم البشري. و كانت كتاباته تعبر عن تفكيره الشخصي, لا نية له في طرحها كقاعدة معرفية قاطعة. ثم تبعه رواد اخرون منهم "ايمانويل دو مارتون" الذي اقترح حدود جديدة لأوروبا الوسطى, وفق معيار ان رسم الحدود لا يكون بحسب مواقع الاقليات و مبدأ الحق في تقرير مصيرها, بل يجب اعتماد المحددات التحتية للإقليم. بعدها توالت في الصف الفرنسي الدراسات و الاتجاهات المنافية و المؤيدة فيما بعد للمدرستين الالمانية و الانجلوساكسونية, لكن بربط السياسة مع الجغرافيا بطريقة احكم تخدم المصالح الحديثة لأوروبا.

المطلب الثاني: مقاربة الدور و الدور الاقليمي

فيما يتعلق بالنظام الاقليمي, يمكن اختصاره في انه نظام وسط بين النظام القومي و النظام العالمي, و يشمل مجموعة من العلاقات التفاعلية و الروابط المتخصصة بين دول مستقلة, داخل اقليم جغرافي معين, ضمن اعترافا معلنا لهذا النظام داخليا و خارجيا. [1]

ان الدراسات النظرية تعطي للأنظمة الاقليمية مستويات ثلاث, يتم من خلالها معرفة حدود هذا النظام و صنفه:

1 / مستوى التقارب الجغرافي, وهي انظمة اقليمية تتشكل على اساس التجاور الجغرافي او التقارب.

2 / مستوى التجانس الفكري او الوضعي, و هي انظمة اقليمية تتشكل على اساس التطابق او التشابه الثقافي او الاجتماعي او تجانس الوضع الاقتصادي, او الوضع العسكري و ابعاد القوة.

3 / مستوى التواصل, و هي انظمة اقليمية تتشكل على اساس حيوية النشاط و حجمه, في مختلف المجالات بين دول هذا النظام. [2]

اما مفهوم مقاربة الدور, فهي ذات بدايات اجتماعية سايكولوجية, تدرس مكانة الفرد و تأثيره في السياسة الداخلية و العالمية, لكن فيما بعد استعملت في مجال السياسة الخارجية لدراسة دور الدولة و سلوكها الخارجي, كونها فاعل من الفواعل الدولية الاخرى. و يعرفها بعض روادها مثل:

---

[1]– **نظرية الدور الاقليمي**, منتديات طموحنا, 25.12.2011.
https://www.tomohna.net/vb/showthread.php?t=10529

[2]– جهاد عودة, مرجع سابق, ص.ص.102– 103.

"بروس بيدل" على انها " قائمة او دليل سلوك مميز لشخص او مكانة, او منظومة من المعايير و التوصيفات, المحددة لسلوكيات شخص او مكانة اجتماعية. " [1]

بينما يراها "كال هولستي": " أنها تعريفات صناع القرار للأنواع العامة للقرارات و الالتزامات و القواعد و السلوكيات التي تصدر عن دولهم, و للوظائف التي ينبغي على اية دولة ان تؤديها بشكل مستمر, سواء في النظام الدولي او النظام الاقليمي الفرعي.

و استعملت مقاربة الدور في تفسير علم السياسة المعاصر من خلال مستويين:

1 – يدرس الادوار السياسية من خلال تحليل الانساق السياسية من الداخل, كل بنية على حدى, و الوقوف على مجموع الادوار و انتسابها و علاقتها بالأنساق الفرعية, او الابنية المكونة للنسق السياسي ككل.

2 – يدرس الادوار السياسية من خلال تحليل النسق السياسي الدولي, و الوقوف عند الادوار التي يشغلها صانعي القرار المؤثرين في السياسة العالمية, او اشخاص اخرون من الفواعل المهمة في الساحة الدولية من غير قادة الدول. [2]

و هنا يأخذ مفهوم الدور من الرؤية السياسية اشكالا مختلفة بين الدور السياسي الداخلي و السياسي العالمي. و يمكننا جمع هذه الاشكال باختصار فيما يلي: الدور الثابت, الدور المتغير, الدور المصارع, الدور السلمي, الدور الراديكالي غير تعاوني, الدور المبهم. و هنا يتضح ان مقاربة الدور في السياسة الخارجية, تركز في دراساتها التفسيرية على سلوك الدول الخارجي, باعتبار هذا الاخير دورا سياسيا تمارسه الوحدات في الساحة السياسية الدولية, فالدور يعبر عن النشاطات الرئيسية التي تمارسها الدولة في محيطها الخارجي خلال مدة زمنية طويلة, من اجل تحقيق اهداف خارجية معينة. [3]

و عليه يستوجب على الدولة الاخذ بعين الاعتبار ثلاث اعتبارات رئيسية, عند اداء مهامها الخارجية التي توضح دورها, و هي:

---

[1]– عبد الله حجاب, **السياسة الاقليمية لإيران في اسيا الوسطى و الخليج 1979–2011**, مذكرة لنيل الماجستر, جامعة الجزائر 3 كلية العلوم السياسية و الاعلام, تخصص دراسات اسيوية, 2011–2012. ص. 24.

[2]– المرجع نفسه, ص. 30.

[3]– بشير النجاب, **نظرية الدور و مفهومها**, الحوار المتمدن, السياسة و العلاقات الدولية, 12.05.2017.
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=558434&r=0&cid=0&u=&i=0&q=

1 / تحديد موقعها في السياسة الخارجية و فضاء عملها بدقة, و هذا بدءا من معرفة لأي صنف من الدول تنتمي: عظمى, كبرى, اقليمية, صغرى, و هنا يظهر نوع سياستها, اقليمية او عالمية.

2 / تحديد و تثبيت اهداف سياستها الخارجية.

3 / استشرافها لحجم التغيير المحتمل بسبب قيامها بهذا الدور, لكي يتسنى لها مراجعة الاداء.

اما عن المتغيرات التفسيرية لمقاربة الدور, فان المفكرين يجمعون بان الدول ربما تتشابه في مصادر القوة, لكنها تختلف تماما في السلوكيات, وهذا الاختلاف تفسره ثلاث متغيرات اساسية هي:

1 / مصادر الدور: و تأخذ كمتغيرات مستقلة في التفسير, و تشمل السمات الوطنية للدولة من مقومات فكرية و قدرات مادية و غير مادية.

2 / تصور الدور: و تأخذ كمتغيرات وسطية, و تشمل السمات الشخصية للقادة السياسيين, من خبرة و تصور و ادراك لدور الدولة خارجيا, ان الامكانيات المادية او غير المادية الكبيرة التي تكون بحوزة الدول, لا تمكنها بالضرورة من اداء دور خارجي فعال, ان لم يكن صانع القرار ذو كفاءة و له ارادة قيادة قوية, لتوجيه سلوك الدولة الخارجي.

3 / اداء الدور: و تأخذ كمتغيرات تابعة, و تشمل ممارسة السياسة الخارجية و ما يصدر عنها, من قرارات و سلوكيات, و طريقة الاداء.[1]

ان الدور يرتكز على النظرة الشخصية لصانع القرار لدوره, تماشيا مع قدرات و امكانيات دولته, من اجل تحضير الساحة الخارجية للتفاعل ايجابا مع هذا الاداء.

المطلب الثالث: المقاربة الوظيفية

ظهرت ما بين الحربين العالميتين و حتى الثانية على يد المنظر "دافيد متيراني" في كتابه " عمل لنظام سلام " جاءت فيه افكار سلمية لمعالجة المجتمعات, باستعمال ادوات نفعية و رشيدة. و يعتمد هذا المدخل على تفسير الظواهر السياسية, من خلال الوظيفة التي يمارسها النظام داخل البيئة الاجتماعية, فهي تفسير نظامي للبنى المكونة للنظام المشترك, و لوظائف هذه البنى. ففي تعريف هذه المقاربة, يشير

[1]– **نظرية الدور في العلاقات الدولية**, الموسوعة السياسية, 03.06.2017.
http://political-encyclopedia.org/2017/06/03/نظرية-الدور-في-العلاقات-الدولية

"هوراس كالن" الى مجموعة مصطلحات لاختصار الوظيفية هي: " الانتقال و الانماط الديناميكية و العمليات و النمو و الامتداد و الانبثاق. "

ان هذه المقاربة تقف على اسس هي:

- مدى اهمية المتغيرات الاجتماعية و السياسية و الاقتصادية, و ان التكامل الحقيقي للبنى, يكمن في خلق مجموعة من المؤسسات الوظيفية فوق القومية, و اعادة هيكلة النظام العالمي على اسس وظيفية, وليس فقط اسس اقليمية جغرافية.
- المجتمع عبارة عن بناء اجتماعي مكون من بنيات جزئية: كالأسرة و الدولة و السياسة, و الاقتصاد, و البناء هو سلوك اجتماعي تعاوني, يبدأ بالسياسة السفلى, ثم يخوض في الانتشار, من مجال لأخر, حتى يبلغ ميادين السياسة العليا.
- كل جزء من البناء الاجتماعي او السياسي او الاقتصادي, له وظيفة معينة, تتفاعل فيما بينها هذه الوظائف, فتحدد شكل النظام, و في حالة رضى الاطراف, فإنها تساعد على استمراره مثل حالة المجتمعات الديمقراطية.
- عدم توافق البنى الاجتماعية او السياسية او الاقتصادية داخل البناء العام يؤدي الى صراع, اما حالة الانسجام و الرفاهية, فأنها تؤدي الى السلم. [1]

و حسب "كارل دويتش" الوظيفية مرتبطة بالاندماج الجزئي, لان السلطات الحاكمة المشتركة في البناء الواحد, تقدم بعض وظائفها البسيطة الى مؤسسة مشتركة تمثلهم, وهو غير كافي لتحقيق الاندماج الكلي, لكن بتغيير السياسات و تقديم الوظائف المهمة, يمكن ان يتحقق التوافق و الاندماج الكامل. [2]

و يرى "بارسونز" ان الانظمة السياسية داخل عملية الاندماج, وظيفتها هي تحقيق الاهداف الاساسية التي سطرت للنظام الاجتماعي, فكل مؤسسة لها وظيفتها, مثلا: تقوم مؤسسات السلطة التنفيذية بوظيفة تحقيق الاهداف, المؤسسات التشريعية و القضائية بوظيفة الاستمرار, المؤسسات الادارية بوظيفة التكيف, و الاحزاب بوظيفة التوحيد. اما الانظمة السياسية في عمومها فعليها القيام ببعث التنشئة الاجتماعية

[1]- انور محمد فرج, **السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي اتجاه الشرق الاوسط, اعلان برشلونة نموذجا**, دراسة تحليلية, دراسات دولية, العدد 39, ص. 72.

[2]- المرجع نفسه, ص. 83.

و السياسية, تجنيد القادة السياسيين و تنظيم الشعوب, تمثيل افراد مجتمعاتهم, وضع القرارات و التشريعات الخاصة بفرض النظام و استقراره, و تحقيق الرفاهية.

قام "غبرييال الموند" بدراسة النظم السياسية في العالم في اطار وظيفي, مرتكزا على ثلاثة عناصر مهمة هي:

- البنية, اي السلوكيات المنتظمة و الادوار التي تكون الانظمة السياسية.
- الوظيفة, وتمثل الممارسة الكافية لمختلف المهام, لبقاء النظام المشترك و استمراره.
- النظام, و اهدافه التي تتجسد عن طريق اداء البنية لوظائفها.

و في هذا الصدد يعرف "الموند" النظام السياسي على انه, تفاعلات التكامل و التكيف داخليا و خارجيا للدول الكاملة السيادة, عن طريق الالزام المادي المشروع.[1] فهو يلخص النظام السياسي في:

- الشمول, اي انه يجمع بين كل الوظائف التي تساهم في استمراره بالإلزامية المادية المشروعة, و يشمل المؤسسات السياسية و اية مكونة من المكونات الاخرى.
- الاعتماد المتبادل, و فيه تتأثر مجموع البنى داخل النظام, بأي تغير يمس اي جزء من هذه الاخيرة.
- الحدود, و هي تلك التفاعلات التي تحدث بين البنى داخل النظام المشترك, حيث تختلف النظم حسب مدى تعقيد البناء السياسي لها, ومدى حداثته, و حسب عدد و ادوار المؤسسات السياسية,

و يرى "الموند" ان النظم السياسية لها خصائص مشتركة و هي: ان النظم السياسية تعتبر انظمة مهما كانت بسيطة, و في هذه الحالة نقارنها حسب الشكل و التخصص البنيوي. ايضا النظم السياسية لها نفس الوظائف, مهما كانت بيئتها متحضرة ام لا, فقط نقارنها من حيث تكرار الوظائف, الاجهزة المكلفة بها, و طريقة ادائها. ثم ان النظم السياسية لها ثقافات مختلطة و متنوعة, نقارنها بالثقافة المسيطرة على باقي الثقافات.

[1]– اسماعيل عبد الفتاح, محمود منصور هيبة, **النظم السياسية و سياسات الاعلام**, مركز الاسكندرية للكتاب, مصر, 2005, ص.ص. 73–74.

و في نفس السياق, قام مجموعة من الباحثين بمقارنة نماذج ميدانية للتكامل. نأخذ منهم "ارنست هاس", الذي ركز على مجموعة من المتغيرات منها:

- وجود التكامل متوقف على التنبؤ بمنافعه المادية.
- نشاط النخب الذي يهدف لتحقيق المصلحة, يخلق التكامل.
- القوة لها ارتباط مباشر بتطوير المجتمعات و انتعاشها.
- اهمية الانتشار في التكامل, لان نجاح المنظمات فوق القومية في مجال ما, يدعو الى تعميمه على مجالات اخرى.

اما "دوتش", اعتمد على الجانب الاتصالي بين الدول و النخب لتفعيل التكامل. و "جوزيف ناي" يقول ان " الوظيفية الجديدة ما هي إلا فيدرالية في ثياب وظيفية, تسعى لتحقيق اهداف فدرالية من خلال ما يبدو, و بوسائل وظيفية. "[1]

[1]– حمدوش رياض, **محاضرات في نظريات التكامل و الاندماج, المدرسة الوظيفية و الوظيفية الجديدة**, جامعة قسنطينة, قسم العلوم السياسية.

الفصل الاول: معالم السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي

المبحث الاول: بيانات تعريف الاتحاد الاوروبي

- مراحل تشكيل الاتحاد الاوروبي
- التنظيم المؤسساتي للسياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي
- عناصر يختص بها الاتحاد الاوروبي كفاعل دولي

المبحث الثاني: محاور السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي

- السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي
- السياسة الخارجية الامنية المشتركة للاتحاد الاوروبي
- السياسة الخارجية الاقتصادية الموحدة للاتحاد الاوروبي

المبحث الثالث: البعد العالمي للاتحاد الاوروبي

- التهديدات و التحديات الدولية التي تواجه الاتحاد الاوروبي
- حصيلة اشغال الاتحاد الاوروبي و دوره في العالم
- ترسيخ الاتحاد الاوروبي لنظام عالمي تعددي جديد

ملحق 1: خريطة الاتحاد الاوروبي في سنة 2016

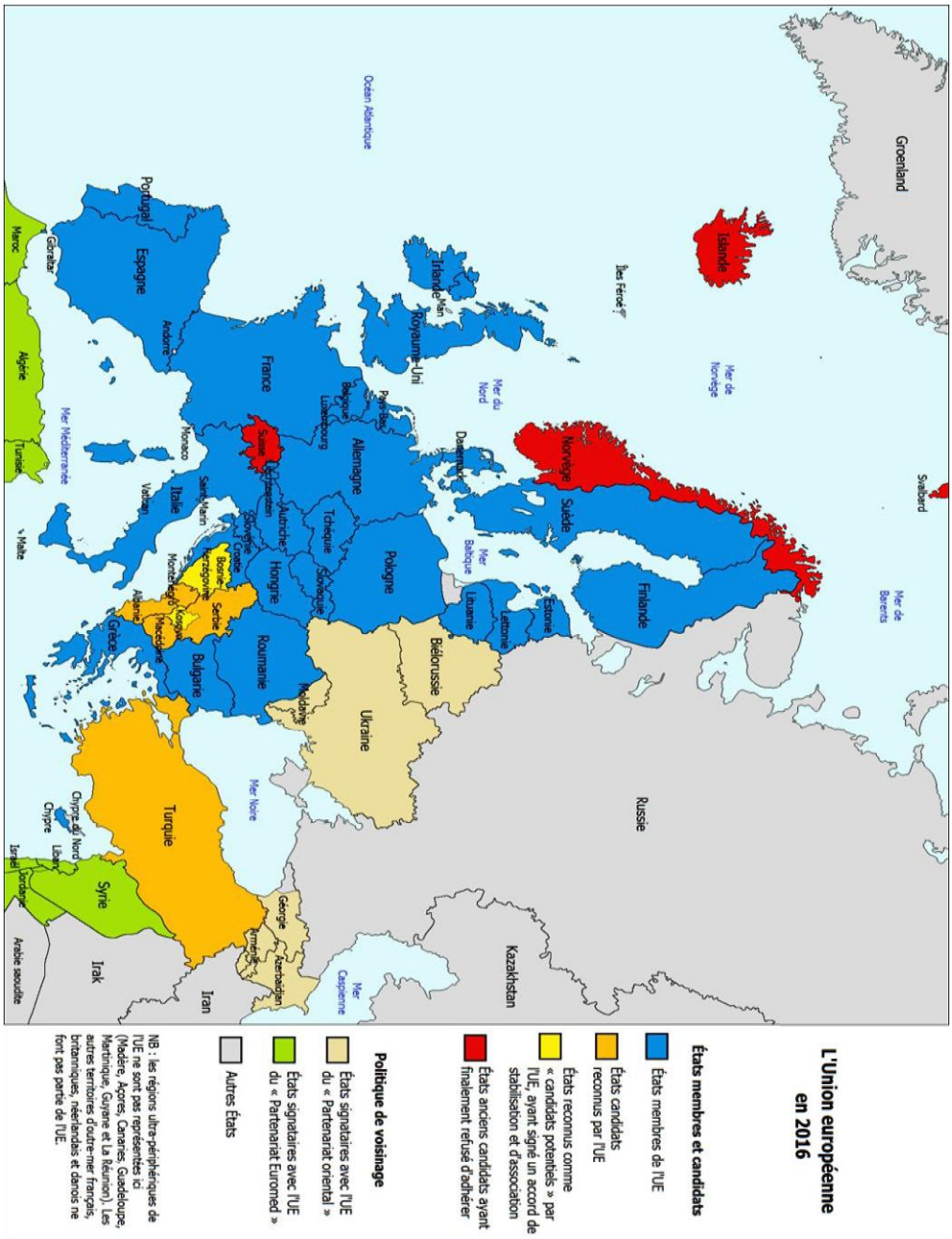

http://librecours.eu.free.fr/spip/IMG/png/1065_ue.png

الفصل الاول: معالم السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي

اوروبا هي اصغر قارات شمال الكرة الارضية, و دولها لا تجمع بينهم اي روابط مشتركة او اواصل عميقة تذكر, سواء من حيث وحدة اللغة او وحدة الاصول العرقية او حتى وحدة الثقافات الوطنية القومية, و لكن يمكننا القول ان ما يجمع بينهم فعلا هو وحدة الامل, و الارادة المشتركة في تحقيق مستوى من التكامل, بين دول قومية واعية و ناضجة. تحترم الخصوصيات الثقافية و القومية لكل واحدة منها, و ان لهم ادراك تام بان الغاية من هذا الاندماج هو تقبل هذا التنوع في الهويات الثقافية و القومية, و اكثر من ذلك, بل يجب تعزيزها بإقصاء أي رفض او تنافر بين هذه الاخيرة, و ان من مصلحتهم التفكير في مستقبلهم و ترك خلافاتهم التاريخية و حروبهم الدموية خلفهم.

المبحث الاول: بيانات تعريف الاتحاد الاوروبي

قبل التطرق الى مسيرة تأسيس الاتحاد الاوروبي حتى الوصول الى ما هو عليه الان, يجب الاشارة الى ان جذور هذا التنظيم تعود الى تاريخ ميلاد اتجاه فكري, تشكل في اذهان بعض المفكرين و الفلاسفة و رجال القانون و السياسيين, قبل ان يجد مساره نحو مشروع سياسي محكم بمؤسسات ذات شرعية ديمقراطية, يعززها رؤساء دول و حكومات و قطاعات اخرى سياسية و اقتصادية و اجتماعية من مختلف الدول الاوروبية. [1]

المطلب الاول: مراحل تشكيل الاتحاد الاوروبي

ان نشأة الاتحاد الاوروبي تعود الى فترة الحرب العالمية الثانية, و كل المحاولات السلمية و العسكرية التي كانت من قبل بهدف توحيد اوروبا, و التي تضاعفت بعد الحرب العالمية الاولى, لم يكن لها أي اطار سياسي منظم. لكن بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة و نظرا لما خلفته هذه الاخيرة من دمار للبنى و المدن و خسائر بشرية و اقتصادية معتبرة لكل الاطراف, ظهر هناك رأي عام اوروبي يرفض فكر الحركات القومية المتطرفة, الذي ادخل اوروبا في الحرب لمرتين على التوالي في فترة قصيرة. فكان من

[1]– انور محمد فرج, **السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي تجاه الشرق الاوسط, اعلان برشلونة نموذجا**, مجلة الدراسات الدولية, العدد 39 , جامعة السليمانية, ص. 68 .

الواجب ايجاد حل كي لا تكون هناك حرب ثالثة, و ذلك بالاستجابة الى الاقتراحات الملحة للنخبة الاوروبية في خلق كيان اوروبي فدرالي قائم على اسس ديمقراطية. و لكن انقسام اوروبا بعد الحرب العالمية الثانية الى معسكرين يواجه كل واحد الاخر, اثر على مخطط التوحيد الاوروبي. و بالرغم من ذلك كان هناك نشاط مكثف لعدة جماعات و مؤسسات غير الرسمية من اجل تجسيد الوحدة الأوروبية.[1]

فالبداية كانت مع معاهدة بروكسل في 17 مارس 1948 لمتابعة مشروع مساعدات مارشال, بعدها تأسست المنظمة الاوروبية للتعاون الاقتصادي في 16 افريل 1948 للتنسيق بين خطط التنمية الاقتصادية و اعادة تعمير 16 دولة اوروبية. تبعها تشكل الحلف الاطلسي في 04 افريل 1949 بشراكة مجموعة من دول اوروبا الغربية مع الولايات المتحدة الامريكية.

و في 1951 تجسد مشروع "شومان" وزير الخارجية الفرنسي السابق, و تشكلت الجماعة الاوروبية للفحم و الصلب, اين تم وضع كل الانتاج الالماني و الفرنسي للحديد و الصلب تحت سلطة عليا مشتركة في منطقة منفتحة, تسمح بمشاركة و التحاق دول اوروبية اخرى لهذه الجماعة, و بالفعل توسعت الاتفاقية بانضمام (بلجيكا, هولندا, ايطاليا, و لوكسمبورغ).

تليها اتفاقية "روما" في 1957 التي شكلت الجماعة الاقتصادية الاوروبية, مع توحيد النظام الجمركي بين الدول الستة للسوق الاوروبية المشتركة. كذلك شكلت هذه الاتفاقية الجماعة الاوروبية للطاقة الذرية. و في 1967 توحدت كل من الجماعة الاقتصادية الاوروبية و الجماعة الاوروبية للفحم و الصلب و الجماعة الاوروبية للطاقة الذرية تحت اسم واحد هو المجموعة الاوروبية و التي انضم اليها في 1973 كل من (بريطانيا و ايرلندا و الدانمارك) ثم (اليونان) في 1981, بعدها (اسبانيا و البرتغال) في 1986, لتصبح المجموعة مكونة من 12 عضوا.

و في 02 سبتمبر 1991 تم اتفاق المجلس الاوروبي على معاهدة "ماستريخت", و كان التوقيع عليها في 07 فيفري 1992 من طرف وزراء خارجية الجماعة الاوروبية بمدينة ماستريخت الهولندية, لتدخل حيز

[1]- مخلد عبيد المبيضين, **الاتحاد الاوروبي كظاهرة اقليمية متميزة**, ط 1 , الاكاديميون للنشر و التوزيع, عمان الاردن, 2012 , ص.ص. 91-92.

التنفيذ في 01 نوفمبر 1993 و التي اعطت ميلاد الاتحاد الاوروبي, وكانت تنص على خطوات جديدة لتفعيل الاندماج هي: [1]

1 / توحيد السياسة الخارجية و السعي لإقامة نظام دفاعي اوروبي مشترك, حفظ الامن و السلام الدوليين, تفعيل التعاون الدولي, الديمقراطية, دولة القانون, و احترام حقوق الانسان.

2 / انشاء منطقة تجارية اوروبية حرة, اعتماد تسهيلات الدخول في التجارة العالمية. انشاء بنك موحد للتمويل و الاستثمار و التنمية, خلق عملة نقدية موحدة "الاورو" في مدة اقصاها 01 جانفي 1999 .

3 / تشكيل المواطنة الاوروبية التي تمنح العديد من المزايا, كحرية التنقل و حق الاقامة في كل دول الاتحاد و حق الانتخاب, و التعاون داخل الاتحاد في مجال التطور التكنولوجي و البيئة و المواصلات.

4 / تطوير قانون المجموعة الاوروبية, حيث زادت من فاعلية البرلمان, و تم ادخال تعديلات على العمل المشترك في مجال القضاء و الامن الداخلي.

كما جاء في هذه الاتفاقية شروط "كوبنهاغ" للعضوية في الاتحاد الاوروبي, و هي شروط تشريعية و سياسية و اقتصادية. بالرغم من هذا, فقد تزايد انضمام الدول الاوروبية للاتحاد, ففي 1995 انضمت كل من (السويد و النمسا و فنلندا), و بعدها كان الاتجاه نحو اوروبا الشرقية بالتحاق كل من (بولندا. المجر, التشيك, سلوفاكيا, سلوفينيا, ليتونيا, استونيا, ليتوانيا, , قبرص و مالطا) [2] في 01 جانفي 2004 , ثم (بلغاريا و رومانيا) في جانفي 2007 , و اخيرا (كرواتيا) في 2013 . لكن بخروج بريطانيا من الاتحاد الاوروبي في جوان 2016 وفق استفتاء بخصوص عضوية هذه الاخيرة في الاتحاد الاوروبي, اين صوت 52 % من الناخبين لصالح خروجها من الاتحاد, اصبح عدد الاعضاء فيه 27 عضوا.

جاء اعلان شومان بالكلمات التالية: " لن تصنع اوروبا دفعة واحدة, و لا وفقا لخطة عامة واحدة, بل ستبنى من خلال انجازات ملموسة تخلق اولا تضامنا واقعيا." و بالفعل تشكيل الاتحاد الاوروبي كان تدريجيا, وفق منهج توسعي بالانتشار من مجال لأخر, سواء فيما تعلق بمساحته الطبيعية او عضوية

[1] – احمد سعيد نوفل, **الاتحاد الاوروبي في مطلع الالفية الثالثة: الواقع و التحديات**, دراسة, جامعة اليرموك, قسم العلوم السياسية, الاردن, ص.ص. 4-5.

[2] – WIKIPEDIA, **Union Europienne**, https://fr.wikipedia.org/wiki/Union_europ%C3%A9enne.

الدول, او الافكار و الاختصاصات و برامج العمل, او حجم و شكل مؤسساته و مهامها الداخلية و الخارجية. [1]

المطلب الثاني: التنظيم المؤسساتي للسياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي

يقوم الاتحاد الاوروبي على قاعدة تجمع بين ثلاث مؤسسات تنظيمية: مؤسسات رئيسية تعمل في ميدان صناعة القرار, و اخرى مؤسسات و هيئات تتولى مهام الرقابة, و مجموعة اجهزة و فروع استشارية و اخرى مستقلة, بالإضافة الى مجموعة من الوكالات المتخصصة كالمراكز و المكاتب, و العديد من التجمعات كالاتحادات و التنظيمات. تساهم كل واحدة منها في تنظيمه و تطويره و تقويته. ومن اهم هذه المؤسسات المكلفة باتخاذ القرارات نجد ثلاثة هيئات ادارية تمثل مركز عمل الاتحاد, و هي:

1) مجلس الاتحاد الاوروبي: و يجمع بدوره بين:

1 / المجلس الاوروبي (الرئاسي): هو مجلس على اعلى مستوى, يحضر اجتماعاته مرتين في السنة رؤساء الدول او الحكومات, رئيس المفوضية الاوروبية, و رئيس المجلس الاوروبي, و الذي يجري التناوب على منصبه كل ستة اشهر, و هو الذي يمثل الاتحاد خارجيا, له مهام تحديد سياسات الاتحاد و توجيهها في بعض المواضيع التي لا قدرة للوزراء على حلها, مثل معاهدات التعديل المهمة. [2]

2 / مجلس الاتحاد الاوروبي (الوزاري): يتكون من وزراء الدول الاعضاء, و يجمع بدوره بين مؤسستين: أ / مجلس الشؤون العامة لوزراء خارجية الدول الاعضاء مهمته دراسة و تحضير السياسات الخارجية للدول العضو في الاتحاد. ب / المجالس المتخصصة لوزراء المجالات المختلفة, مثل مجلس وزراء المالية, او مجلس وزراء الزراعة و مهامها تقتصر على تحضير السياسات الاقتصادية للدول الاعضاء كل في مجال تخصصه.

و تتولى الدول الاعضاء في الاتحاد رئاسة المجلس بالتناوب مدة ستة اشهر, و يربط المجلس بين البرلمان و المفوضية, من مهامه تحديد سياسة الاتحاد و ميزانيته في مجال الاختصاص المحدد, و له الحق في التشريع بمساعدة البرلمان الاوروبي.

---

[1]- جون بيندر و سايمون اشروود, **الاتحاد الاوروبي, مقدمة قصيرة جدا**, ت, خالد غريب, مراجعة, ضياء وراد, ط 1, مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة, القاهرة مصر, 2015 , ص.ص. 20-40.

[2]- المرجع نفسه, ص. ص. 41-43.

و من بين السياسات التي يحضر لها مجلس الاتحاد الاوروبي الوزاري هي: السياسة البيئية, مراجعة السياسات الاقتصادية و الاجتماعية, تطوير الثروة الزراعية و السمكية, سياسات الحفاظ على حرية المواطنين و الامن و العدل, قضايا الهجرة و اللجوء الاجنبي, السياسات الخارجية و الامنية المشتركة, الامن و الاستقرار العالمي, السياسات المستقبلية للاتحاد و توسعه. [1]

2) المفوضية الاوروبية

تمثل البلورة الفعلية للاندماج الاوروبي, و تعبر عن مصالح الوحدة الاوروبية بصفة عامة و ليس عن مصالح الدول الاوروبية, مقرها "ببروكسل", و وفقا لمعاهدة "نيس", يحق لكل دولة عضو تعيين مفوضا واحدا بعد ان كانت الدول الكبرى في الاتحاد (المانيا, فرنسا, بريطانيا, و ايطاليا) تعين مفوضان, و هم اشخاص يشغلون مناصب عالية في بلادهم, يتم تعيينهم لمدة خمس سنوات قابلة للتجديد, بعد موافقة البرلمان الاوروبي, و هو ما يتوافق مع دورته التشريعية, بالإضافة الى رئيس يختاره ممثلون من كبار النخبة السياسية للدول الاعضاء, القائمون على السياسة العامة للاتحاد الاوروبي, تجتمع المفوضية مرة واحدة على الاقل في الاسبوع, و رئيسها يشارك رؤساء الحكومات و الدول الاعضاء في اجتماعات المجلس الاوروبي كل ستة اشهر, و يمثل الاتحاد في المؤتمر السنوي لمجموعة الدول الصناعية الكبرى الثمانية, اما عن نظام التصويت فيها فانه يعمل بالأغلبية, و مهامها تتمثل في: [2]

- اعداد و تقديم التشريعات و القوانين, بالتعاون مع الهيئات الاستشارية للاتحاد, و في النهاية عرضها على البرلمان و المجلس الاوروبي.
- مراقبة تنفيذ قرارات مختلف اجهزة الاتحاد, و مدى الالتزام بمواد الاتفاقات.
- وضع و تسيير الميزانية العامة للاتحاد, و التفاوض في مسائل التعاون و التجارة الدولية, و هي بدورها عليها ان تقدم كل حساباتها الى البرلمان الاوروبي, بعد اشراف الجهاز الاوروبي للمحاسبات على كل نفقات الميزانية المشتركة.
- تمثيل الاتحاد في الخارج, و التصدي للتهديدات التي تواجهه.

فالمفوضية لها دور مهم جدا و حساس داخل الاتحاد, فهي بمثابة الجهاز التنفيذي للاتحاد الاوروبي.

3) البرلمان الاوروبي

---

[1]- انور محمد فرج, مرجع سابق, ص.ص. 76-77.

[2]- المرجع نفسه, ص.ص. 78-79.

يتكون البرلمان الاوروبي من 750 عضو من مختلف جنسيات الدول الاعضاء في الاتحاد, يتم انتخابهم من طرف شعوب دولهم كل خمس سنوات. نظام التصويت فيه يعمل بالأغلبية البسيطة, و اجتماعاته علنية. اعضاءه لهم ثقافة خاصة بهم, انهم لا يعطون اصواتهم للدول التي يمثلونها و انما الى الاتجاهات الحزبية التي ينتمون اليها, اما فيما يتعلق باجتماعاته فكلها علنية. ان مهام البرلمان الاوروبي تسير مع الوقت نحو التوسع, بدءا من التشاور, الى التعاون بموجب "القانون الموحد", لتنتهي في حيز "الاجراء التشريعي العادي." لقد اصبح للبرلمان الاوروبي وفق معاهدة "لشبونة" نفس حقوق المجلس الاوروبي في الموافقة على الميزانية العامة للاتحاد, و اقرارها و الاشراف على دفتر النفقات فيها, و الرقابة الديمقراطية على مجالات مختلفة لم تكن من صلاحياته من قبل. فزيادة عن مهامه الرقابية المسلطة على برنامج اشغال المفوضية الادارية و المالية, فان له الحق ايضا في رفض ميزانية المفوضية ان لم يكن مقتنعا بها, او الموافقة عليها, هذا بعد العودة الى تقرير جهاز المحاسبات الاوروبي, و اذا اقتضى الامر, يمكن له ان يشكل لجان مكونة من خبراء محترفين للبحث في تفاصيل الميزانية و نفقاتها و تقديم تقرير مفصل للبرلمان. [1]

البرلمان الاوروبي عبارة عن جهاز تشريعي, استشاري, رقابي, يدقق في عمل المفوضية, و يوافق على تعيين اعضائها, كما يصادق على الاتفاقيات الدولية و يشارك في وضع القوانين و التشريعات.

البرلمان الاوروبي حقق نجاحات معتبرة في اداء مهامه, تضاهي سلطة المجلس الاوروبي, الى درجة ان هناك اطراف من الاتحاد الاوروبي و خاصة المانيا, تسعى الى منح البرلمان صلاحيات اوسع في مجال التشريع, من اجل تشكيل هيئة برلمانية اوروبية فوق وطنية.

لكن يعاب عليه تراجع اهتمام شعوب الدول الاعضاء التي تظهر جليا في انخفاض نسبة المشاركة في انتخابات نواب هذا الاخير. ربما هذا راجع الى الازمات الاقتصادية التي مست الاتحاد الاوروبي مثل العديد من دول العالم, و التي انعكست بدورها على السياسات المنتهجة من قبل الدول الاعضاء, و بالتالي عدم ثقة الشعوب في القادة السياسيين و الهيئة البرلمانية لدولهم, و التي يعبر عنها بعدم تقرب المواطنين الى مكاتب الاقتراع داخل دولهم, ثم عمت الظاهرة و انتشرت الى انعدام الثقة في الاتحاد الاوروبي و اجهزته بداية بالبرلمان الاوروبي, و الرد عليهم بالامتناع في التصويت. هناك ايضا ما يلام على البرلمان الاوروبي من ضخامة نفقات النواب, و تباعد بنايات البرلمان بين "بروكسل" و "ستراسبورغ"

[1]– جون بيندر و سايمون اشروود, مرجع سابق, ص. 47.

و ما يترتب عليه من مصاريف التنقل بين البنايتين. ايضا يمكن اضافة عامل اخر و هو تجاهل المواطن الاوروبي داخل الاتحاد, الى حجم الصلاحيات المخولة للبرلمان الاوروبي و للدور الذي يلعبه في توجيه سياسات الاتحاد ككل, و التي تنعكس بدورها على السياسات الداخلية للدول الاعضاء و على المواطن داخل مجتمعه. [1]

يتكون الاتحاد الاوروبي ايضا من محكمة العدل الاوروبية التي تتولى مهام الاشراف على تنفيذ و احترام القوانين. و ديوان المحاسبات الاوروبي الذي يتولى الاشراف و متابعة ميزانية الاتحاد. كما يوجد العديد من الهيئات الادارية ذات اختصاصات متنوعة.

المطلب الثالث: عناصر يختص بها الاتحاد الاوروبي كفاعل دولي

1/ استقلالية الشخصية الدولية للاتحاد الاوروبي و طبيعتها القانونية الخاصة: ان تنازل الدول الاعضاء عن بعض من سيادتها لأجل تحقيق الاهداف المنصوص عليها في الاتفاقيات التأسيسية, جعل نظامه المؤسساتي مستقلا عن هذه الاخيرة, يهدف الى تحقيق مصلحة اوروبية عامة. فسلطاته ليست شكلية بل تسطر حقوق و واجبات تخص الدول, المجتمعات, الجماعات, و الافراد. حيث كل ما يصدر عن الاتحاد من تعليمات ذات التطبيق المباشر تكون الزامية على الدول الاعضاء, و تطبق فورا دون اجراءات تمهيدية لتحويلها الى النظام القانوني الوطني, فهي ذات اولوية على النظم المحلية في حالة التعارض, اما ما يصدر عنه في شكل توجيهات و بالرغم من الزاميتها, فإنها لا تطبق فورا و مباشرة, بل يمكن للدول تحويلها الى نظامها القانوني المحلي بطريقتها الخاصة. [2]

2/ ديمقراطية الاتحاد الاوروبي: و يتجلى هذا في خصوصية نظامه السياسي و شكل قواعده و احكامه المكتوبة, القريبة من المنظمة الدولية الحكومية اكثر منه للدولة, و شرعية سلطاته النابعة من اتفاق سياسي ارادي مقنن بين دول مستقلة ذات سيادة و ليس وفق عقد اجتماعي بين حكومة و شعب. و نجد هذا الطابع ايضا في قانون عضوية الدول في الاتحاد في شرط قبول النظم السياسية الديمقراطية فقط. كما تظهر ديمقراطيته ايضا في لجوء الدول الاعضاء عند اجراء تعديلات مهمة في المعاهدات الاساسية او في حالة ابرام معاهدات جديدة الى اضافة استفتاء شعوبها الى تصديق سلطتها التشريعية المنتخبة

[1]- جون بيندر و سايمون اشروود, مرجع سابق, ص. 49.

[2]- مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص. ص. 27 – 29 .

بدورها بالاقتراع المباشر. كما يركز الاتحاد دائما على المشاورات الدائمة مع هيئات و ممثلي المجتمع المدني في صناعة القرار على مستوى هيئاته المتخصصة. [1]

3/ كيفية تعامل الاتحاد الاوروبي مع الدول الاعضاء فيه: إنها تختلف تماما عن علاقة المنظمات الدولية التقليدية و طريقة تعاملها مع الدول المنخرطة فيها, فالاتحاد الاوروبي له طريقتين في التعامل, الاولى تعطي للدول الصغيرة قبل الكبيرة حق المطالبة بالمساواة في الحقوق و الواجبات و التعامل بمبدأ التمييز بين الاغلبية المطلوبة في اتخاذ القرارات حسب نوعية القضايا, فالأمور الحيوية او تلك التي تتعلق بسيادة الدول الاعضاء يشترط التصويت فيها الاجماع اي المساواة بين الجميع. و الثانية هي عدم المساواة الفعلية في قدرات و امكانات هذه الدول و التعامل بمبدأ التناسب بين الوزن الفعلي و الوزن التصويتي في صناعة السياسات المشتركة, فالدول تتنازل عن بعض من سيادتها للاتحاد او تحتفظ بها كاملة حسب نوع المسائل المطروحة.

4/ المراكز القانونية لدول الاتحاد الاوروبي داخل مؤسساته: و فيها ثلاث انواع من المؤسسات, و هي الهيئات الرئيسية لصناعة القرار و المتمثلة في المجلس (الاوروبي و الوزراء), المفوضية, و البرلمان. ثم الهيئات الرقابية مثل محكمة العدل الاوروبية, و ديوان المحاسبات, و اخيرا هيئات ثانوية مكونة من اجهزة استشارية كاللجنة الاقتصادية و الاجتماعية, و اجهزة مستقلة كبنك الاستثمار. ان بنية هذه المؤسسات تظهر جليا اختلاف الدول الاعضاء في المراكز القانونية و في عملية صنع القرار و في ميكانيزم التصويت, من خلال اختلاف عدد مقاعد الدول داخل هذه الهيئات كما هو الحال في البرلمان او في اللجنة الاقتصادية و الاجتماعية, اين نجد لألمانيا او فرنسا اكبر عدد من المقاعد مقابل اصغر عدد لقبرص او مالطا, نفس الشيء نجده مثلا في المجلس بالنسبة للقضايا التي تتطلب اوزان تصويتية متباينة بالأغلبية الموصوفة. [2]

5/ سلطات النظام السياسي للاتحاد الاوروبي: هو نظام ديمقراطي يشترط ديمقراطية النظم السياسية للدول الاعضاء, و بما ان مبدأ فصل السلطات هو دليل هذه الديمقراطية, فيمكن اعتبار نظام الاتحاد و سلطاته التنفيذية (المجلس بشقيه الاوروبي و الوزاري مع المفوضية), التشريعية (البرلمان), و القضائية (محكمة العدل الدولية) انها منفصلة شكليا و ليس فعليا, فالتداخل و الخلط بين صلاحيات هذه الاخيرة

[1]- مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص. ص. 29 – 30 .

[2]- المرجع نفسه, ص. ص. 31 – 33 .

يتجلى مثلا, في كون اعضاء المفوضية معينون من طرف حكومات الدول, لكنها تنشط في استقلالية عن مجلس الوزراء, انها ذات طبيعة بيروقراطية و ليس تمثيلية, فهي سلطة حكومية سياسيا, اما المجلس فله صلاحيات تشريعية واسعة فهو يقترح ميزانية الاتحاد ثم يشارك البرلمان في اقرارها, انه صانع القرار و مسطر القانون العام المطبق على دول الاتحاد. اما البرلمان فكأن سلطاته رقابية اكثر منها تشريعية, يمكن ان تطبق الرقابة على المفوضية لكن ليس على المجلس. اما السلطة القضائية فهي السلطة الوحيدة المستقلة بشكل فعلي عن باقي السلطات.

6/ استقلالية دور الاتحاد الاوروبي في الفضاء الدولي: في مجال السياسة الخارجية يتمتع الاتحاد الاوروبي بشخصية قانونية دولية ساعدته على اداء دور مستقل, مر بمراحل عديدة غيرت من شكله و محتواه تماشيا مع تطور التكامل و الاندماج بين الدول الاعضاء. فالبداية كانت تقتصر على المعاملات التجارية مع العالم الخارجي, ثم تطورت شيئا فشيئا لتشمل مجالات عديدة في ادارة الشؤون الخارجية. حيث نجد له سياسة خارجية موحدة يسيرها لوحده نيابة عن جميع الدول الاعضاء, و تخص المجال الاقتصادي. و سياسة خارجية مشتركة يسيرها بالتعاون مع الدول الاعضاء دون ان يتخلوا عن صلاحيتهم بالكامل, حسب ما يحدده القانون الخاص, و تشمل اغلب مجالات السياسة الخارجية و الامن. و سياسات انفرادية تترك للدول حرية تسييرها و لا يتدخل فيها الاتحاد, و تكون في حالات استثنائية كالمجال الثقافي و الرياضي. [1]

7/ مرحلية نشاط مؤسسات الاتحاد الاوروبي: بدأ نشاط مؤسسات الاتحاد بتكامل القطاعات في مجال الفحم و الصلب, ثم امتد الى قطاعات اخرى كالطاقة النووية و الاقتصاد و التجارة, بعدها غير المسار نحو تكامل السياسات بدئا بالسياسات الزراعية ثم النقدية و المالية بعدها السياسات الخارجية و الامن و حقوق الانسان و اخيرا سياسات التنسيق في الامن الداخلي و القضاء و الجريمة المنظمة. لكن هذا التكامل و الاندماج يختلف في درجة تطوره حسب المجالات, فهو يستخدم وسائل و اليات مختلفة و يعمل وفق ميكانيزمات و سرعة اداء متفاوتة من قطاع لأخر و من سياسة لأخرى, حيث تتسع سلطة مؤسساته كلما تعلق الامر بالسياسات التجارية و الاقتصادية و تضيق كلما تعلق الامر بالسياسات الخارجية و الامنية و القضاء. [2]

---

[1]- مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص. ص. 33 -37 .

[2]- المرجع نفسه, ص. ص. 40 -41 .

8/ خصوصية الاتحاد الاوروبي دوليا: انه يختلف عن كل الفواعل الدولية الاخرى. حيث نظامه السياسي و القانوني له بعض سمات الدولة الفدرالية لكنه ليس بدولة بل اقل منها لأنه لم يصل بعد الى اقصائها او اضعافها سياسيا و قانونيا. كذلك نقف عند بعض الخصائص في نظامه السياسي التي لا نجدها إلا في منظمات دولية حكومية ,و اخرى لا نجدها إلا في منظمات دولية غير حكومية, لكنه ليس بمنظمة دولية بل اكثر منها, هذا راجع للسلطة الحقيقية التي تتمتع بها بعض مؤسساته في مجالات معينة و التي تفوق سلطة الدول الاعضاء. ايضا لا يوجد للاتحاد مواد قانونية مسجلة في وثيقة تمثل دستوره, لكننا نجد احكام دستورية تحدد العلاقة بينة و بين الدول الاعضاء فيه و بين مؤسساته المكونة له مع بعضها البعض, في اتفاقياته التأسيسية و في المعاهدات التكميلية او في القواعد القانونية الصادرة عن مؤسسات الاتحاد او القواعد التي اصبحت كعرف من خلال الممارسة. ان علاقة الاتحاد بالدول الاعضاء فيه او علاقته بالدول الخارجة عنه تقوم على مبدأين رئيسيين ركزت عليهم كل الاتفاقيات و المعاهدات هما: مبدأ الديمقراطية و مبدأ حكم القانون. [1]

9/ مناهج بناء سياسات الاتحاد الاوروبي: من اجل تحقيق الاهداف المسطرة في الاتحاد, تنشط مؤسسات هذا الاخير وفق منهج التكامل و الاندماج من اجل توحيد السياسات و امل توحيد مؤسساته يوما ما. بالتدرج في عملية التكامل بالانطلاق من الاسفل الى اعلى, بمعنى الاهتمام بالمسائل التي لها علاقة مباشرة باحتياجات المواطن الاوروبي في معظم دول الاتحاد قبل المسائل المتعلقة بحكومات الدول الاعضاء و السياسات الخارجية لها, او المسائل المتعلقة بالمصلحة الخاصة لعدد قليل من دول الاتحاد دون باقي الاعضاء. و تحقيق التكامل بانشاء سلطة مؤسسية عليا مشتركة تتنازل لها الدول الاعضاء عن بعض من سلطاتها تدريجيا عبر مراحل زمنية تخطيطية تتناسب و طبيعة القضايا و السياسات المبرمجة للوصول الى الاندماج المثالي. كما تنشط مؤسسات الاتحاد ايضا وفق منهج التنسيق و التعاون بين اعضاء و مؤسسات الاتحاد في مجالات مختلفة, من خلال التعاون في السياسات الخارجية و الامنية المشتركة و من خلال التنسيق بين سياسات القضاء و الامن الداخلي للدول الاعضاء, بهدف إزالة التعارض بين السياسات القائمة و منح الحرية التامة للدول الاعضاء في تحديد مجال العمل المشترك و مخطط تطبيقه و مدة انجازه. ان الاتحاد الاوروبي على خلاف التنظيمات المشابهة له استطاع و بكل ذكاء ان يجمع بين هاذين المنهجين في ان واحد, بل استطاع ايضا ان ينقل بعض نشاط مؤسساته

[1]– مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص. ص. 38 – 39 .

تدريجيا من المجالات التي تعمل وفق منهج التنسيق و التعاون الى المجالات التي تعمل وفق منهج التكامل و الاندماج.[1]

المبحث الثاني: محاور السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي

كانت علاقات الاتحاد الاوروبي مع الفواعل الدولية في بداية الامر مركزة على المجال الاقتصادي, لكن بين رغبة المانيا في انهاء السيطرة السوفياتية على المانيا الشرقية و التصدي لها سياسيا, و بين حلم فرنسا في جعل الاتحاد قوة عالمية لا تقتصر فقط على صياغة سياسات شراكة مع الولايات المتحدة الامريكية بل تتحدى هيمنتها على العالم, و مع التغيرات التي حدثت في مدخل التسعينيات و التي تزامنت مع النجاح الاقتصادي الذي حققه الاتحاد, اصبح مشروع هيكلة سياسة خارجية مشتركة لدول الاتحاد ضرورة ملحة لا يمكن تأجيلها.

المطلب الاول: السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي

يمكن القول ان تجسيد المسار السياسي للاتحاد الاوروبي كان في بداية الخمسينيات بإنشاء "مجموعة الدفاع الأوروبي" ثم في الستينيات بانطلاق المفاوضات الاوروبية من اجل قيام تعاون سياسي اقوى, و التي توقفت في 1962 دون اقرار سياسات موحدة. لكن في السبعينيات تم انشاء "الية التعاون السياسي الأوروبي" التي يعقد فيها اجتماعات دورية لوزراء خارجية الدول الاعضاء من اجل التشاور و التنسيق في مجال السياسة الخارجية, بإصدار بيانات و قرارات رسمية في المسائل الدولية. ثم كان لمعاهدة "ماستريخت" في 1992 عند تأسيس الاتحاد الاوروبي الدور الكبير في ميلاد "السياسة الخارجية و الامنية الاوروبية المشتركة". و في عام 1999 خلال اجتماع مجلس اوروبا, تم الاتفاق على تفعيل دور الاتحاد الاوروبي في مواجهة القضايا الدولية من خلال "سياسة دفاعية قوية و جهاز عسكري ذاتي" و تأسيس "اجهزة صنع و اتخاذ القرارات", و تم خلق منصب "الممثل الاعلى للسياسة الخارجية و الامنية المشتركة" مهمته مساعدة مجلس الوزراء في تحضير كل ما يخص صناعة و تنفيذ السياسات الخارجية المشتركة. و في نفس السنة خلال قمة "هلسنكي" تم الاتفاق على تأسيس "قوة عسكرية أوروبية" لحفظ السلام و ادارة الازمات. و تلتها قمة "نيس" في 2000 التي اسست "اللجنة السياسية" و "اللجنة الأمنية"

[1]- مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص. ص. 41 – 44 .

لتسيير هذه القوة. و في معاهدة "لشبونة" 2007 تم خلق منصب "رئيس الاتحاد الأوروبي" من اجل تنشيط السياسة الخارجية المشتركة و اعادة صياغة اهداف هذه الاخيرة بشكل واضح و دقيق, ايضا خلق "مجلس الشؤون الخارجية الجديد" و فصله عن مجلس الشؤون العامة. [1] و في 2009 تم تأسيس "المفوضية الأوروبية" من 15 مفوضا من بينهم رئيس المفوضية و وزير خارجية الاتحاد الاوروبي, فهي المسؤولة عن تنفيذ السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي, انها بمثابة حكومة لأنها تصنع القرار داخل المجلس الاوروبي, و هذا الاخير يعتبر كجهاز توجيه و سلطة تصديق مساعدة لنشاط المفوضية. من اجل تحقيق اهداف السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي و المتمثلة في:

* المحافظة على قيم الاتحاد الاوروبي, و حماية مصالحه الاساسية و امنه و استقلاله و نزاهته.

* العمل بمبادئ الديمقراطية و تعزيز دولة القانون و احترام حقوق الانسان و القانون الدولي.

* الحفاظ على السلام في العالم و حل الصراعات و تعزيز الامن الدولي.

* مساعدة البلدان و المناطق التي تواجه كوارث طبيعية او كوارث من صنع الانسان.

* تحفيز التعاون الدولي من اجل تحقيق التنمية. [2]

و يرجع الباحثين تأطير السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي, الى عاملين مهمين ساهما بشكل واضح في تكريس هذه السياسة و تنشيطها هما:

*/ العامل الداخلي الاوروبي: النجاح الذي حققه التكامل الاقتصادي في تحقيق الوحدة الاقتصادية الاوروبية, اوجب التحضير لخطوة موالية تدعم هذا النجاح, و هي الوحدة السياسية التي ستساهم بدورها في المحافظة على الوحدة الاقتصادية و الاستعداد لمواجهة التهديدات و التعامل بحكمة مع التغيرات القائمة في الساحة الاوروبية. مثل كيفية تحديد حجم المساعدات المقدمة لأوروبا الشرقية بهدف تحقيق الاستقرار, و دراسة طلبات انضمام الدول الجديدة الى الاتحاد الاوروبي و الرد عليها.

---

[1]– مجدان محمد, **تحديات قيام سياسة خارجية اوروبية موحدة و مؤثرة**, مجلة المفكر, العدد 11, كلية الحقوق و العلوم السياسية, جامعة محمد خيضر, بسكرة, 2010, ص. 275.

[2]– معن عبد العزيز الريس, **الاتحاد الاوروبي و التفاعل الدولي في ظل النظام الدولي الجديد, القيود و الفرص**, مذكرة ماجستر في العلوم السياسية, جامعة الشرق الاوسط, الاردن, 2014, ص. ص. 110 – 111 .

*/ العامل الخارجي العالمي: بعد سقوط القطب الاشتراكي زال الخطر السوفياتي الذي كان يهدد اوروبا و يجبرها على مرافقة الولايات المتحدة الامريكية في سياق سياسة اطلسية, و في ظل نظام الاستقطاب الدولي الذي اثر سلبا على الوحدة الاوروبية, و بالخصوص على استقلالية السياسة الخارجية الاوروبية, فكلما اشتد الخناق بين القطبين الشرقي و الغربي التجأت اوروبا الى الاحتماء بأمريكا و الحلف الاطلسي, و كلما هدئت الاوضاع بين المعسكرين تضاعف نشاط الحركات الاستقلالية, ما يسبب بدوره اختلافات بين دول الاتحاد, مثل انسحاب فرنسا من حلف شمال الاطلسي في 1966 و عودتها التدريجية له بعد سقوط جدار برلين. و بانتهاء الحرب الباردة كان من الواجب تغيير نمط علاقات الاتحاد الخارجية, من خلال رسم و تنشيط سياسة خارجية اوروبية موحدة. تتماشى مع مدى ضرورة استمرارية الحلف الاطلسي, ايضا اعادة النظر في العلاقات الاوروبية الامريكية, ايجاد طريقة للتعامل مع المسائل الامنية الاوروبية و الدولية كمشكلة احتمال الانتشار النووي, و اخيرا تنظيم علاقات الاتحاد بالدول الشرقية المستقلة حديثا المنهارة عدم الاستقرار التي تعيشه من جراء انتقال نظمها السياسية الى الديمقراطية. [1]

نجد ايضا للسياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي اهتمامات تتبلور في اشكال تأخذها هذه الاخيرة من اهمها:

*/ الاستراتيجيات المشتركة, المتمثلة في علاقات استراتيجية واضحة للاتحاد مع فواعل اخرى, و تأخذ هذه العلاقات الصدارة في البرنامج السياسي الخارجي الاوروبي, كالشراكة الاستراتيجية مع روسيا لإدارة الازمات, كذلك مشروع "برشلونة" و الشراكة الاورومتوسطية في مجال السياسة و الامن, في مجال الاقتصاد و المال, و في المجال الاجتماعي و الثقافي و الانساني.

*/ المواقف المشتركة, و تترجم من خلال رد فعل الاتحاد بخصوص بعض المسائل الدولية او سلوك بعض الاطراف سواء بالتفهم و الرضى, او بالاستنكار و الرفض, عن طريق لوائح يصدرها الاتحاد يعبر فيها عن رأيه, او عن طريق تدابير عملية كفرض العقوبات.

*/ العمليات المشتركة: و المتمثلة في الترتيبات الميدانية التي يجريها الاتحاد بمفرده او بمشاركة اطراف دولية و اقليمية في حالات الازمات و الكوارث الطبيعية, من خلال حفظ السلام و الامن في مناطق النزاع, او من خلال الاغاثة و تقديم الاعانات للمتضررين. [2]

ايضا تقوم السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي على اسس نختصرها في مايلي:

---

[1]– مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص. ص. 181 – 183.

[2]– مجدان محمد, مرجع سابق, ص. 277 .

اولا – التوجه نحو الجنوب: بهدف محافظة الدول الاوروبية الكبرى على نفوذها في مستعمراتها القديمة, تم تبني سياسة خارجية خاصة, بمؤسسات متميزة, لتسيير علاقات الاتحاد مع هذه الدول, و التي تم تعميمها فيما بعد مع الدول النامية و العربية. حيث تعتبر الشراكة الاورومتوسطية خطوة حاسمة في اعطاء وجه جديد للسياسة الخارجية الاوروبية المشتركة, فكان مؤتمر برشلونة 1995 الذي اطر هذه الشراكة ضمن اتفاقيات سياسية و امنية و اقتصادية, قد نص على النقاط حاسمة هي: تفعيل التبادل الحر, الغاء قيود التبادل الخدماتي, تحرير رؤوس الاموال و الاستثمار, تثبيت حقوق الفئة العاملة المهاجرة. اما الاتحاد من اجل المتوسط في 2008 فقد جاء لتفعيل الاستراتيجيات السابقة و تقوية السياسات الامنية لمواجهة التهديدات الاتية من جنوب المتوسط. [1]

ثانيا – التوجه نحو الشرق: البداية كانت مع انهيار القطب الاشتراكي و ما نتج عنه من مخاطر امنية تهدد اوروبا, بسبب حالة عدم استقرار الدول المستقلة من الاتحاد السوفياتي و اشتعال النزاعات على الحدود فيها, تصارع اقلياتها, و مشاكل اعادة بناء هذه الدول و تأثير التحول الديمقراطي عليها. بعدها انتهز الاتحاد الاوروبي هذه الفرصة لنسج علاقات قوية مع هذه الاخيرة وفق برنامج دعم الامن النووي و الطاقة, اصلاح الادارة العامة, تكثيف النشاط التجاري, و تشجيع حماية البيئة. فأصبح الممول الاول لهذه المشاريع بمبلغ 2,27 بليون اورو بين 1991 و 1995 . و نظرا للحاجة الملحة للاتحاد الاوروبي للطاقة و اهميتها البالغة لدى الدول الكبرى, وجه الاتحاد تحركه نحو روسيا التي لها اكبر احتياطي عالمي من الغاز الطبيعي و لها الوسائل الكافية لنقله الى اوروبا. حيث ساهمت الدول المستقلة من الاتحاد السوفياتي عام 2011 في تمديد الاتحاد ب 41 % من احتياجاته للغاز و ب 51 % من احتياجاته للنفط. [2]

ثالثا – اعادة النظر في العلاقات الاوروبية الامريكية: يظهر للوهلة الاولى ان الاتحاد الاوروبي هو حليف الولايات المتحدة الامريكية لكنه في حقيقة الامر هو منافس تجاري و فني لها, فكان الاتفاق "عبر الاطلسي" 1990 بين امريكا و الاتحاد ليؤكد الدعم السياسي المتبادل للطرفين, و بانضمام دول شرق اوروبا الى الحلف الاطلسي تم تحديث مهامه السياسية, فأصبح اداة لدعم الامن و الاستقرار في اوروبا

[1]– معن عبد العزيز الريس, مرجع سابق, ص. ص. 111 – 112 .

[2]– المرجع نفسه, ص. ص. 114 – 115 .

بدلا من مهام التصدي للخطر العسكري السوفياتي. [1] كما ساهم في تقليص الصدمات التجارية بين الاتحاد و امريكا حول الفولاذ و الزراعة و الطيران المدني الذي انتهى بتعديل اتفاق "عبر الاطلسي" عام 1995 في قمتين انعقدت بين الطرفين لمناقشة مجالات التعاون المختلفة. [2]

رابعا – بناء نظام دولي جديد: كان اهتمام الاتحاد الاوروبي بالأدوات الدبلوماسية و الاقتصادية في سياسته الخارجية بدلا من الادوات العسكرية, و تكريس العمل الجماعي المشترك و صياغته في مؤسسات دولية و اقليمية بدلا من العمل المنفرد, يهدف الى غلق المجال امام امريكا في احتكارها لصنع السياسة الدولية و تنفيذها. و يتجلى هذا الاهتمام في نوع علاقات الاتحاد بالدول الكبرى مثل اليابان و الصين و تكتلات فاعلة مثل النافتا و الاسيان و غيرهم, و احترام مبدأ يعمل وفق نظام حماية المصالح التجارية و الاقتصادية للاتحاد بشتى الوسائل لمواجهة التكتلات المنافسة له, و ضرورة توازن هذه العلاقات من خلال تبادل المنافع في بيئة اقتصادية دولية تتضارب فيها مصالح القوى الكبرى. [3]

المطلب الثاني: السياسة الخارجية الامنية المشتركة للاتحاد الاوروبي

كانت التجربة العسكرية للاتحاد الاوروبي في يوغوسلافيا السابقة منعرجا ادى الى اعتراف حكومات الدول الاعضاء بضرورة تقوية مؤهلاتهم العسكرية بدلا من اعتمادهم على الولايات المتحدة و حلف شمال الاطلسي الذي اسس في 1949 في الدفاع عن امنهم, فجاءت معاهدة "امستردام" 1997 بتعديلات لمعاهدة "ماستريخت" 1992 متمثلة في تحديد دور الحلف الاطلسي و التحضير تدريجيا لسياسة دفاعية مشتركة تساهم في خلق دفاع مشترك من اجل القيام بالمهام الانسانية, و حفظ السلام, و ادارة الازمات. و بصعوبة تم الاتفاق على هذه النقاط بين دول رافضة و اخرى راغبة كفرنسا في تامين استقلال اكبر لأوروبا عن الولايات المتحدة.

ان الميزانية العسكرية للأوروبيين تمثل ثلثي الميزانية العسكرية الامريكية, يدفع الجزء الاكبر منها فرنسا و بريطانيا, لكن تجربة البلقان و كوسوفو اوضحت ان القوات الاوروبية كان تسييرها محدودا و لم تنجز سوى عشر ما انجزته القوات الامريكية, مما اجبر فرنسا على قبول التقرب من حلف شمال الاطلسي

[1]– مجدان محمد, مرجع سابق, ص. 278 .

[2]– معن عبد العزيز الريس, مرجع سابق, ص. 114

[3]– مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص. 172 .

لتحقيق مساهمة عسكرية فعالة. اما البريطانيون فكان هدفهم التعاون مع فرنسا لتنشيط المجال العسكري, في محاولة لكسبهم دورا مهما في الاتحاد بعد رفضهم ان يكونوا عضوا مؤسسا للاتحاد الاوروبي. [1]

بعدها جاءت قمة "هلسنكي" 1999 اين وافق المجلس الاوروبي على تأسيس قوة ردع سريعة و فعالة تابعة للاتحاد الاوروبي فيها اكثر من 50 الف جندي, و دمج اتحاد اوروبا الغربية الذي تأسس في 1948 في الاتحاد الاوروبي, و قبول مشاركة الدول الاعضاء في الحلف الاطلسي و الدول الاخرى التي لا تنتمي الى الاتحاد الاوروبي في عمليات الاتحاد. و من هنا شرع الاتحاد الاوروبي في رسم "سياسة اوروبية للأمن و الدفاع", مبنية على عدم المساس بسيادة الدول الاعضاء في الاتحاد الاوروبي, و الاتفاق الجماعي على الاهداف و الركائز مسبقا. و هو ما عرف فيما بعد "بالسياسة الاوروبية المشتركة للأمن و الدفاع", التي تضمنت النقاط التالية: [2]

- مشاركة وزراء الدفاع الى جانب وزراء خارجية الدول الاعضاء في مؤتمرات المجلس و عقد اجتماعات طارئة عند الضرورة, تأسيس مجلس للشؤون العامة فيه وزراء الدفاع.
- تأسيس لجنة عسكرية تضم رؤساء اركان القوات المسلحة بالدول الاعضاء لإملاء توصياتهم على اللجنة السياسية و الامنية.
- تأسيس هيئة اركان عسكرية داخل اماتة المجلس فيها مركزا للتوجيه.
- تحويل اللجنة السياسية المسئولة امام المجلس الى لجنة سياسية و امنية دائمة تضم خبراء سياسيين و عسكريين.

فعلا شرع الاتحاد في تأسيس قوة للردع السريع لحفظ السلام و ادارة الازمات تتحرك في حالة ما اذا لم يتحرك حلف شمال الاطلسي بكل عتاده, لان الحاجة الى اكسسوارات الحلف التي تعني الاكسسوارات الامريكية مثل: النقل الجوي و الاستخبارات بالأقمار الصناعية هي ضرورة حتمية, مما يوجب موافقة الولايات المتحدة على انجاز العمليات المهمة. فاطمأنت بريطانيا من عدم تخلي الاتحاد عن مهام الحلف الاطلسي, و معها كل من النمسا, فنلندا, ايرلندا, و السويد الذين كانوا في الحياد. و هذا ما تم تأكيده في معاهدة "لشبونة", بوضع "السياسة الاوروبية المشتركة للأمن و الدفاع" تحت مهام الممثل السامي.

[1]– جون بيندر و سيمون اشرود, مرجع سابق, ص. 112.

[2]– معن عبد العزيز الريس, مرجع سابق, ص. ص. 118 – 119.

كل هذه الامور توضح لنا صعوبة امتلاك الاتحاد قوة عسكرية فعالة, فهو يحتاج الى موافقة اغلبية الدول الاعضاء للقيام بأي تحرك, وبخصوص العمليات المهمة التي تحتاج الى اكسسوارات حلف شمال الاطلسي ربما لا توافق امريكا, ما يؤدي الى نشوب اختلافات داخل الحلف. و في حالة ما تحصل الاتحاد على موافقة اغلبية الدول الاعضاء و على الموافقة الامريكية, ربما يكون العائق في ضعف التحضيرات الحكومية الدولية الاخرى مما يفشل مسار العملية. فالتباين يكمن في ان حلف شمال الاطلسي بالرغم من كونه نظام حكومي دولي إلا انه استطاع ان يحقق نجاحات معتبرة, هذا بفضل الهيمنة الامريكية على تسييره. في المقابل التطور الذي احرزه الاتحاد في مجالات عديدة بفضل الديمقراطية و العدالة وعدم وجود دولة مهيمنة, هي الاسباب نفسها التي تؤدي الى صعوبة تسيير النظام الدفاعي العسكري للاتحاد.

ايضا تعرض الاتحاد الاوروبي الى توترات حادة بعد احداث 11 سبتمبر 2001 اين تدهورت العلاقات بين الدول الاعضاء في حلف شمال الاطلسي, و حدث نفس الشيء بين الدول الاعضاء في الاتحاد الاوروبي. حيث كان للولايات المتحدة موقف احادي اتجاه الحرب على الارهاب و التدخل في العراق سنة 2003 , نتج عنه تباين المواقف في داخل الاتحاد, فكانت بريطانيا و ايطاليا و بولندا و اسبانيا مساندة للتدخل الامريكي, بينما كانت فرنسا و المانيا من المعارضين لهذا التدخل, بعدها لحقت بهما كل من ايطاليا و اسبانيا بعد تغير حكومتيهما, و هو ما ترجم على انه رفض للتبعية المطلقة لأمريكا. فتسبب اختلاف المواقف هذا في عرقلة تقدم اشغال السياسة الاوروبية للأمن والدفاع لفترة معينة. لكن الاتحاد استمر في العمل على تطوير مجاله العسكري, و في 2004 استطاع ان يؤدي مهام قوة حفظ السلام التابعة للحلف في البوسنة, و تأسيس "وكالة الدفاع الأوروبية" لتطوير انتاج الاسلحة, و تدريب فرق قتالية مكونة من 1500 جندي لنشرها في مدة لا تزيد عن 5 ايام بعد اقرار المجلس القيام بالعملية العسكرية. [1]

ان السياسة الامنية الاوروبية المشتركة في الفترة الحديثة لم تعد تقتصر فقط على تحقيق توازن القوى و الردع او التصدي للتهديدات الامنية التي يمكن ان تمس اراضيها, بل اصبحت تمس قضايا عديدة منها, الهجرة غير الشرعية الجماعية, الاوبئة و الامراض المعدية الخطيرة, الارهاب العابر للقارات, تجارة المخدرات و تجارة الاعضاء البشرية, حماية الافراد من الانتهاكات المختلفة التي تهدد امنهم و حقوقهم

[1]- جون بيندر و سيمون اشرود, مرجع سابق, ص ص. 113- 114.

في كل انحاء العالم, حتى لا ينتقل الخطر من منطقة ما في العالم الى الساحة الاوروبية. و شرع الاتحاد الاوروبي في عرض استراتجيته الامنية لتحقيق "الامن الانساني" سنة 2005. [1]

استمرت دول الاتحاد الاوروبي في بناء سياستها الامنية المشتركة و نشرها, و هو ما اظهرته محادثات القمة التأسيسية "للاتحاد من اجل المتوسط" في باريس 2008 من خلال اتفاقات شراكة امنية, مما ساعد فيما بعد على التدخل في الازمة الليبية سنة 2011 , فحلف شمال الاطلسي تدخل كمنظمة بعد اندلاع الازمة بشهر و نصف, و بدأت الدول الاعضاء الرئيسية فيه بشن غارات جوية على الثكنات الليبية, و اصدروا قرارات ببعث الحالة الليبية الى المحكمة الجنائية الدولية و حظر الاسلحة و السفر و تجميد الاصول الليبية في الدول الغربية, اما الجامعة العربية فقد طالبت مجلس الامن بتحمل مسؤولياته بخصوص ما يحدث في ليبيا. حيث كانت قرارات مجلس الامن الدولي في 26. 02. 2011 , و 17. 03. 2011 , و قرار مجلس الجامعة العربية في 02. 03. 2011 , تطالب بفرض منطقة حظر جوي على الطيران العسكري الليبي من اجل حماية المدنيين الليبيين و تسهيل وصول المساعدات الانسانية اليهم, لكن القوات الاوروبية استهدفت مناطق مدنية و مباني حكومية لا علاقة لها بالصراع. [2]

المطلب الثالث: السياسة الخارجية الاقتصادية الموحدة للاتحاد الاوروبي

تسير العلاقات التجارية الخارجية للاتحاد وفق نظام مؤسسات فعال, تتولى فيه المفوضية الاوروبية بالتنسيق مع اللجنة الخاصة التي يعينها المجلس مهمة التشاور و التفاوض في السياسات الاقتصادية, اما المحكمة الاوروبية فمهمتها هي تحضير الدراسة القانونية للاتفاقيات, بعدها تأتي مهمة المجلس الاوروبي في اقرار هذه السياسات و الموافقة على الاتفاقيات بالأغلبية المشروطة, لكن البرلمان الاوروبي و بالرغم من دوره الكبير في السياسات الخارجية عامة, إلا اننا لا نجد في المعاهدات ما يدل على ضرورة استشارة البرلمان في قضايا السياسة الخارجية التجارية, و بالتالي لا توجد له مشاركة واضحة في مفاوضات هذه الاخيرة, لكن لديه حق الموافقة الرسمية على النتائج.

بدا الحراك في ميدان السياسة الخارجية الاقتصادية بعد شراكة الجماعة الاوروبية مع الولايات المتحدة, حيث تبنت الجماعة في معاهدة "روما" التعريفة الجمركية الخارجية الموحدة للجماعة الاوروبية التي

---

[1]– قريب بلال, **السياسة الامنية للاتحاد الاوروبي من منظور اقطابه, التحديات و الرهانات**, مذكرة ماجستير في العلوم السياسية, جامعة الحاج اخضر, باتنة, 2011. ص. 54.

[2]– معن عبد العزيز الريس, مرجع سابق, ص. ص. 123 – 125.

اصبحت تعرف فيما بعد "بالسياسة التجارية المشتركة", التي لم ينتظر منها ان تحقق كل هذا النجاح. فكان هناك فريق يصر على احتفاظ الدول بتعريفاتها السارية, لكن فرنسا جاهدت من اجل التعريفة الموحدة لتفادي المنافسة في الصادرات الرخيصة الاتية من الدول ذات التعريفة المنخفضة كألمانيا و دول البنلوكس (بلجيكا, لوكسمبورغ, هولندا), و لكي تكون للجماعة الاوروبية وسيلة تساعدها في العبور الى ضفة الساحة العالمية بقوة. ما ادى بالولايات المتحدة انذاك الى تبني الرئيس كينيدي دورة التخفيضات الجمركية في اتفاقيات "الجات", و من هنا كانت انطلاقة دور الجماعة في تحرير التجارة العالمية التي تمثل وسيلة قوة مشتركة في السياسة الخارجية, [1] و ساهم هذا العامل في تولى الاتحاد قيادة جولة اوروجواي التي انتهت في 1994 . فبعد انخفاض التعريفات على معظم المواد المصنعة, جاء دور القيود غير الجمركية. وساعدت خبرة الاتحاد في السوق الموحدة في اثراء المحادثات لميلاد منظمة التجارة العالمية التي اخذت مكان الجات بصلاحيات اكبر في حل النزاعات, و عضوية اوسع, فكانت بمثابة استنساخ لنموذج الجماعة الاوروبية في سن القوانين الدولية و تطبيقه على الصعيد الدولي.

استعمل نفس المنهج في السياسة الزراعية المشتركة, لكنه لم يحقق نفس النتائج المتحصل عليها في التجارة, فأسس الاتحاد نظام حمائي للغاية بشركاء تجاريين (استراليا, نيوزلندا, كندا, الولايات المتحدة) من خلال رسوم على الواردات و اعانات الصادرات حتى على الصناعية منها, لم يتأقلم معه شركاء الجماعة الاوروبية و لا السوق التجارية الدولية. لكن في التسعينيات تقارب الاتحاد مع الولايات المتحدة في ميدان الزراعة برفع تحد صعب, هو ادخال اصلاحات فيها خفض الحماية الى النصف بخصوص بعض السلع الرئيسية, ثم الغاء اعانات الصادرات المعرقلة للتجارة. هذا التقارب بين الطرفين لم يمنع الاتحاد من انتهاج سياسة حماية المستهلك, و هي مجموعة شروط تقلص واردات الاتحاد من الولايات المتحدة مثل: الكائنات المعدلة وراثيا, و لحم البقر المعالج بالهرمونات. [2]

في بداية المشوار لم تولي معاهدة "روما" اهمية كبيرة لتجارة الخدمات كما هو الامر بالنسبة لتجارة السلع, و لم تتطرق لها نصوص السياسة التجارية المشتركة, لكن مجال الخدمات حاليا أصبح يمثل ثلث التجارة العالمية, و بالرغم من نجاحات الاتحاد في تجارة السلع, إلا ان اجراءات تجارة الخدمات يعيقها الطابع الحكومي الدولي الذي ينظمها, الشيء الذي قلص من امكانياته في التفاوض بقوة في هذا المجال.

[1]– جون بيندر و سيمون اشرود, مرجع سابق, ص. 115 .

[2]– المرجع نفسه, ص. 128 .

فجاءت معاهدة "نيس" ببند التصويت بالأغلبية المشروطة على كامل تجارة الخدمات, إلا في ميدان الثقافة, الخدمة السمعية البصرية, التعليم, الصحة و الخدمات الاجتماعية, و بعض خدمات النقل. [1]

استطاع الاتحاد الاوروبي ان يتساوى مع الولايات المتحدة في ميدان التجارة, بفضل تعريفة الاتحاد المشتركة, لكن حواجز النظام النقدي الدولي و تقلبات اسعار صرف الدولار, تم تجاوزها في خطوة اولى كبيرة لما تأسس "النظام النقدي الاوروبي" 1979 , و في الثمانينيات ادت سياسة رفع اسعار الفائدة الامريكية لمحاربة التضخم الى تفاقم ازمة في كثير من البلدان النامية اوقفت عجلة التنمية فيها لسنين عديدة. ثم في التسعينيات حدث نفس الشيء مع اسعار الفائدة الالمانية في مواجهة التضخم عند توحيد المانيا, و الركود الذي وصل حدود دول اخرى كانت تحت هيمنة المارك الالماني, فكان هذا دافعا لإنشاء عملة موحدة مرفقة بسياسة نقدية تتماشى و حاجيات الدول الاعضاء. فأصبح الأورو يعادل الدولار و يصلح الاعطاب التي يتسبب فيها هذا الاخير. لكن هذه العملة الموحدة تعترضها مشكلة عدم وضوح تسيير السياسة النقدية الخارجية بين البنك المركزي الاوروبي و مجلس وزراء المالية, اضافة الى المشكلات الهيكلية المستمرة بسبب ازمات الاتحاد و التوترات الناجمة عنها, هذا ما يمنع العملة الموحدة من تحقيق نجاح داخلي و خارجي مثل ما حدث في السياسة التجارية المشتركة. [2]

انزعج الامريكيون من الترتيبات التفضيلية التي تبناها الاتحاد بخصوص معظم بلدان اوروبا و البلدان الاقل نموا, و التي استثنت عدد قليل من الدول كاستراليا و نيوزلندا و اليابان و جنوب افريقيا و كندا و الولايات المتحدة. اما العلاقات القائمة مع دول الجنوب فقد طرحت على طاولة النقاش في جولة الدوحة للمفاوضات التجارية 2001 , اين كان الاتحاد يميل الى مناقشة جدول اعمال شامل و كانت امريكا تميل الى مناقشة مسائل خاصة كالزراعة او البيئة. فركز الاتحاد على "مسائل سنغافورة" مثل: الاستثمار و المنافسة و المشتريات العامة و تسهيل التجارة, لكي يسير العالم في نفس مساره و يتعدى النقاش مجال التعريفات و حصص الواردات ليشمل مجالات سياسية اخرى مهمة, لكن البلدان النامية لم تكن مهيأة لهذه الخطوة, و زادها تأسيس مجموعة العشرين تمسكا بموقفها في طاولة المفاوضات, و كان الرد بتصدي اللوبيات الزراعية الاوروبية و الامريكية لتحرير التجارة. وفي 2004 كان الاتحاد اكثر مرونة في "مسائل

[1]- جون بيندر و سيمون اشرود, مرجع سابق, ص. 116 .

[2]- المرجع نفسه, ص. ص. 137 – 138 .

سنغافورة" و فتحت ملفات الغاء كل اعانات الصادرات للنقاش. لكن جولة الدوحة يبقى امامها فعل الكثير في شان قضايا سياسية عديدة بالغة الاهمية, يوافق عليها بالإجماع 150 دولة. [1]

بدلت فرنسا ايضا في معاهدة "روما" جهودا معتبرة في جعل المعونات الانمائية وسيلة مهمة في سياسة الاتحاد الخارجية, بتأسيس صندوق اعانة لمستعمرات الدول الاعضاء انذاك, وحاليا اصبح يقدم اعانات للدول الاقل نموا في كامل ارجاء العالم, مما جعل من الاتحاد اكبر منبع للإعانات في العالم. اما على المستوى الاقليمي اصبحت الوسائل التجارية و الاعانات و امكانية الانضمام للاتحاد نقاط قوة خارجية ترقيه و تساعده في انجاح سياسات التحول للدول الاعضاء الجديدة من اوروبا الشرقية و الوسطى. [2]

هناك تباعد بين الاتحاد و الولايات المتحدة في قضايا البيئة, تسبب في تقلص واردات الاتحاد من امريكا مثل المحركات الجوية عالية الضجيج, و خصوصية البيانات, و السيارات المستهلكة للطاقة الملوثة للبيئة. اما تغير المناخ فهو نقطة مهمة في التفاوض الدولي, لضمان امن و حياة الافراد. حيث نشط الاتحاد الجهود الدولية بعد حالة السبات, لمكافحة الاحتباس الحراري الذي يضر بطبقة الاوزون, في بروتوكول "مونتريال" 1987 المكمل لاتفاقية الامم المتحدة بشان تغير المناخ, بعدها قاد الاتحاد بروتوكول "كيوتو" 1997 . و بالرغم من الهجمات الامريكية على سياسات خفض الإنبعاثات و برامج الاعانات الموجهة الى الدول النامية من اجل تطوير المجال التكنولوجي بما يلزم لهذه السياسات, استطاع ان يتفاوض الاتحاد من اجل تقليص الغازات الدفيئة في بروتوكول "2005" بفضل المصادقة الروسية عليه, و التي كافئها الاتحاد بموافقته الرسمية على إلتحاق روسيا بمنظمة التجارة العالمية. و اخيرا مشاركته الفعالة في قمة المناخ بباريس 2015 بحضور 195 دولة. [3]

المبحث الثالث: البعد العالمي للاتحاد الاوروبي

حصلت تغييرات جذرية في عدد كبير من البلدان في العالم و في اوروبا, فرضت اوضاعا تواجه مستقبل الاتحاد الاوروبي و تضغط بشدة على كبار مسؤولي مؤسساته, مما يفرض عليهم تجنيد قدراتهم من اجل

[1]– جون بيندر و سيمون اشرود, مرجع سابق, ص. 129 .

[2]– المرجع نفسه, ص. 116 .

[3]– المرجع نفسه, ص. ص. 139 – 140 .

تطوير ميكانيزمات للتكيف مع التغييرات الجديدة. انطلاقا من التحديات التي يجب التصدي لها, و وصولا الى تنشيط مختلف سياساته من اجل اداء دور فعال في اوروبا و ما وراءها, ضمن نظام عالمي جديد.

المطلب الاول: التهديدات و التحديات الدولية التي تواجه الاتحاد الاوروبي

// ان توافد اللاجئين على اوروبا فرارا من الاوضاع المتأزمة لبلدهم, جعل دول الاتحاد تدخل في جدل كبير و تأجل اشغال مواصلة اندماجهم. فضاعفت بعض دوله المراقبة على حدودها الوطنية, و طالبت بإعادة النظر في مسالة "شنغن" التي تعتبر من ابرز ما حقق الاتحاد لأجل اندماجه. فأوقفت المانيا العمل بهذه الاتفاقية مؤقتا بخصوص حرية التنقل مع النمسا, كما قامت بنشر قوات جيشها في حدودها مع المجر لوقف دخول اللاجئين, نفس الاجراءات قامت بها سلوفينيا في حدودها مع كرواتيا, و في المجر صادق البرلمان على قانون فرض عقوبة بالسجن ثلاث سنوات على اللاجئين غير الشرعيين الذين يخترقون حدودها. كل هذه الاجراءات تعكس حالة التوتر التي كانت تسود فضاء الاتحاد, و في محاولة منه لإيجاد حل للازمة وفق سياسة اوروبية موحدة, دعت المفوضية الاوروبية الى تشكيل قوة اوروبية جديدة تتمتع بصلاحيات اوسع لحراسة الحدود الخارجية للاتحاد, مستقلة تماما عن الوكالة الحدودية السابقة "فرونتكس" التابعة للاتحاد. لكن هذا الاقتراح رفضته بعض الدول الاعضاء بحجة ان تواجد هذه القوة فيه انتهاك للسيادة الوطنية, و هو ما اعلن عنه وزير الخارجية البولندي "ڤيتولد فاشيكوفسكي" بان بلده لا يقبل تواجد قوات مراقبة الحدود التابعة للاتحاد دون موافقة الدولة المضيفة. [1]

و في ظل تنامي التوجه القومي الجديد لدى بعض دول الاتحاد, دعت بريطانيا قبل خروجها من الاتحاد استثناءها من اي اندماج سياسي مستقبلا مع هذا الاخير, مقابل منح البرلمان البريطاني صلاحيات اوسع في اتخاذ القرارات الاوروبية, و منع المهاجرين من الاتحاد من الخدمات الاجتماعية لمدة اربع سنوات.

ان عملية تقويم و ترشيد الجهود في مجال حقوق الانسان و الحريات الاساسية, و خصوصا في مسالة اللاجئين غير الشرعيين, و طالبي اللجوء, و حقوق المواطنة للمقيمين منذ سنوات في دول اوروبية و لم يحصلوا على حقوقهم المادية و المعنوية, مثل: ابناء شمال افريقيا في فرنسا, و العمال الاتراك في المانيا, و افراد رابطة الكومنولث من اسيا و افريقيا في انجلترا. ان دل على شيء انما يدل على حجم المشاكل

[1]– سمير هلال, **تحديات كبرى تواجه الاتحاد الاوروبي العام القادم قد تؤجل استكمال مشروعه الاندماجي**, مقالة, وكالة المغرب العربي للانباء, المغرب, 26 ديسمبر 2015.

التي يتخبط فيها الاتحاد من اجل اندماجه السياسي و اتباع سياسة خارجية موحدة, من الصعب فيها الجمع بين النظام العام للاتحاد و بين الظروف الداخلية لكل دولة. [1]

// كما يمثل الارهاب تهديدا مستمرا للاتحاد الاوروبي منذ احداث سبتمبر 2001 الامريكية, و بعد جرائم 2015 و 2016 بفرنسا و كوبنهاغ و بلجيكا, زاد اصرار الدول الاعضاء على تجنيد مجهوداتهم لمحاربته و التصدي له. ففي 2002 اعطى جميع دول الاتحاد تعريفا مشتركا للإرهاب, يحدد معنى الجماعة الارهابية و يضع قانون موحد للمخالفات الارهابية الموضوعية و الذاتية في جميع الدول الاعضاء, بينما كان في السابق خمسة دول فقط (فرنسا, المانيا, بريطانيا, اسبانيا, ايطاليا) تملك تشريع خاص به. كما تم دمج مكافحة الارهاب ضمن السياسة الخارجية الامنية و الدفاعية الاوروبية المشتركة, التي تنشط حتى في الدول التي لا تنتمي للاتحاد, و ذلك بدعم هذه الاخيرة و مساعدتها داخل ترابها, مثل التدخل في المالي و في النيجر. و يبرم الاتحاد ايضا اتفاقات مع دول خارجية اخرى استراتيجية لتقوية قدراته هو, كالتعاون بين الاتحاد و الولايات المتحدة بخصوص تمويل الارهاب, تبادل المعلومات الخاصة بالمسافرين المشبوه فيهم, النقل و الحدود, تحويل المجرمين, و التعاون بين وكالة "انتربول" و وكالة "اوروبول". و في نفس السياق امضيت اتفاقيات اخرى مع كندا و استراليا. [2]

و دعى وزير الداخلية الفرنسي في اجتماع امستردام 2016 للضغط على اعضاء في الاتحاد للمساهمة في محاربة الارهاب, و اضاف ان بعض الدول تتهاون بالأمر لان الهجمات لم تصلها بعد, و ندد بضعف تبادل المعلومات بين الدول التي لا تثق كفاية في بعضها البعض للتعاون في المجال الاستخباراتي الحساس. و في مواجهة هذا التحدي سخرت مجموعة من الاليات تتمثل في: فتح ملف معلوماتي اوروبي يسمح للهيئات المسئولة في نقاط مراقبة الحدود لدول "شنغن" من امتلاكها لمعلومات خاصة بالأشخاص المشبوهين و السيارات و الاشياء المسروقة. ايضا العمل برخصة وقف اوروبية تسهل ترحيل الاشخاص المحكوم عليهم من بلد لأخر في الاتحاد. وضع نظام كتابي 2012 لملفات السوابق العدلية و تبادلها بين دول الاتحاد. و فتح صندوق الامن الداخلي في الفترة 2014 – 2020 لضمان سير التعاون في تطبيق القانون و ادارة الازمات ومراقبة الحدود الخارجية للاتحاد. انشاء نظام سجلات المسافرين جوا الذي صوت عليه البرلمان الاوروبي في افريل 2016 , و هو ملف فيه معلومات

[1] - Federiga Bindi, and Irina Angelescu, **The Foreign Policy of the European Union, Assessing Europ's Role in The World**, 2 Edition, the brookings institution, washington, 2012, Introduction, p.5.
[2] - Alexandra Lesur, **Sécurité et lutte contre le terrorisme en europe**, article de presse, toute l'europe, europe, 07.09.2017.

المسافرين التي تجمعها شركات الطيران, يساعد في متابعة المسافرين و التحري عنهم و استشراف الجرائم الارهابية و الجريمة المنظمة, و على كل دولة عضو تأسيس وحدة استخبارات لتسيير هذه السجلات في اجل اقصاه 25 ماي 2018 . و في 2016 تم انشاء مركزا اوروبيا لمكافحة الارهاب داخل مكتب الشرطة الاوروبية "يوروبول" لتبادل المعلومات الاستخبارية بين دول الاتحاد. تعمل ايضا لجنة خاصة منذ 2015 داخل منتدى الاتحاد للانترنت للبحث و استخراج المحتويات الارهابية على الانترنت. و في جويلية 2017 تم انشاء لجنة جديدة متخصصة لمدة 12 شهرا داخل البرلمان الاوروبي مهمتها معالجة النقائص العملية و التشريعية في برنامج الاتحاد لمحاربة الارهاب. بالإضافة الى النظام الاوروبي لحراسة الحدود, و الشبكة الاوروبية لأمن الطيران, و شبكة قوات التدخل "الاطلس" التي تجمع منذ 2001 بين قوات دول الاتحاد و سويسرا و النرويج, و شبكة خبراء التحسيس ضد التطرف. و بهدف تسهيل عمل هذه الادوات, الزم الاتحاد على نفسه التوافقية الكاملة لأنظمة المعلومات حتى 2020. [1]

// و اصطدم الاتحاد الاوروبي بنتائج استفتاء البريطانيين الذين صوتوا لخروج بلدهم منه, فمؤسسات بروكسل تعرف ان الاتحاد يتوسع و يكبر و ليس يضيق و يصغر , كما تفاجأ طاقم مسئوليها بهذه النتيجة غير المنتظرة, والتي لم يحضر لها اي دراسة او خطة. ما يحتم على الاتحاد العودة الى الوراء بسبب التداعيات الدولية لهذا الخروج, و إعادة النظر في اتفاقياته التجارية, و التحضير للآثار المالية السلبية عند مراجعة الاسواق المالية العالمية حساباتها. يقول الباحث "ستيفن بلوكمانز" ان "خروج بريطانيا سيخلق ازمة بأبعاد هائلة في اوروبا, اننا لا نتعامل مع ازمة واحدة, بل مع عدة ازمات متشابكة". [2]

ابدى مناصرو الاتحاد التخوف من ان يكون خروج بريطانيا هو ترجمة لتنامي نزعات قومية, او ربما هو بداية تسلسل الاستفتاءات التي تهدد وجود الاتحاد. فهناك قوى سياسية و مدنية في اوروبا رحبت بالاستفتاء و اعتبرته فرصة للتخلي عن "المشروع الأوروبي", ففي هولندا مثلا: اعلن زعيم اليمين المتطرف "غيرت فيلدرز" للامتثال الى استفتاء كهذا, و دعت رئيسة حزب الجبهة الوطنية في فرنسا "مارين لوبان" لإجراء استفتاء البقاء او الخروج من الاتحاد, و كان هذا ضمن برنامج حكومتها في حالة ما نجحت في رئاسيات 2017 . كما ان خروج بريطانيا سيوقف عملية التكامل الاوروبي و لو لفترة بسبب عدم تنازل قادتها عن المزيد من سيادتهم للاتحاد تخوفا من ان يشغلهم هذا عن شعوبهم و منتخبيهم.

[1] - Alexandra Lesur, **Sécurité et lutte contre le terrorisme en europe**, op. cit.

[2] - ستيفن بلوكمانز, باحث في مركز دراسات السياسة الاوروبية في حوار له لصحيفة وشنطن بوست.

حتى لو استمر الاتحاد في وحدته كاملة دون بريطانيا فان برنامج عمله سيشوش بين المشاكل التي تواجهه كأزمة اللاجئين و الازمة الاوكرانية و ازمة الديون الاقتصادية على الدول الاعضاء, و بين المفاوضات الطويلة المدى لحسم كيفية خروج بريطانيا. انه سيفقد اهم قوة عسكرية و دبلوماسية بين اعضائه, و ثاني اكبر اقتصاد بعد المانيا في سوق اوروبية ضخمة, و حجم لا يقدر من المبادلات التجارية. و في الاخير سيلتف الاتحاد حول المانيا ذات الكثافة السكانية الاكبر و الاقتصاد الاقوى.

لكن الاتحاد عليه ان ينتبه الى بعض النقاط كالرغبة الفطرية للألمان في قيادة الاخرين, و التوتر الذي يمكن ان تخلقه اختلاف وجهات النظر الالمانية و الاوربية. فبرلين لا تريد ممارسة الدبلوماسية الفاعلة المعززة بقوة عسكرية كما تفعل اوروبا لزيادة نفوذها في العالم, ايضا اصرار المانيا على فرض تنظيمات و تحديدات مالية صارمة ضد العجز في ميزانيات دول الاتحاد, ما ترفضه جهرا بعض الدول الاعضاء. و يمكن القول ان المهمة الكبيرة الان تكمن في حفاظ الاتحاد على وحدته الاوروبية و اعادة النظر في بنودها لتفادي انقسامه و اضعافه ما يسمح للقوى الكبرى الخارجة عنه النيل من قوته و نفوذه. [1]

المطلب الثاني: حصيلة اشغال الاتحاد الاوروبي و دوره في العالم

ان تقييم السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي لا يكون على اساس النتائج المتوصل اليها في مواجهة تهديدات 2003 (الارهاب, الصراعات, الفساد, و الجريمة المنظمة), و لا على اساس المسائل التي اضيفت في 2008 (جرائم الفضاء الالكتروني, القرصنة, امن الطاقة, العمل المناخي), و لكن على اساس توافق الامكانيات المتاحة مع الاولويات الاستراتيجية, و هذا ما حدده الاتحاد وقتها. لمواجهة التحديات عن طريق الجمع بين الوسائل المدنية و العسكرية, بناء الاستقرار في الجوار, ترقية الشراكات التعددية و تفعيلها. و لسنوات عديدة لم يكن للاتحاد الاوروبي سوى سياسة خارجية مرتكزة على التجارة و التعاون الاقتصادي, الاعانات التنموية, النقل, الزراعة, الصيد البحري, و مجال الابحاث, لكن تدريجيا اتسعت لتشمل التعاون الدبلوماسي, و السياسة الامنية و الدفاعية المشتركة (مدنية و عسكرية).

استطاع عموما الاتحاد الاوروبي ان ينجح في وضع سياسة خارجية شاملة و متكاملة, انطلاقا من السياسة الامنية و الدفاعية الاوروبية في 2003 , و التي كانت في شكل عمليات مدنية (شرطة, درك, حماية مدنية, خبراء قانون, ادارة عامة) طورت في وقت واحد مع العمليات العسكرية (هيئات تخطيط,

[1] - Anthony Faiola, and Michael Birnbaum, **British exit from the E.U. sets up a European crisis of diminished power**, the washington post, 24.06.2016.

جماعات تكتيك). و قبل ان يتبنى الحلف الاطلسي مفهوم المقاربة العالمية في ادارة الازمات سنة 2010, اظهر الاتحاد نجاحه باستخدام كل الوسائل في: عمليات عسكرية لحفظ السلم (البوسنة, مقدونيا), تدخل الشرطة (مقدونيا, فلسطين, افغانستان), دعم اصلاح قطاع الامن (افريقيا), دعم سيادة القانون (جورجيا, العراق), مساعدات انسانية, مساعدات اعادة الاعمار, دعم اقتصادي, دعم تقني في كل مجالات السياسة الخارجية, اصلاح الدولة, تسيير الحدود, الجمارك, النقل و الطاقة. اما العمل الخارجي في الساحل فكان عبارة عن مزيج بين الاعانات التنموية و العمل الدبلوماسي, و عمليات السياسة الامنية الدفاعية الاوروبية (التكوين العسكري و الامني في المالي و النيجر لمكافحة الارهاب, و ضغط اللاجئين). [1]

ان العمل الاوروبي لا يقتصر فقط على القوة الناعمة, اي قدرته على الاقناع و التأثير من خلال الاعانات مثلا, و التي تمثل نصف الاعانات العالمية للتنمية, انما يستعمل ايضا القوة الصلبة كإسقاط العقوبات الانفرادية المستقلة عن فواعل دولية اخرى, من اجل تحقيق اهدافه و تثبيت معاييره, كحظر الاسلحة المفروض على الصين بعد 1989 , عقوبات ضد انظمة تخترق حقوق الانسان (بيلاروسيا, بورما, كوبا, سوريا, زمبابوي) او انظمة تمثل تهديدا مستمرا (كوريا الشمالية, ايران), عقوبات ضد روسيا خلال الازمة الاوكرانية 2014 , و لا يقل عن اربعين دولة و كيان وجهت لهم عقوبات من الاتحاد من شكل اخر, يمكن ان تعتمدها المفوضية في اطار سياسة المنافسة للدفاع عن قوانين و مصالح اوروبا في السوق الموحدة لمواجهة عمالقة الاقتصاد العالمي (ميكروسوفت, غوغل, غازبروم).

لكن الاتحاد لم يتقدم عسكريا في حوالي 30 عملية للسياسة الامنية و الدفاعية المشتركة التي انطلقت منذ 2003, منها 15 مازالت مستمرة. معظمهم عمليات مدنية (تربص, تأهيل, ارشاد), و 8 عمليات فقط هي تدخل عسكري حقيقي, 3 منها مازالت ناشطة لكنها محدود نسبيا: حفظ السلم في صراعات قليلة الحدة (يوغوسلافيا السابقة, مقدونيا, البوسنة). عمليات منتظمة للحفاظ على الامن في افريقيا (عسكرية, مدنية), عمليات بحرية (محاربة القرصنة في مياه الصومال, و ضد مهربي اللاجئين في المياه الليبية منذ 2015). و يمكن القول ان الاتحاد يتدخل في افريقيا بحذر و يفضل ترك المجال الى فرنسا اولا, او منظمة الامم المتحدة و الاتحاد الافريقي. و بالرغم من ان عمل القوات القتالية في ادارة الازمات سطر في البرنامج الاوروبي منذ 1992 (بعثة بيترسبورغ), لكن الاتحاد لا يرغب في القيام بحروب, فالعمليات

[1] - Maxime Lefebvre, **La politique étrangère européenne : quel bilan ?**, La revue géopolitique, vincennes, France, 02.06.2016.

العسكرية الصعبة تتكفل بها الولايات المتحدة (افغانستان, العراق) او الحلف الاطلسي (البلقان و ليبيا) او بعض الدول الاعضاء (فرنسا في ساحل العاج, في المالي, جمهورية افريقيا الوسطى). [1]

و ما يعيق عمل الاتحاد الاوروبي هو نقص التعاون و المشاركة في السياسة الامنية الدفاعية المشتركة. فبالرغم من انشاء الوكالة الاوروبية للدفاع, و تطوير بعض المشاريع المشتركة (الطائرة ا400م, و برنامج القمر الصناعي غاليليو الذي له اهداف عسكرية), و الارادة القوية للاتحاد في التقدم و تطوير مجال البحث العسكري من اجل منافسة اسواق الدفاع الخارجية, إلا ان هذه البرامج ينقصها التخطيط الفعلي و التمويل المشترك الكافي (بسبب عراقيل بريطانية). ايضا يعيق هذه السياسة مبدأ الاجماع, فيتحقق الاتفاق الجماعي للدول الاعضاء إلا في مسائل الدفاع عن مبادئ محددة و عامة (نزع السلاح, محاربة الارهاب, حقوق الانسان, الغاء عقوبة الاعدام, المحكمة الجنائية الدولية, الاعانات التنموية, محاربة الفساد). و تظهر الانقسامات بين دول الاتحاد في المسائل الحساسة, ففي التدخل الامريكي في العراق 2003, انقسموا الى اوروبا قديمة (فرنسا, المانيا, بلجيكا, لكسمبورغ) التي انتقدت الولايات المتحدة, و الى اوروبا جديدة (تضم دول التوسع) التي وقفت الى جانب واشنطن. كما نجدهم يترددون كثيرا لانتقاد اسرائيل و سياستها في الاراضي الفلسطينية بسبب تاريخ بعض الدول كالمانيا, او العلاقات عبر الاطلسية الخاصة بالبعض الاخر كهولندا و عدد من دول اوروبا الوسطى و الشرقية. و في قضية كوسوفو, 5 دول من الاتحاد مازالت ترفض الاعتراف بدول جديدة. اما بالنسبة لروسيا فقد نجح الاتحاد في اجماع دوله على فرض عقوبات على روسيا ردا على العمليات الروسية في اوكرانيا, لكن هناك انشقاق يفصل بين المتمسكين بالخط العقلاني و هم الاغلبية, و بين المتمسكين بالخط الصلب دون اي مرونة.

كما ان الاتحاد لا يستطيع فعل كل شيء لوحده, فعندما انطلق في سياسته للجوار 2002 – 2003, كان يتوقع الحقيقة الجيواستراتيجية الاتية من توسعه الكبير نحو الشرق. و لأنه لا يريد التعهد بانضمامات جديدة تبقى فيها دول الاتحاد في تردد دائم, مثل وعود انضمام البلقان الغربية و تركيا. راح يبحث عن خلق حلقة امن و استقرار حوله من خلال وعد الدول المجاورة بتعاون كبير في مجالات عديدة, لقد اعطى الاتحاد اولوية كبيرة لسياسة الجوار في الاستراتيجية الامنية ل 2003, و من البديهي ان يستمر في الاستراتيجية الشاملة, خصوصا و انه مازال بعيدا عن انجاح الاستقرار لا في المنطقة الشرقية, و لا في المحيط المتوسطي. فركز الاتحاد على تقوية علاقاته مع الجيران الجدد للمنطقة الشرقية (مولدافيا,

[1] - Maxime Lefebvre, **La politique étrangère européenne : quel bilan ?**, op.cit.

اوكرانيا, بلاروسيا) ثم في 2005 مع دول القوقاز, و بعدها مع موسكو, و في 2006 شرع الاتحاد في مفاوضات تحضير اتفاقيات جديدة لتقوية العلاقات مع روسيا و اوكرانيا. هذه العلاقات مع موسكو انزلقت مرتين: الاولى في الازمة الجورجية 2008 عند التدخل العسكري لروسيا ردا على الهجوم الجورجي لاسترجاع اوسيتيا الجنوبية المنفصلة, و الثانية في الازمة الاوكرانية 2014 – 2015 , اين كانت نقطة انطلاق الازمة من مفاوضات اتفاق الشراكة الاتحاد الاوروبي – اوكرانيا. ان سياسة الجوار بالشرق التي سميت في 2009 بالشراكة الشرقية تحولت تدريجيا الى سياسة دعم للجيران الجدد في اوروبا الشرقية و حمايتهم من روسيا لأسباب جيوبوليتيكية. لكن الاتحاد اصطدم من جهة بالهشاشة الداخلية لدول جواره (الفساد, سوء تسيير الحكومات, ضعف الاقتصاد, نقص تطبيق الديمقراطية, عدم احترام حقوق الانسان), و من جهة اخرى بالقوة الروسية التي ترغب في تأكيد نفوذها. و استطاع الاتحاد ابرام اتفاقات شراكة مع جورجيا و مولدافيا و اوكرانيا, لكن لم يستطع مع ارمينيا و بلاروسيا و ازربيجان الذين لم يقرروا الاختيار الاوروبي في المجال الاقتصادي او السياسي. لا يمكننا القول ان امن و استقرار شرق اوروبا حتى في مولدافيا الصغيرة, تم تحقيقه اليوم, و الاتحاد يمكن ان يتراجع دوره اكثر فأكثر امام الدور الذي يمكن ان يلعبه الحلف الاطلسي اذا ما استمرت التوترات الروسية الغربية في التطور. [1]

اما عن سياسة الجوار في جنوب المتوسط فإنها سجلت ضمن استمرارية العمل باتفاقية برشلونة (مشروع اوروماد 2005) ليشمل ثلاث مجالات: سياسية, اقتصادية, ثقافية و اجتماعية. و في 2008 توسع الى 44 دولة و اشغاله تضمنت مشاريع ملموسة. ان سياسة الجوار في الجنوب تدخل ضمن منهج احتوائي بالتساوي شمال – جنوب, يركز على مشاكل منطقة المتوسط (بيئة, نقل, تطور اقتصادي). لكن ما يعيق هذه الشراكة هي: الديمقراطية و حقوق الانسان, الصراع الاسرائيلي الفلسطيني, اصلاح قطاعات الاقتصاد, تضاعف الارهاب الاسلامي, ضغط اللاجئين. لا يمكننا انكار عمل الاتحاد في مواجهة هذه التهديدات, لكنه لم يتوصل لإيجاد حلول فعلية. فبالنسبة للصراع الاسرائيلي الفلسطيني, الاتحاد هو عضو مع الولايات المتحدة و روسيا و منظمة الامم المتحدة في المجموعة الرباعية التي انشأت في 2002, لكنه لم يحقق اي تقدم لحل الصراع, و دوله كانت دائما منقسمة مثلا: في الرد على الهجوم الاسرائيلي في غزة 2008 – 2009, او ادخال فلسطين في منظمة اليونسكو 2011, او الاعتراف بها كدولة مراقبة في الامم المتحدة في 2012. و يبقى الحوار السياسي بين الدول العربية و اسرائيل متوقفا, هذا ما يعيق معه تطور

[1] - Maxime Lefebvre, **La politique étrangère européenne : quel bilan ?**, op.cit.

التعاون المتوسطي. كما يصطدم الاتحاد ايضا بقضايا اخرى, كالتوتر الجزائري المغربي بشان قضية الصحراء الغربية, او المعارضة الاكثر تنظيما بين المحور السني (السعودية, تركيا, سنة العراق و سوريا) و المحور الشيعي (ايران, شيعة العراق و سوريا, حزب الله). و عن حقوق الانسان تفاعل الاتحاد بحماس مع الربيع العربي 2011, ووعد بمساعدة الدول التي تقوم بإصلاحات, و ان اعتبر ان بعضها عرفت تقدم نسبي (تونس, المغرب, الاردن), فكان عليه التأقلم مع عودة النظام التسلطي في مصر (الماريشال سيسي), و الوضع الداخلي المقلق في الجزائر, لبنان, و فلسطين. و بما ان الاتحاد لم تكن لديه اسس كافية لإنهاء الفوضى في ليبيا بعد تدخل الحلف الاطلسي و سقوط نظام القدافي, و لا في الازمة السورية من غير المساعدات الانسانية, و ادانة نظام بشار الاسد. فان الولايات المتحدة هي التي اخذت القيادة العسكرية لمواجهة توسع تنظيم داعش منذ 2014, و روسيا بدورها اصبحت فاعل سياسي و عسكري اكثر اهمية من الاتحاد في الشأن السوري, و تعاملت مباشرة مع امريكا (نزع السلاح الكيميائي 2013, وقف اطلاق النار 2016). اما عن اقتصاديات بلدان جنوب المتوسط التي يجب تحديثها, للحد من بطالة الشباب و تحقيق الاستقرار السياسي, فان الاتحاد يمكنه ان يساعد, و بالفعل فهو يساعد كثيرا (10 مليار اورو للفترة 2014 – 2020), لكن هذه الدول يجب عليها ان تبادر هي بتحسين ادارة حكمها. فالاتحاد الذي كان قد وعد دول المتوسط بمنطقة تجارة حرة في مشروع برشلونة, لم يتمكن من بدء المفاوضات الفعلية إلا مع دول تقدمت في خطاها نسبيا, كتونس و المغرب, و مازال يواجه عقبات كثيرة معها. [1]

و مؤخرا تقلص عمل الاتحاد و اصبح يقتصر على حمايته من المشاكل الجديدة الناشئة عن: الفوضى في دول المتوسط, الارهاب الاسلامي, توسع نظام داعش, الهجمات الارهابية التي شنت في عواصم عديدة من اوروبا, تزايد ضغط الهجرة من جهة المتوسط منذ سنوات عديدة, و من البلقان منذ 2015, انتشار ظاهرة المقاتلين الاجانب (التي تمس البلدان الاوروبية التي لها فئة مسلمة في مجتمعها, و فئة معتبرة من الاوروبيين الذين اعتنقوا الاسلام). و لمواجهة هذه التحديات التي اثرت سلبا في فضاء 'شنغن' و شككت في مزاياه, لجا الاتحاد الى مضاعفة الرقابة على حدود الخارجية, و مضاعفة المساعدات من اجل ايواء اللاجئين في الدول المجاورة لسوريا. كاتفاقية الاتحاد و تركيا في 2016 التي انتقدت ظروف ابرامها (مساعدات مالية لتركيا, استئناف مفاوضات الانضمام, الغاء تأشيرة دخول الاتحاد للمواطنين الاتراك), بهدف جعل تركيا شريكا في محاربة الهجرة غير الشرعية. فلو استطاع الاتحاد اعادة تحصين

[1] - Maxime Lefebvre, **La politique étrangère européenne : quel bilan ?**, op.cit.

اوروبا و تقوية امنها, عندها يستطيع ايقاف الضغوطات عليه. لا يجب ان يتخلى الاتحاد عن التطوع و الاعانات في سياسة الجوار التي سطرها, لكن تجربة 15 سنة الاخيرة, يجب ان تحفزه على ان يكون متواضعا و واقعيا, و مرنا. كما لا ينبغي للاتحاد ان يقلص افاق اولوياته على محيطه المباشر في المتوسط او المنطقة الشرقية و هو ما سجل في 2003. ان ما يحدث في جنوب الصحراء الكبرى له اثار مباشرة على استقرار و رفاهية اوروبا, من حيث الارهاب, الجريمة المنظمة, المحافظة على البيئة, او ازمة اللاجئين. و تدخل الاتحاد في منطقة الساحل و في خليج غينيا (مع الاستراتيجيتين المعتمدتين في 2014), او في القرن الافريقي (محاربة القرصنة) , او في صراعات اخرى (جمهورية افريقيا الوسطى, جمهورية كونغو) ضروري جدا, لكن لا يمكن ان يتجاهل الاتحاد الاوضاع في الشرق الاوسط (العراق, ايران, الخليج), في افغانستان, او في اسيا الوسطى. و في الواقع هو يشارك لكن بوسائل محدودة. [1]

لجميع هذه الاسباب يجب على الاتحاد ان يعتني اكثر بأسلوب عمله, في عالم يحافظ على الجانب التنظيمي في العلاقات. بالفعل الدول لها دور مركزي, لكن الاتحاد يقدم اطارا و ادوات لا غنى عنها, بقي عليه ان يمشي مستعملا قدميه الاثنين, من جهة تعزيز الاطار الاوروبي و ادواته و زيادة الاستفادة منه, و من جهة اخرى تعبئة الدول الاعضاء من اجل الرد و الفعل المشترك في البيئة الدولية.

المطلب الثالث: ترسيخ الاتحاد الاوروبي لنظام عالمي تعددي جديد

ان انتصار الولايات المتحدة على القطب الشرقي الاشتراكي اعطى نظاما جديدا, تولت فيه امريكا قيادة العالم تحت شعار العدالة و حقوق الانسان, و الذي يخفي ورائه شعارا اخر هو قيادة منابع النفط في العالم. و استمرت في هذا المنوال مستخدمة كل الامكانيات للاحتفاظ بمكانتها كقوة عظمى بدون منافس في العالم, معتمدة على قوة السلاح و ليس على وساطة الدبلوماسية. فتولد شعور اوروبي بعدم الاطمئنان اتجاهها, لكن احداث 11 سبتمبر اكدت لأوروبا انه من الصعب الاستقلال بسياستها الخارجية عن الولايات المتحدة, فلم يبقى امامها إلا ان تنضم الى باقي الاطراف التي التفت حول امريكا رغما عنها للحفاظ على مصالحها.

ففي فترة الحرب الباردة كانت هناك العديد من الخلافات بين الولايات المتحدة و اوروبا, منها ما يدور حول مهام و اسلوب عمل الحلف الاطلسي, و اخرى حول حجم المساهمات المالية في الميزانية العسكرية, و قضايا اخرى كالعدوان الثلاثي على مصر 1956, القنبلة الهيدروجينية 1961- 1978,

[1] - Maxime Lefebvre, **La politique étrangère européenne : quel bilan ?**, op.cit.

رفض منح الاراضي الاوروبية لأمريكا من اجل امداد اسرائيل بالسلاح في حرب 1973. حتى ذهب بعض المحللين عند سقوط الاتحاد السوفيتي الى القول ان هذه الخلافات التي كانت تدور في السابق حول التفاصيل و ليس حول فكرة التحالف في حد ذاتها, قد تؤول حاضرا الى نقطة الافتراق في العلاقات الاوروبية الامريكية. و استمرت هذه الخلافات حتى بعد انتهاء الحرب الباردة, فكانت بخصوص حرب البوسنة, اخرى بشان فرض عقوبات تجارية (كوبا, ايران, ليبيا), ايضا توترات متعلقة بالدور الاوروبي في صنع قرارات الحلف الاطلسي, و استياء من امريكا عند رفضها معاهدة "كيوتو" الموقعة في 1997.

و عند تأسيس الاتحاد الاوروبي 1993, حدث هناك عبور من منطق التنافس الايديولوجي و العسكري الى الاجماع الفكري في النظام الدولي, فأصبحت الديمقراطية و الليبرالية و حقوق الانسان هي قيم عليا فوق قمة النظام الدولي. و اصبحت امريكا قائدا لهذا النظام العالمي الجديد و لكل مؤسساته: السياسية, العسكرية, التجارية, و المالية, التي تدار بأسس رأسمالية ذات مفهوم امريكي. لكن الازمات التي ظهرت في التسعينيات: حرب الخليج الثانية, حرب البوسنة و الهرسك, حرب كوسوفو, اظهرت ضعف التعاون السياسي الاوروبي في اتخاذ موقفا موحدا في سياسته الخارجية اتجاه ازمات الجوار, فالقوة العالمية لاقتصاد اوروبا لا نجدها في المجال السياسي العسكري. [1]

و بسبب احساس امريكا بتفوقها الكبير في انهاء الحروب بأقل قدر من الخسائر, جعل تدخلاتها العسكرية في العالم بعد سقوط المعسكر الاشتراكي, (بنما 1989, العراق 1991, الصومال 1993, البوسنة و الهرسك 1995, كوسوفو 1998, افغانستان 2001, العراق 2003), تفوق عدد تدخلاتها اثناء الحرب الباردة, منتهكة كل القواعد القانونية و العرفية و الاخلاقية, فخسرت مصداقيتها من قبل حلفائها في الاتحاد الاوروبي, و منافسيها في البيئة الدولية. [2]

فتأكدت الولايات المتحدة من ان الاتحاد الاوروبي يمثل تحديا لمفهومها للعالم, و الذي تعتبر فيه القوة العسكرية وحدة قياس قوة الدول, مما يجعلها تنفرد بالنظام الدولي و تغلق الباب امام اي مرشح سواء دولة او كيان لان يلعب دوره إلا بإذنها, اما مفهوم الاتحاد للعالم فانه يعتبر ان مصالحه و دوره يعززهما نظام متعدد الاقطاب, يفتح الطريق للقوى الكبرى للتعاون و التشارك من خلال الاطر و الهياكل الدولية لصنع القرار الدولي, و يسمح لها بان تؤدي دورها بما يتوافق مع امكانيات قوتها الشاملة و ليس فقط العسكرية,

[1]- مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص.ص. 214 – 221 .

[2]- معن عبد العزيز الريس, مرجع سابق, ص. 144 .

فمجرد وجوده في هذا النظام الدولي دليل على ان سلطة القانون و الدستور و الدبلوماسية, قادرة على ان تستثني العامل العسكري و ان تطفأ نار الصراعات القومية.

ان الاتحاد الاوروبي يعي جيدا, ان مازال امامه الكثير من العمل حتى الوصول الى توحيد سياساته بالنسبة للأقاليم التي تهم مصالحه من اجل اداء دوره فيها بكل فعالية, بدءا بدعم الوحدة الاقتصادية التي تساهم في جعل اوروبا المحيط الرئيسي للنمو الاقتصادي في العالم. فظهر انشقاق في العلاقات بين الاتحاد و امريكا نتيجة اختلاف الرؤى بين الطرفين في نقاط عديدة لا تخص فقط المسائل العابرة او المؤقتة, و انما امتدت الى قضايا جوهرية مثل: اختلاف اولويات كل طرف في اجندته في المحيط الدولي, المصادر الحقيقية التي تهدد الامن و السلم الدولي و اسلوب و وسائل التصدي لها, فمثلا الاتحاد يعتبر الارهاب خطرا يهدد العالم و محاربته لا تقتصر على القوة العسكرية فقط, بل من خلال تعاون الاطراف في ظل القوانين الدولية, لكن امريكا تفضل العمل منفردة دون احترام مصالح الحلفاء. ناهيك عن اختلافات اخرى بخصوص البيئة و تغير المناخ, المحكمة الدولية, عقوبة الاعدام, التجارة الخارجية.

ثم ان الاتحاد احيانا تبدو عليه بعض الاشارات التي تظهر انه مازال غير مهيأ بشكل كلي و شامل لان يكون قطبا دوليا (فشل مشروع الدستور, عدم الاتفاق احيانا على الميزانية مثل سنة 2005, عدم الاتفاق على سياسات التقشف و الديون, خروج بريطانيا مؤخرا...), فانقسم الى: قسم اول بقيادة فرنسا التي تريد ان تخلق من الاتحاد قطبا دوليا قائما على مبادئ فكرية و قيميه و سياسية ذات اصول اوروبية يضاهي امريكا و يقلل من تسلطها, و قسم ثاني بقيادة بريطانيا التي لا تميل الى قطبية الاتحاد, لكي لا يكون هناك قطبين متماثلين في الغرب, مما يخلق مشاكل انقسام و تنافس داخلي, بل يجب تقوية الحلف الاطلسي لأنه اظهر بجدارة نجاحاته و هو الذي سيعزز التحاف بين الطرفين تحت مظلة الامن الجماعي, و عدم الثقة كثيرا في استقرار و امن النظام المتعدد الاقطاب. [1]

لكن ازمة جورجيا 2008 كانت بمثابة رسالة من روسيا للغرب بعدم السماح لهم باختراق مجالها الجيوستراتيجي, و حتى الازمة الاوكرانية, او ما يحدث في بحر الصين الجنوبي من صدام و تضارب بين الصين و بعض الدول المجاورة لها, مما يؤكد مرة اخرى ضرورة اقتناع المجتمع الدولي و على رأسهم امريكا, ان النظام الدولي يجمع حقيقة اقطاب عديدة و لو تباينت درجة قوتها. و من يدري فالمحتمل ان يتخلى الاتحاد عن بعض انسانيته و يدخل في تحدي مع امريكا في حدود المستطاع, و بما تسمح به

[1]- مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص. ص. 122- 128 .

موازين القوى التي لا توفر علينا المفاجئات في ظل نظام دولي تسوده الفوضى. و ما يثبت هذا المنظور هي المؤسسات المالية و التجارية الدولية من: البنك الدولي و صندوق النقد الدولي و المنظمة العالمية للتجارة, التي تديرها و لو بطريقة غير مباشرة امريكا التي باتت بحاجة الى الوقوف الى جانب الفواعل الدولية في تحولاتها الاساسية رغما عنها, او على الاقل لكسب تأييدهم لسياساتها. لكن هذه المؤسسات تبحث عن تحقيق أهدافها المجردة دون ميولات, ففرضت نظاما عالميا اقتصاديا جديد, فتح الطريق امام قوى كبرى و اخرى نسبية, (الرئيسية منها هي: الصين و اليابان و روسيا و الاتحاد الاوروبي و بعض دول الاتحاد منفردة), للتأهل لقيادة النظام الدولي الجديد الى جانب الولايات المتحدة. هذا النظام التعددي التوافقي اعتنق رأسمالية جديدة منضبطة مختلفة تماما عن الرأسمالية الطليقة السابقة غير المنضبطة. تضمن للدول قواعد و اسس لتحديد العلاقات الاقتصادية بين الاطراف المتعاملة مع بعضها داخل النظام السياسي, و الذي يتماشى مع مصالح الدول الرأسمالية الرئيسية و الدول ذات الاقتصاد المتنوع, كما يقوم النظام التعددي ايضا على المشاركة الاختيارية الارادية المرنة و ليس الاكراه. [1]

هذا النظام الجديد ربما يفتح يوما ما ابواب التوسعة لمجموعة الثمانية, و لمجلس الامن و اعضائه الدائمين. و لما لا تكون هناك قوة عسكرية اوروبية بحثه لا تعتمد على اي كيان سابق, مهمتها التحرك في اي وقت دون اذن اطراف خارجية لإيقاف الصراعات في فترة وجيزة, تتماشى في وقت واحد مع دبلوماسية اوروبية محكمة و مقنعة. كما لا يمكن تجاهل دور وكالة الطاقة الدولية, و منظمات و لجان البيئة و تغير المناخ, و مراصد حقوق الانسان, و مؤسسات الاعلام الكبيرة, و مراكز البحث و الفكر, و مطالب الشعوب, كل هذه التغييرات ستعطي حتما نظاما جديدا مختلف تماما عن النظام الاحادي القطبية مهما كان عدد اقطابه, او عدد الذين يلتفون حول هذه الاقطاب. [2]

[1]– مخلد عبيد المبيضين, مرجع سابق, ص.ص. 129 – 233 .

[2]– معن عبد العزيز الريس, مرجع سابق, ص. 144 .

خلاصة الفصل

عند التطلع الى تاريخ اوروبا الحديث, و بالذات من زاوية عبرة التجارب التي مرت بها شعوب اوروبا, ندرك ان اول عبرة خرجت بها اوروبا تكمن في ان الحرب بكل مخلفاتها المؤلمة هي اكبر الدروس المستخلصة, و هو ما اصبح مبدءا فيما بعد, شريطة ترجمة الدرس الى رؤية للمستقبل و من تم ترجمة الرؤية الى خطة عمل تدفع مسيرة الاتحاد الاوروبي الى الامام.

خطة العمل هذه لها مجموعة من الامكانيات المتاحة لم يستغل مجموعها حتى الان. و الاسباب هي في الاساس سياسية. فإذا كان الاتحاد الاوروبي يبدو نموذجا ممكنا في العولمة, فهذا يرجع الى السلطة الاوروبية التي لا تستند فقط على الاكراه, لكن ايضا على الاقناع. و هو اسلوب يستخدم مهارات الاتصال و الشرعية الدولية. موجه للعمل في الاجل المتوسط و الطويل المدى من اجل احداث تغييرات عميقة في البلدان المعنية.

ثم ان الاتحاد و كامل البناء الاوروبي يمثل تجربة اصلية لا يمكن مقارنتها بأي مبادرة اخرى. فهو لا يزال يشكل النموذج السليم او حتى المعقول, الذي يمكن النسج على منواله فيما يتعلق بتأسيس او تعزيز تجارب الوحدة او التكامل او الاندماج بين دول العالم, لان هذه التجارب تعطي المزيد من القوة للأطراف الداخلة في التجربة على الصعيد السياسي و الاقتصادي على السواء.

الفصل الثاني: صورة روسيا الاتحادية بالنسبة للاتحاد الاوروبي

المبحث الاول: محددات شان روسيا الاتحادية بالنسبة للاتحاد الاوروبي

- الجوار الجغرافي لروسيا الاتحادية مع الاتحاد الاوروبي
- اقتصاد روسيا الاتحادية و تكامليته مع اقتصاد الاتحاد الاوروبي
- جيوسياسية روسيا الاتحادية و اثارها على علاقاتها مع الاتحاد الاوروبي

المبحث الثاني: صناعة القرار في السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية

- البيئة العامة لصناعة القرار في سياسة روسيا الاتحادية
- تأثير شخصية الرئيس فلاديمير بوتين على التوجه السياسي لروسيا الاتحادية
- تكامل شخصية و سياسة الرئيس ديميتري ميدفيديف للرئيس فلاديمير بوتين

المبحث الثالث: منطلقات السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية من منظور الاتحاد الاوروبي

- نقاط قوة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية التي تضعف الاتحاد الاوروبي
- فلسفة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية في مفهوم الاتحاد الاوروبي
- معايير نظام العلاقات بين روسيا الاتحادية و الاتحاد الاوروبي

ملحق 2: خريطة روسيا الاتحادية

http://www.carte-du-monde.net/pays/russie/grande-carte-russie.jpg

الفصل الثاني: صورة روسيا الاتحادية بالنسبة للاتحاد الاوروبي

كانت بداية الدولة الروسية في القرن 14 كإمارة في موسكو, و اصبحت اكبر دولة في العالم في عهد "بطرس الاكبر", الذي كانت جل اتجاهاته العسكرية مركزة على العثمانيين, ثم تحول الى الشمال, فوسعها بشكل كبير في القرن 17 , فامتدت على اوراسيا من بحر البلطيق الى المحيط الهادي. و في نهاية حرب الشمال العظمى 1721 بين "بطرس الاكبر" و السويد, التي كسب فيها اربع مناطق جنوب شرق فنلندا, قلد نفسه امبراطورا بدلا من قيصر و سمى بلاده بالإمبراطورية الروسية الجديدة, و بعد موته شنت الامبراطورة "كاترين العظمى" حربا ضد العثمانيين وصلت فيها الى البحر الاسود, و في الشمال ضمت اليها كل من بولندا و ليتوانيا. و بعدها "الكسندر الاول" الذي ضم فنلندا الى الامبراطورية, و بدا حروب القرم جنوبا. و استمر وضع النجاحات العسكرية و التخلف الاقتصادي بين النزول و الصعود الى ان تم اعلان الاتحاد السوفييتي (اتحاد مجالس النصح) في 1922 بعد الثورة الشيوعية في روسيا, ثم انهار هذا الاخير و معه الفكر الشيوعي في 1991, و تمكنت بعض الدول من الانفصال من روسيا التي دخلت في مرحلة من الفوضى و اعادة تكوين نظام سياسي بديل, اعطى ميلاد جمهورية روسيا الاتحادية.[1]

المبحث الاول: محددات شأن روسيا الاتحادية بالنسبة للاتحاد الاوروبي

عالمنا الشاسع و الكبير مكون من سبع قارات, في داخلها حدود جغرافية تفصل الدول عن بعضها لكي تكون لكل واحدة منها كيانا مستقلا معترفا به دوليا, فهي متساوية قانونيا في الحقوق و الواجبات, لكنها تتفاوت من حيث مميزات جغرافيتها الطبيعية و البشرية, و هو كل ما يتعلق بمساحتها, تضاريسها, موقعها, و سكانها. هذه المعطيات تساهم بنسبة كبيرة في رسم المقومات الاساسية لقوة الدول او ضعفها, و بخصوص القوة و اتساع المساحة و تنوع التضاريس و اهمية الموقع و تطور النمو الديمغرافي و توفر الثروات الهائلة, فان روسيا تجمع بين كل هذه المعطيات, و تحاول العمل دون هوادة لتسخير كل هذه المقومات في تطوير اوضاعها و تحقيق مصالحها و الاحتفاظ باستمرارية قوتها.

[1]– منصور العمري, **روسيا اكبر كارثة جيوسياسية في القرن العشرين**, موقع اوريان نات, 02. 03. 2015, **http://www.orient-news.net/ar/news_show/85537**

المطلب الاول: الجوار الجغرافي لروسيا الاتحادية مع الاتحاد الاوروبي

الموقع الجغرافي: تقع روسيا في قارة اوراسيا في النصف الشمالي من الكرة الارضية, اي انها تربط بين قارة اسيا و قارة اوروبا, فهي اكبر دولة في العالم بمساحة 17.075.400 كيلومتر مربع, ما يمثل ثمن مساحة اليابسة, و حوالي 40 % من مساحتها متواجدة بأوروبا, كما انها تغطي 9 مناطق زمنية. يحدها من الشرق بحر بيرنغ, بحر اخوتسك, و بحر اليابان. و من الغرب اوكرانيا, بيلاروسيا, لاتفيا, استونيا, فنلندا, النرويج, (بولندا, و ليتوانيا و بحر البلطيق مع كالينينغراد). و من الشمال بحر بارنتس, بحر كارا, بحر لابتيف, بحر سيبيريا الشرقي, و بحر تشوكشي, و من الجنوب كوريا الجنوبية, الصين, منغوليا, كازاخستان, ادربيجان, جورجيا, و البحر الاسود. [1]

اما عن ما يميز مناخ روسيا, فهو شتاء طويل شديد البرودة و صيف قصير معتدل الحرارة, مع وجود اختلافات بسيطة من منطقة لأخرى نظرا لكبر مساحة اراضيها. لكن تنوع الحياة الحيوانية فيها خاصة الكائنات النادرة, و تنوع الغطاء النباتي الذي يحوي أكبر الغابات كثافة عالميا و تقريبا 10% من الاراضي الصالحة للزراعة في العالم, و اختلاف تضاريسها من جبال و سهول و هضاب و بحيرات متنوعة في شرق و غرب البلاد و التي تمثل اكبر احتياطي للمياه العذبة في العالم, كل هذه الميزات اعطت لروسيا اهمية بيئية معتبرة عالميا.

سكان روسيا: وصل عدد سكان جمهورية روسيا الاتحادية الى 146.519.759 نسمة في افريل 2016, فهي تحتل المرتبة الاولى اوروبيا و التاسعة عالميا من حيث عدد السكان. في حين يصل معدل الكثافة السكانية في البلاد الى 8.4 مليون نسمة لكل كيلومتر مربع, و هذا ما يجعلها من اقل البلدان كثافة في العالم. لكن في 1991 انخفض عدد المواليد في روسيا, و ارتفع عدد الوفيات بشكل غير طبيعي, بمعدل قدره 0.5% اي حوالي 800.000 شخص, و استمر التباطؤ في النمو بشكل ملحوظ حتى عام 2000, بعدها انعكس الوضع و عرفت روسيا نموا سكانيا ملحوظا خلال 2009 مع انخفاض في متوسط عدد الاطفال الذين يولدون في المناطق الحضرية. [2]

و يوجد في روسيا اكثر من 160 مجموعة عرقية منها ستة اعراق رئيسية (التتار, الاوكرانيين, الباشكيرية, التشفاش, الشيشان, الارمن), و 81% من سكان روسيا هم من اصل روسي. كما يعيش فيها سكان تعود

---

[1]– احسان العقلة, **عدد سكان روسيا**, موقع موضوع, 08. 02. 2016, **http://mawdoo3.com**

[2]– هدير الانور, **كم عدد سكان روسيا**, موقع المرسال, 09. 09. 2016.**https://www.almrsal.com/post/382105**

اصولهم الى العديد من دول العالم, سواء اوروبية او غيرها. و يتحدث سكان روسيا اكثر من 100 لغة, منهم 142.6 مليون شخص يتكلمون اللغة الروسية, و الكثير منهم يتحدثون اللغة الانجليزية سواء في التعاملات مع الاجانب المتواجدين في روسيا, او في التعليم في المدارس. اما الديانات الاكثر ممارسة في روسيا هي: المسيحية الارثوذكسية, الاسلام, البوذية, و اليهودية.

النظام السياسي لروسيا: جمهورية روسيا الاتحادية او اختصارا روسيا, هي اتحاد فدرالي ذو حكم جمهوري بنظام شبه رئاسي, مكون من 83 كيانا يضم: 21 جمهورية, 46 اقليم (اوبلاست), بالإضافة الى 1 اقليم مستقل ذاتيا, 9 مقاطعات (كرايات), 4 مناطق مستقلة ذاتيا (اوكروجا), و 2 مدن اتحادية.

- الجمهوريات او الولايات: حكمها ذاتي مع حق مفترض للانفصال, كل واحدة لها رئيس و دستور و برلمان, تمثلها الحكومة الفدرالية في القضايا الخارجية, عادة هي تمثل مجموعة عرقية معينة.
- الاقاليم او المحافظات: هي وحدات ادارية اعتيادية مستقلة نسبيا بذاتها, يعين حاكمها من قبل السلطات الفدرالية, و مجلس تشريعها ينتخب محليا.
- المقاطعات: حالها حال الاقاليم, فقط هي مناطق نائية ذات تعداد سكاني قليل.
- المناطق المستقلة ذاتيا: و هي اكثر استقلال من الاقاليم و لكنها اقل من جمهورية و تكون نسبة كبيرة من سكانها عبارة عن اقلية عرقية.
- مدن اتحادية او فدرالية: هي مدن كبرى مستقلة ذاتيا تعمل كمناطق منفصلة, لكنها تحت الاشراف المباشر للسلطات الاتحادية.

حسب الدستور الروسي, فان رئيس الجمهورية هو رئيس الدولة, و رئيس الوزراء هو رئيس الحكومة, و روسيا هي دولة ديمقراطية تمثيلية متعددة الاحزاب, و لها حكومة فدرالية و ثلاث سلطات: [1]

*/ التشريعية ممثلة في البرلمان و يضم مجلس الدوما, (مجلس الشعب الروسي 450 عضوا), المجلس الفدرالي او الاتحادي (و يضم 166 عضوا من رؤساء المقاطعات و الاقاليم و الجمهوريات), و من صلاحياتها: القانون الاتحادي, التصديق على قرار رئيس الدولة بشان اعلان الحرب, الموافقة على المعاهدات, كما لديها قوة المال و سلطة اقالة الرئيس.

[1]– منصور العمري, مرجع سابق.

*/ السلطة التنفيذية قائدها رئيس الجمهورية, و هو رئيس اركان الجيش, و له حق نقض مشاريع القوانين قبل تطبيقها, كما يعين مجلس الوزراء و الضباط.

*/ السلطة القضائية المكونة من المحكمة الدستورية, المحكمة العليا, محكمة التحكيم العليا, و المحاكم الاتحادية الادنى, كما يتم تعيين القضاة من طرف المجلس الاتحادي للبرلمان بناء على توصية من الرئيس, و يمكنه تفسير القوانين او الغاء بعضها التي يراها غير دستورية.

الهوية القومية الروسية: بالنسبة للدولة الروسية انخفاض عدد المواليد الروس مقارنة بالجنوب الاوراسي يشكل تهديدا على الشعب الروسي, بالأخص في حال غياب برنامج محكم لاستيطان الروس في مقاطعات اوراسية لا تخضع لسيطرة الدولة إلا سياسيا و اداريا, ضف الى ذلك تشكل العديد من التكتلات الحضارية على الاراضي الاوراسية مثل: تكتل الشرق الاقصى, و تكتل اسيا الوسطى. لذلك تحاول الدولة الروسية ايجاد سياسات اجتماعية تخلصها من عجزها على تقديم الدعم المادي و المعنوي الكافي لإقناع الاسرة الروسية بالإنجاب, كي تساهم هذه الاخيرة في زيادة النمو الديمغرافي الروسي, ثم تتولى الدولة توزيع هذا النمو بطريقة انتشارية في كل الاقاليم, بهدف تنمية البناء الروحي للقومية الروسية الدينية, الإثنية, و الثقافية السياسية للشعب كله. بمعنى ان الفرد الروسي عليه الاقتناع بأنه ارثوذكسي روسي يحترم الدولة و تاريخها قبل كل شيء, و هويته هي جزء من الهوية الروسية العابرة للزمان والمكان. [1]

خصائص الموقع الجغرافي لروسيا مقارنة بأوروبا: موقع روسيا الجغرافي يجبرها على الاخذ بعين الاعتبار التهديدات الاتية من الحدود الغربية مع الاتحاد الاوروبي و حلف شمال الاطلسي, و التهديدات الاخرى الاتية من الحدود الشرقية مع كوريا الجنوبية و اليابان و الصين. فكلتا الكتلتين الشرقية او الغربية متقدمة اقتصاديا و تكنولوجيا و ديمغرافيا.

فعند سقوط الاتحاد السوفييتي و انفصال العديد من الجمهوريات عنه فقدت روسيا اهم اطلالاتها المائية, فبانفصال دول البلطيق لم يعد بإمكانها التحكم في مياه بحر البلطيق, و بانفصال اوكرانيا لم يعد بإمكانها السيطرة على البحر الاسود و موانئه المهمة في التجارة الخارجية لدول البحر الابيض المتوسط و العالم الخارجي ككل. فلم يبقى إلا بحر قزوين و هو عبارة عن بحر مغلق.

[1]– بلغالم حنان, **الاستراتيجية الامريكية تجاه روسيا**, مذكرة شهادة ماستر في الدراسات الاستراتيجية, المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية, الجزائر, 2015, ص. ص. 23 – 24 .

في السابق و منذ عهد روسيا القيصرية كانت منطقة القزوين تحت سيطرة روسيا, و بعد تراجع حدودها اصبحت سهولها دون حواجز طبيعية, و الان تحاول روسيا استرجاع هيمنتها على هذه المنطقة الممتدة من البحر الاسود الى الاراضي العربية, و فرض وجودها فيها, فهي بمثابة عازلا لحدودها الجنوبية. كما تعطي اهمية كبيرة ايضا لمنطقة القوقاز التي تمثل بالنسبة لها خط دفاعي من الجنوب. و ترى روسيا ان قوتها و هيمنتها شيء مقرون بالسيطرة على بيلاروسيا, اوكرانيا, جورجيا, ادربيجان, و كازاخستان لحماية حدودها و مناطقها الحساسة. [1]

المطلب الثاني: اقتصاد روسيا الاتحادية و تكامليته مع اقتصاد الاتحاد الاوروبي

بعد انهيار الاتحاد السوفييتي تحملت روسيا الاتحادية بقيادة الرئيس بوريس يلتسين اوزار الاوضاع الاقتصادية المتدهورة, نتيجة سباق التسلح بين المعسكرين الشرقي و الغربي خلال الحرب الباردة. فقام هذا الاخير بإصلاحات على الطريقة الامريكية ادت الى انهيار روسيا كليا و تسببت في تراجع مكانتها و دورها في العالم, و تفاقم العديد من الأزمات الداخلية: تضاعف الديون, عدم قدرة الدولة على دفع رواتب الموظفين و الجنود, انتشار الفقر, ارتفاع نسبة البطالة, توقف بعض المؤسسات الصناعية و تراجع الانتاج الصناعي و الزراعي, نفاذ احتياطي الذهب, تفشي الفساد و الجريمة و الرشوة, سيطرة المافيا على معظم النشاط الاقتصادي و المالي, انعدام الامن و الاستقرار. [2]

فترة الانتعاش: عند وصول الرئيس فلاديمير بوتين الى السلطة في عام 2000, شرع في تكوين ادارة قوية للحكم تعمل وفق سياسات جديدة في التنمية الاقتصادية على الصعيد الداخلي و الخارجي, مستعينة بكل مقومات الدولة لإعادة البناء الداخلي و احياء القوة الذاتية الروسية بعيدا عن النماذج الغربية. فكانت النتيجة: تطور الاقتصاد الكلي الروسي, ارتفاع الناتج القومي الاجمالي و ارتفاع نصيب الفرد منه, اعادة التماسك الاجتماعي, بعث الروح القومية, نمو الاستثمار الحكومي, تدفق رؤوس الاموال الاجنبية و الاستثمار الخارجي, حيوية سوق الاسهم خاصة في مجال المحروقات, ارتفاع احتياطي البنك المركزي من الذهب و العملات الصعبة. كل هذا مكن روسيا من تسديد ديونها و التقليل من اعتمادها على صندوق النقد الدولي, فارتفعت اجور العمال و المتقاعدين, و انخفض معدل التضخم و نسبة البطالة, كما

---

[1]– بلغالم حنان, مرجع سابق, ص. 21 .

[2]– محمد مجدان, **سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر**, المجلة العربية للعلوم السياسية, الجزائر, 2016, ص. ص. 46 – 47 .

انشئت روسيا لحماية اقتصادها من اضطرابات اسعار المواد الخام في الاسواق العالمية "صندوق الاستقرار", و هو صندوق ادخار من مبيعات النفط. و مع نهاية 2008 اصبح الاقتصاد الروسي من اكبر الاقتصادات في العالم يضمن لروسيا عودة قوية الى الساحة الاقليمية و الدولية, في الوقت الذي كان يعيش فيه العالم ازمة مالية حادة انهكت حال اقتصاد الدول الكبرى. [1]

لقد بلغ الاقتصاد الروسي 1300 مليار دولار في سنة 2013, مصنفا روسيا عالميا في المرتبة 12 من ناحية الناتج المحلي الاجمالي, و في المرتبة 6 من حيث القدرة الشرائية, كما ان روسيا تملك موارد طبيعية ضخمة تجعلها من اغنى دول العالم. فهي دولة رائدة في مجال الطاقة, حيث تملك سابع اكبر احتياطي نفط في العالم بنسبة 4.6 % فهي ثاني اكبر منتج و مصدر بعد السعودية بنسبة 40 % من اجمالي الصادرات العالمية, كما تملك ربع احتياطي الغاز في العالم اي ما يعادل 54.3 مليار متر مكعب و هي اكبر مصدر له. و من مواردها ايضا الذهب و الالماس, فهي من اكبر منتجيه حيث تمتلك سادس اكبر احتياطي ذهب في العالم بما يعادل 1500 طن في 2016, و اكبر منتج للألماس بقيمة ربع اجمالي الانتاج العالمي, بالإضافة الى الفضة و النيكل و الحديد و الفوسفات و الرصاص و الخشب. و فيما يخص قطاع الزراعة فلها 220 مليون هكتار من الاراضي الزراعية, الذي فاقت صادراته الاسلحة في عام 2016. اما القطاع الصناعي فيحوي صناعة الاسلحة التي تمثل خمس اجمالي وظائف الصناعة, تليها صناعة الطائرات بأكثر من 350 الف وظيفة, بعدها صناعة الفضاء بأكثر من 100 شركة توظف اكثر من 250 الف موظف. و تجدر الاشارة الى ان قطاع الاسلحة هو من اهم القطاعات الحيوية في الاقتصاد الروسي بعد قطاع النفط, فروسيا تعد ثاني اكبر دولة في العالم بعد امريكا في حجم مبيعات السلاح الى الخارج, مما يساهم في زيادة الدخل القومي و في ترسيخ مكانة روسيا عسكريا في العالم, و يستند هذا القطاع ايضا على الجانب غير المادي كالكفاءة و الخبرات المكتسبة في الحروب و الجوانب التنظيمية, فروسيا لها قوة بشرية متعلمة تفوق 90 %, و لها عدد كبير من العلماء في جميع المجالات و بالخصوص في علم الذرة و الرياضيات و الفضاء. [2]

فترة الركود: اثر الازمة الاوكرانية في 2014 فرض الاتحاد الاوروبي و الولايات المتحدة على روسيا عقوبات اقتصادية, تزامنت هذه الاخيرة مع الانخفاض المستمر لأسعار النفط, مما احدث صدمة

[1]– محمد مجدان, مرجع سابق, ص. ص. 49 – 50 .

[2]– ليان عودة, **ابرز 10 حقائق عن الاقتصاد الروسي ... تعرف عليها**, قناة العربية, دبي, 30 ماي 2017, https://www.alarabiya.net/ar/aswaq/economy/2017/05/30/

للاقتصاد الروسي نتج عنها ففقدان العملة الروسية (الروبل) لربع قيمتها, و حدوث ركود حاد انخفض فيه نمو الناتج المحلي الاجمالي الى سالب 3.7 % في 2015, ثم ارتفع الى سالب 0.5 % في 2016, مما يدل على ان الركود الحاد لم يدم طويلا, فمن المحتمل ان يستقر الاقتصاد الروسي و لو نسبيا و يحقق نمو ايجابي بمعدل 0.7 % في نهاية 2017 , نظرا الى انخفاض نسبة البطالة الى اقل من 6 %, و الى انخفاض معدل التضخم الى اقل من 7 % في 2016 بعدما كان 15.6 % في 2015. و من تداعيات هذه الازمة كذلك ارتفاع معدلات الفقر في روسيا, فحسب مصادر للبنك الدولي ان نسبة 11.2 % من الشعب الروسي يعاني الفقر في 2014, ثم ارتفعت النسبة الى 13.3 % في 2015, و التي تبقى دائما في المعقول مقارنة بنسبة 17.8 % في 2005, او 24.6 % في 2002, و انخفض الدخل القومي الاجمالي للفرد من 14.84 دولار في 2013 الى 11 دولار في 2015. [1]

لكن هذه الازمة عادت على بعض القطاعات الاقتصادية بالنفع, فانخفاض قيمة العملة الروسية شجع التصدير, اما رد الفعل الروسي على العقوبات الاقتصادية المفروضة عليه و المتمثل في الحظر الغذائي على استيراد المنتجات الزراعية و بعض المواد الغذائية من الاتحاد الاوروبي, فقد شجع المنتجين الروس على الزراعة و تربية اللحوم, خصوصا بعد انخفاض اسعار الوقود و السماد فزاد استهلاكها ب 16 % في سنة 2016, و اصبحت روسيا اكبر دولة منتجة للحبوب في العالم في 2016, بعد ان كانت من اكبر مستورديه في الالفينيات, و اكبر منتجي شمندر السكر. فلقد احتلت صادرات المنتجات الزراعية المرتبة الثانية بعد الصادرات النفطية و تتقدم صادرات الاسلحة التي اصبحت في المرتبة الثالثة. [2]

العلاقات الاقتصادية المتبادلة لروسيا مع الاتحاد الاوروبي: هناك حاجة متبادلة للطرفين للحفاظ على حجم التبادل الاقتصادي بينهم على الاقل في المدى القصير, حيث تستورد روسيا من اوروبا منتجات زراعية و غذائية, و تحتاج الى تقنيات الاتصال و التكنولوجيا المتقدمة, و الى بعض الالات و الماكينات و المركبات, و الى راس المال الاوروبي لتطوير اقتصادها بعيدا عن مداخيل النفط و الخامات. اما اوروبا فتحتاج بدورها من روسيا النفط و الغاز و الخشب و المعادن, و الى استمرار تسويق منتجاتها و سلعها لروسيا, كما انها تعتبر من اكبر المستثمرين في الاقتصاد الروسي بنسبة 80 % من

[1]– مايا اوتاراشفيلي, **الى اين يتجه الاقتصاد الروسي ... هل يتداعى ام يبقى صامدا؟**, مجلة العرب الدولية, نوفمبر 2016,

[2]– **روسيا تشهد ازدهارا في المجال الزراعي رغم العقوبات**, مجلة دو فيناسيل تايمز, بريطانيا, 20 . 04 . 2017,

الاستثمارات الخارجية في روسيا, اما المصارف الاوروبية فهي من اكبر المقرضين مقارنة مع المصارف الروسية و الشركات المالية الاخرى. لكن يمكن القول ان هذه العلاقات في ظل العقوبات يكون تأثيرها السلبي على الطرف الروسي اكثر منه على الطرف الاوروبي, لان روسيا ليس لها تنوع كبير في تبادلاتها الاقتصادية بمعنى انها تعتمد على الاتحاد الاوروبي كثيرا, اما حجم تجارة اوروبا مع روسيا فلا يتعدى 12 % من تجارة اوروبا الخارجية. حيث تصدر روسيا حوالي 90 % من انتاجها للنفط و الغاز الى اوروبا و هو ما يمثل 33 % من واردات الطاقة الاوروبية, و في نفس الوقت تستورد روسيا ما يقارب 65 % من احتياجاتها للآلات و الماكينات من الاتحاد الاوروبي. كما تتأثر ايضا صادرات روسيا بكون اوروبا شرعت مؤخرا في البحث عن مصادر اخرى للطاقة في بلدان الشرق الاوسط و الولايات المتحدة الامريكية و شمال افريقيا و اسيا الوسطى و ايران, و زادت من نشاطها في مجال الطاقة المتجددة, ضف الى ذلك الازمة الاقتصادية العالمية و اثارها على تراجع النمو الاوروبي مما ادى الى انخفاض الطلب على النفط و الغاز منذ 2005. فالعلاقات بين الطرفين يبدو انها تأخذ منحى اخر في السياسة و الاقتصاد سواء رفعت العقوبات او استمرت. [1]

المطلب الثالث: جيوسياسية روسيا الاتحادية و اثارها على علاقاتها مع الاتحاد الاوروبي

استراتيجية روسيا يرسمها موقعها الجغرافي بالنسبة الى بقية اوروبا, فحدود شبه الجزيرة الاوروبية الشرقية (دول البلطيق, بيلاروسيا, اوكرانيا) مع روسيا محدد بخط يمتد من الطرف الشرقي لبحر البلطيق شمالا الى البحر الاسود جنوبا (من سان بترسبورغ شمالا الى روستوف على نهر الدون جنوبا), و شبه الجزيرة الاوروبية محاطة من ثلاث جهات بالماء (بحر البلطيق, بحر الشمال, المحيط الاطلسي, البحر الابيض المتوسط, البحر الاسود), و معظم اراضيها لا تبعد عن البحر اكثر من 400 ميل. اما روسيا فاغلب مناطقها تبدو داخلية تقريبا و بعيدة عن الساحل, فالمحيط المتجمد الشمالي بعيد للغاية عن المراكز السكانية, و بعض منافذها البحرية تتجمد و تصبح غير صالحة للاستعمال في الشتاء لأشهر عديدة كل سنة, تتجمد معها فاعلية الاسطول الروسي و يتعرقل فيها الحراك التجاري. [2]

---

[1]– سامر الياس, **روسيا و اوروبا لصوغ علاقات اقتصادية مختلفة**, موقع الحياة, 06 . 06 .2016,
http://www.alhayat.com/Articles/15933415/

[2]– **سياسة روسيا الخارجية و لعنة الجغرافيا**, صحيفة الجزيرة نات, 01 .11 .2015 .
http://www.aljazeera.net/news/presstour

ملحق 3: الحدود الفاصلة بين اوروبا و روسيا

اما تلك المنافذ التي تمكنها من الوصول الى البحار التجارية فهي غير مضمونة, و يبقى امام روسيا الاوروبية ثلاث احتمالات للوصول الى مراكز التجارة البحرية العالمية: الاول في جنوبها الغربي عبر

البحر الاسود الذي يمر بمضيق البوسفور و هو طريق مائي ضيق تتحكم فيه تركيا و يمكنها غلقه على روسيا, الثاني في شمالها الغربي عبر سان بترسبورغ مرورا بمياه الدانمارك و التي يمكنها غلقه بدورها امام روسيا, و الثالث في اقصى شمالها بالمحيط المتجمد الشمالي الذي يبدأ من مورمانسك مرورا بالفجوات البحرية بين غرينلاند و ايسلندا و المملكة المتحدة و هو طريق طويل و غير مضمون كذلك, فمثلا خلال الحرب الباردة قامت القواعد الجوية في النرويج و اسكتلندا و ايسلندا الى جانب القوات القتالية المحمولة جوا على منع وصول روسيا الى منافذ البحر. لهذا تعتبر روسيا بلدا داخليا يفتقر الى المنافذ التي تصل الى المجاري المائية الحيوية, و حتى انهارها الداخلية هي قليلة مقارنة بمساحتها مما يعيق مهمة النقل الداخلي الذي يساهم في النشاط الاقتصادي. [1]

من هنا تتضح لنا نقطة ضعف روسيا التي تكمن في حدودها الغربية مع اوروبا و التي تمثل الجوهر الروسي, اما باقي المناطق الشرقية الاخرى في اسيا فهي ذات اهمية هامشية, و حتى سيبيريا التي تشغل حيز معتبر من مساحة البلاد فهي ثانوية من الناحية الاستراتيجية نظرا لقلة سكانها. اي ان روسيا التي تمتد على مناطق السهل الاوروبي المنبسطة تعتبر ضعيفة جغرافيا, لأنها تفتقر ايضا للحواجز الطبيعية التي توقف العدوان الاتي من الغرب مما يجعلها معرضة لخطر مستمر. مثل الغزو البولندي في 1605, و الغزو السويدي في 1707, و غزو نابليون في 1812, و عند العودة الى ما قبل الحرب العالمية الاولى, عندما كانت روسيا تتعدى حدودها الغربية اوكرانيا و بيلاروسيا و دول البلطيق لتصل الى رومانيا و بولندا, ساعدتها هذه الحدود و الاراضي الفاصلة على مقاومة الهجوم الالماني مع الامبراطورية النمساوية الهنغارية على روسيا في 1914, دون مد القتال الى الداخل الروسي و بالتالي الانتصار. اما في الهجوم الالماني الثاني 1941 على الاتحاد السوفييتي, استطاعت المانيا خرق الحدود الروسية و التوغل الى الداخل السوفييتي شرقا و جنوبا نحو اهم المناطق اقتصاديا في مراحل مختلفة من الحرب, بعد سيطرتها تقريبا على كافة شبه الجزيرة الاوروبية, لكن و للمرة الثانية هزم السوفيات و بشدة المانيا من خلال عمقهم الطبيعي الاستراتيجي و قوتهم العسكرية. [2]

---

[1]– جورج فريدمان, **الصعود الروسي: 10 خرائط تشرح استراتيجيات روسيا السياسية**, مقال في ن بوست, 02 .02 .2016,

[2]– **سياسة روسيا الخارجية و لعنة الجغرافيا**, مرجع سابق.

و بعد نهاية الحرب العالمية الثانية اصبح للاتحاد السوفييتي استراتيجيات تهدف مجملها الى دفع حدوده غربا قدر الامكان, و بالفعل توسع السوفيات داخل اوروبا و استولى على الصف الاول و الصف الثاني و الصف الشرقي من المانيا (حلف وارسو). كل هذه الانجازات كانت تهديدا لبقية دول اوروبا, لكن وقتها كان الاوروبيون مع الولايات المتحدة يسيطرون على دول تحيط بروسيا مما سهل لهم منع وصول هذه الاخيرة الى البحر متى ارادوا ذلك, و انهم كانوا يمثلون كتلة تجارية بحرية اعطت ثروة هائلة مقارنة مع ثروة التحالف السوفييتي, بالإضافة الى السباق نحو التسلح خلال الحرب الباردة الذي لم يؤثر على اقتصاد الدول الغربية كثيرا, بينما تكبدت روسيا اثاره المادية المدمرة. [1]

لكن المعطيات الاستراتيجية تغيرت عندما تراجعت الحدود الروسية بعد 1991 الى درجة انها اصبحت قريبة من العاصمة موسكو, هذا ما لم يحدث في اي وقت سابق, كما انضمت دول البلطيق الى حلف الناتو مما جعل سان بيترسبورغ على حدود 100 ميل من بلدان الحلف الاطلسي. ففي تلك الفترة لم تستطع روسيا القيام بأي شيء لتجنب ذلك, فكرست جهودها لتهدئة الوضع و استقراره في تلك المناطق بكل الوسائل (قتال المتمردين الشيشان على الجانب الشيشاني من حدودها, التدخل في جورجيا, ارسال قوات الى ارمينيا,...), لكن هذا لم يمنع استمرار الاستراتيجية الوطنية لروسيا في مد حدودها غربا الى اقصى حد ممكن, سواء بالتحالف او التعاون او الشراكة او الاحتواء. فدول أقصى شرق اوروبا مع الحدود الروسية المتمثلة في اوكرانيا, روسيا البيضاء, و دول البلطيق (استونيا, لاتفيا, ليتوانيا), تمثل حاجزا مانعا يحمي روسيا و يساعد على تطوير اقتصادها. و في محاولة لاستدراك الوضع الحدودي الغربي لروسيا في الخط الفاصل بينها و بين اوروبا, ادركت روسيا ان دول البلطيق امر انتهى فهي عضو في الحلف الاطلسي و لا يمكن فعل اي شيء, و فيما يتعلق ببيلاروسيا الامور تسري كما يرام لانها تسير من قبل حكومة موالية لروسيا, فبقيت اوكرانيا التي تجلب اهتمام روسيا لان الحدود المشتركة للدولتين تطل على اهم الاراضي الزراعية الروسية, و اهم المناطق السكانية الكثيفة, و اهم شبكات النقل الروسية, و فقدان اوكرانيا معناه فقدان منطقة عازلة و فقدان ميناء سيفاستوبول الدافيء نسبيا في شبه جزيرة القرم, بالإضافة الى امكانية تقدم القوات الاوكرانية المعادية لروسيا الى الحدود الروسية, فالأمر متعلق بالحفاظ على السلامة المادية للأراضي الروسية. [2]

---

[1]– جورج فريدمان, مرجع سابق.

[2]– **سياسة روسيا الخارجية و لعنة الجغرافيا**, مرجع سابق.

لكن المأزق في الازمة الاوكرانية ان روسيا تفترض ان نوايا الغرب لا تتوقف عند خلق نظام موالي للغرب لمجرد السيطرة على الداخل الاوكراني, و الغرب يفترض ان نوايا روسيا لا تتوقف على استرداد اوكرانيا فقط, لكن روسيا ترى انها الان لا تملك مناطق خارجة عن حدودها لتخسرها, و كل قواتها البحرية محاصرة و قواتها الجوية لا تكفي, فالأجدر بها الصمود و المقاومة كي لا يطال التهديد اراضيها الداخلية مهما كان وضعها الاقتصادي, فمثلا قبل الحرب العالمية الثانية كان وضعها الاقتصادي متأزما, لكن لم يمنعها هذا من الانتصار في الحرب بتكلفة لا تستطيع تحملها إلا دولا صلبة. [1]

كذلك اهمية المناطق الغربية و الجنوبية لروسيا نلاحظها في اغلب التجمعات السكانية او المناطق الاكثر كثافة سكانية الممتدة على حدودها الغربية مع اوروبا, و في المرتبة الثانية حدودها الجنوبية مع منطقة القوقاز الواقعة في جنوب البحر الاسود باتجاه بحر قزوين. كما ان حصيلة النشاط الزراعي في روسيا يتموقع في جنوب غرب البلاد, لان مناخ الشمال لا يساعد على الزراعة المكثفة, لهذا كانت الحدود الروسية مع اوكرانيا و مع القوقاز و اسيا الوسطى من المناطق الزراعية ذات انتاجية و حيوية لروسيا. ضف الى ذلك البنية التحتية للمواصلات في روسيا, و التي تحظى فيها شبكة السكك الحديدية بأهمية بالغة, فهي تتجه نحو الغرب و نحو الجمهوريات السوفيتية السابقة, باستثناء خطين يربطان روسيا الاوروبية بجنوب المحيط الهادي, اما مناطق سيبيريا فاغلبها تقع خارج نطاق شبكة النقل. [2]

لكن روسيا في استراتيجيتها اهتمت ايضا بإنتاج ما يكفي من الثروة لتفعيل قوتها العسكرية بالخصوص البرية منها, و ضمان مستوى مقبول من الرفاهية لمعيشة شعبها, باعتماد المنظور الروسي الذي هو عكس المنظور الغربي, فهي ترى ان الازدهار بمفرده لا يوحد الامة و ليس مبررا لولاء المجتمع, فالغرب بالنسبة لها معرض باستمرار للاقتتال الداخلي, لكنها تركز على الرؤية القومية المشتركة للشعب المستمدة من المواطنة الروسية المتوارثة, و الدعم الشعبي و ولاءه لها رغم اختلاف اعراقه, هو الذي يجعلها قادرة على مواجهة اعدائها و التصدي لهم بما لم يكن في حسبانهم.

المبحث الثاني: صناعة القرار في السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية

ان التوجهات السياسية للدول لا تتلخص فقط في شخص قائد السلطة التنفيذية بل هناك بيئة يصنع فيها

[1]– جورج فريدمان, مرجع سابق.

[2]– موقع المعرفة نات. **https://www.marefa.org**

القرار, و ان المصلحة الوطنية للدول تجسدها النقاشات و التفاعلات الداخلية بين مختلف الفاعلين الاجتماعيين و الرسميين في الدولة, بحيث تسعى كل مجموعة للتأثير على صانع القرار بما يتماشى مع مصالحها, و هذا بالاعتماد على تحالفات وطنية او قد تكون فوق قومية تفرض على الحكومة اخذها بعين الاعتبار اثناء اختيار البدائل سواء الداخلية منها او الخارجية للدولة, و عملية صناعة القرار في روسيا لا تختلف عن غيرها من الدول, فالعملية تمر عبر الاجهزة البيروقراطية لمؤسسات الدولة, لكن ما يجعلها استثنائية هو البيئة العامة التي تتم في اطارها, و طبيعة صناع القرار الذين يتحكمون فيها. [1]

المطلب الاول: البيئة العامة لصناعة القرار في سياسة روسيا الاتحادية

تجمع البيئة العامة لصناعة القرار السياسي الخارجي في روسيا بين ضوابط رسمية و اخرى غير رسمية:

الاطار الدستوري للدولة الروسية: حدث اول تعديل للدستور في روسيا بعد الاحداث الدامية في بداية اكتوبر 1993, و اعتمد باستفتاء في نفس السنة ضمن نظام سياسي جمهوري, قام فيه الرئيس يلتسين بإلغاء القسم الرابع من الدستور السوفييتي الذي ينص على المبادئ الايديولوجية, و توسيع صلاحيات الرئيس التي تعدت احيانا صلاحيات اي رئيس اخر في النظام الرئاسي على حساب الحكومة و السلطة التشريعية, بعدها قام الرئيس ميدفيديف في 2008 بإدخال تعديلات اخرى على هذا الدستور تعلقت بتمديد فترة صلاحيات رئيس الدولة من 4 الى 6 سنوات و مجلس الدوما من 4 الى 5 سنوات. و وفقا للدستور يتم انتخاب رئيس الجمهورية بالاقتراع الشعبي السري المباشر لعهدة مدتها 6 سنوات, مؤهل فيها للحصول على فترة رئاسية ثانية و لا يمكنه الترشح لفترة ثالثة على التوالي. [2]

فعلى المستوى الداخلي الرئيس هو القائم بتنفيذ الدستور و ضمان حريات المواطنين, و من مهمته اقرار الحفاظ على وحدة الاراضي الروسية و امن سيادتها, فالرئيس هو نواة النظام السياسي و لب عملية صناعة القرار فيه, اذ بإمكانه اصدار مراسيم لها قوة القانون, كما له صلاحيات تشريعية متمثلة في: حق اقتراح القوانين صراحة و التصديق عليها, و الاعتراض التوقيفي على مشاريع القوانين التي تعرض عليه

---

[1]– صابر ايت عبد السلام, **التوجهات الكبرى للإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة**, جسور الدراسات الدولية, قسنطينة, 16.04.2012.

[2]– خديجة لعريبي, **السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط بعد احداث 11 سبتمبر 2001**, مذكرة لنيل شهادة ماجستر في العلاقات الدولية و الاستراتيجية, جامعة, بسكرة, 2014, ص. ص. 83 – 84 .

من قبل البرلمان, و له الحق في اقتراح تعديل الدستور و تحديد موعد اجراء استفتاء حول تعديله قبل السلطات الاخرى التي لها نفس الحق.

الرئيس: سلطة الرئيس في روسيا غير محدودة, حتى ان بإمكانه حل مجلس الدوما و القيام بانتخابات جديدة بحجة حجب الثقة, لكن لا يمكنه فعل ذلك لأسباب تهدف الى خدمة و توسيع سلطته الشخصية, كما لا يمكنه حل مجلس الاتحاد مهما كان الظرف, لكن يبقى البرلمان الروسي لا يملك اي سلطة لمراقبة الرئيس او الحكومة, و لا حتى مراقبة الجيش او اجهزة المخابرات. كذلك يقوم الرئيس بتعيين رئيس الوزراء بشرط موافقة مجلس الدوما عليه, و تعيين الوزراء و عزلهم بتوصية من رئيس الوزراء, و الحكومة مهمتها تنفيذية بالأساس تتلخص في: تقديم الميزانية الفيدرالية للدوما, تنفيذ السياسات المسطرة في مجالات الثقافة و التعليم و الصحة و غيرها, تنفيذ السياسة الداخلية و المالية, تنفيذ السياسة الخارجية للدولة, و لا يمكن اعتبارها اكثر من مجرد جهاز معاون للرئيس, فهي لا تملك حق مواجهته و مساهمتها تقتصر فقط على تحضير الدراسات و ابداء الرأي و المشورة, ثم على الرئيس اختيار العمل بها ام لا.

اما صلاحياته في المجال الدولي فتخص تسيير السياسة الخارجية الروسية, و التفاوض مع الدول الاجنبية و توقيع الاتفاقيات الخارجية, كما له صلاحيات تعيين و استدعاء الممثلين الدبلوماسيين مع المجلس الاتحادي الذي له دور شكلي, و استقبال و تسلم اوراق اعتماد الدبلوماسيين الاجانب.

اما على المستوى العسكري و الحربي فالرئيس له مهمة القيادة العليا للقوات المسلحة في حالة السلم او الحرب, و تعيين او تسريح اعضاء القيادة العليا للقوات المسلحة, كما له مهمة اعلان الحرب الدفاعية ضد العدوان الخارجي, فهو الذي يتحمل المسؤولية العليا في الدولة, و بالرغم من ان القرارات قد تبدو جماعية لكن القرار الاخير يتخذه الرئيس مباشرة او يتخذ عموما تحت اوامره و ارشاداته. [1]

الاعلام: هو جزء لا يتجزأ من المؤسسات الرسمية, فالدولة تسيطر على شبكات الاعلام الرئيسية بإعانات مالية, و تحد من امكانية التقاط الاعلام المستقل مثلا على الانترنت, و توجه الكتب الدراسية. فمهمة الاعلام هي بث الرسائل القومية و انتقاد الثقافة الغربية, و تعزيز التوجهات السياسية للدولة و حشد الرأي العام و التأثير في النخبة السياسية للوقوف الى صف السلطة. [2]

---

[1]– خديجة لعريبي, مرجع سابق, ص. ص. 84 – 86 .

[2]– اولجا اوليكر و اخرون, **السياسة الخارجية الروسية في السياقين التاريخي و الحالي**, منظور تحليلي, مركز البحث راند كوربوريشن, الولايات المتحدة, افريل 2014, ص. 19 .

النخبة السياسية: هناك ثلاث مراكز قوى تتجاذب بينها حول كون روسيا دولة اوروبية يجب ان تتجه سياساتها نحو الغرب و يمثلها الليبراليون الراديكاليون, او انها دولة اسياوية يجب ان تركز على محيطها الشرقي و يمثلها القوميين و المحافظين و الشيوعيين, و تيار ثالث يمثل اتجاه الوسط الذي يجمع بين التيارين السابقين. كما يوجد هناك مجموعتان تسيطران على البرلمان الروسي ولهما تأثير على عملية صناعة القرار في روسيا و هما: مجموعة السيلوفيكي بقيادة بوتين و هم منتشرون في كل القطاعات الاقتصادية المربحة في الدولة, منهم رئيس جهاز الاستخبارات و رئيس الديوان الرئاسي و مؤسس حزب اوراسيا, و اهتمامهم الاول هو الامن القومي الروسي و حماية الدولة من التأثير الغربي, و مجموعة السيفيليكي بقيادة ميدفيديف و هم اقتصاديين و محاميين يتقلدون مناصب مهمة في الدولة, يميلون الى انفتاح الدولة على الغرب. [1]

ويتضح دور النخبة في قضية جزر الكوريل و العلاقات مع اليابان, فالتياران القومي و المتشدد لا يوافقان على تسليم هذه الجزر الى اليابان, و يقف الى جانبهم 47 الف مواطن روسي يسكنون هذه الجزر نصفهم تقريبا من العسكريين, حيث صوت 70 % منهم في 1991 بعدم اعادة هذه الجزر الى اليابان, فشكلت هذه المعارضة الداخلية الفاقمة عائقا للتحرك السياسي الخارجي الروسي مع اليابان, و عرقلت اي محاولة روسية لتقديم تنازلات سياسية بخصوص هذه القضية. [2]

الرأي العام: لا يعمل الرأي العام على تشكيل السياسة الخارجية في روسيا بشكل مباشر, لكن له اهمية كبيرة لدى الدولة التي تبذل كل ما بوسعها, و تذهب الى اقصى مدى لتشكيل الرأي العام و ضمان تأييد الشعب للدولة, لان من وجهة نظرها ان الامور اذا انعكست فيمكنها ان تؤول الى الأسوأ اذا ما تركت دون معالجة, فالدولة الروسية تخشى بشدة معارضة الرأي العام لتصرفات السلطة. [3]

الاحزاب: قبل تشريعيات 1993 وصل عدد الاحزاب في روسيا الى 40 حزب سياسي, دخلوا في تحالفات نتجت عنها مجموعات حزبية تمثلت في: احزاب اليمين, احزاب اليسار, احزاب الوسط و يمين الوسط و يسار الوسط. وهي احزاب ببرامج متباينة و توجهات مختلفة غير متماسكة, و مع قانون تبسيط

---

[1]– نجاة مدوخ, **السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة: دراسة حالة سوريا 2010 / 2014**, مذكرة ماجستر علاقات دولية و استراتيجية, جامعة بسكرة, 2015, ص. ص. 67 – 69 .

[2]– عبد العزيز مهدي الراوي, **توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة**, مجلة الدراسات الدولية, العدد 35, ص. 179 .

[3]– اولجا اوليكر و اخرون, مرجع سابق, ص. 15 .

اجراءات تسجيل الاحزاب الذي اقره الرئيس مدفيديف وصل عددهم مؤخرا الى 77 حزب سياسي, لا يلعبون دور المعارضة القوية للحزب الحاكم لأنهم لا يملكون ما يكفي من ثقة الشعب في مشاريعهم البديلة غير الواضحة, كما يفتقدون لسياسيين ذوي خبرة و كاريزما جاذبة, و جلها عبارة عن احزاب مجهرية لم توفق حتى في جمع الحد الادنى من التوقيعات التي تسمح لها بالمشاركة في الانتخابات, و هناك احزاب اخرى ليس لها اي تمثيل في بعض الاقاليم. لكن بعضها يحتل الصدارة مثل: حزب روسيا الموحدة و هو حزب الرئيس بوتين و له توجه محافظ, الحزب الشيوعي الروسي اليساري, و هما الحزبين الاكثر تأثيرا في سلطة الدولة و لهما هدف مشترك هو استرجاع مكانة روسيا في العالم كقوة عظمى, ثم يأتي حزب روسيا العادلة و الحزب الديمقراطي الليبرالي الروسي. [1]

المطلب الثاني: تأثير شخصية الرئيس فلاديمير بوتين على التوجه السياسي لروسيا

ولد فلاديمير بوتين في 07 اكتوبر 1952 بلينينغراد, وسط عائلة متواضعة من اصل روسي. بعد تخرجه من جامعة لينينغراد العامة في 1975 اين درس في قسم القانون, التحق بمدرسة جهاز لجنة امن الدولة (كا.جي.بي), و كان منخرط في الاستخبارات الخارجية لفرع لينينغراد الى غاية 1985. بعدها تم تحويله الى المانيا للعمل في مجموعة القوات السوفيتية, و بعد سقوط جدار برلين عاد لروسيا و اشتغل كمساعد لرئيس الجامعة التي درس فيها, ثم مستشارا لرئيس مجلس لينيغراد, و بعدها رئيسا للجنة العلاقات الدولية في سان بترسبورغ, و في 1994 تولى منصب النائب الاول لرئيس حكومة سان بيترسبورغ, ثم منصب رئاسة مجلس فرع مدينة سان بيترسبورغ. و في 1996 رحل الى موسكو بعد استقالته من (كا.جي.بي), ليبدأ مشواره السياسي مع بداية 1997 عندما تولى منصب نائب مدير شؤون الدولة, ثم الى ديوان رئيس الدولة, و بمرسوم رئاسي عين بوتين مديرا لدائرة الامن الفدرالي في روسيا في 1998, و تحصل في نفس السنة على شهادة الدكتوراء في الاقتصاد, و في مارس 1999 عين كسكرتير لمجلس الامن القومي الروسي, و في اوت 1999 عين كرئيس وزراء جديد للحكومة الروسية, بعدها اعلن الرئيس الروسي بوريس يلتسين في 31 ديسمبر 1999 ان فلاديمير بوتين رئيسا لروسيا الاتحادية بالنيابة خلفا له. [2]

سلمه قيادة الدولة لأنه كان يرى فيه رموز الشخصية الوطنية الحريصة على شؤون روسيا, في وقت غابت فيه الشخصيات القوية الفعالة على الساحة السياسية, و تداخلت فيه الافكار الايديولوجية الليبرالية

[1]– نجاة مدوخ, مرجع سابق, ص. ص. 70 – 71 .

[2]– خديجة لعريبي, مرجع سابق, ص. ص. 86 – 88 .

الغربية على الوسط الروسي, و التي لم يتقبلها سكان الريف او كبار السن ذوي التوجه الشيوعي. كما لاحظ فيه الوضوح و الدقة في عمله, و الاسلوب العملي الذي يتعامل به بوتين مع مختلف القضايا, و سرعة رد الفعل و الهدوء, و كان يلتسين متأكدا من وطنية بوتين و من قدرته على التوفيق بين الديمقراطية و اصلاحات البلاد.

و انتخب بعدها رئيسا لروسيا الاتحادية في مارس 2000, ثم في 2004, بعدها عين رئيسا للوزراء في 2008, و مؤخرا اعيد انتخابه كرئيس للدولة في 2012. و هو اول رئيس يتقن اللغات الاجنبية, و له شهادة جامعية كاملة, وخبرة كافية محصلة من سنوات العمل الفعال في مجالات الاستخبارات و الادارة و القيادة. من سماته الانضباط الذاتي الكبير مع العزيمة القوية, فهو لا يعرف التهاون او الكسل, حتى ان شخصيته نالت اعجاب الامريكيين في بداية حكمه. و يعتمد في سلوكه على المرونة النسبية مع الصرامة, و عند التعامل معه يظهر للوهلة الاولى انه سهل التفاوض لحل الخلافات, لكن في حالة الازمة فهو قادر على المواجهة بقوة و هدوء. فمنهجيته في حل المشاكل تجمع بين الحذر و الاعتدال و عدم التعاطف مع المسائل المطروحة, و هو ما يجعله عقلانيا في قراراته, و يملك وعيا سياسيا قويا مدافعا عن روسيا و الروس, كما انه يميل نوعا ما الى الاستقلالية في اتخاذ القرارات و احيانا دون شرح اسبابها, و يجمع المراقبين في روسيا و خارجها ان بوتين يمثل نموذج جديد من القادة الروس, فهو متعلم و ذكي, قوي الشخصية و حاد التصرف, بعيد عن الفساد الظاهر, له طموح روسي بقوة بلاده و زعامتها, فهو يهتم بروسيا اكثر من مصالحه, و استطاع ان يمزج النموذج السلطوي مع النموذج الليبرالي و مبادئ الشيوعية التقليدية للشعب الروسي مع مبادئ الليبرالية المحدودة على الطريقة الروسية. [1]

و بفضل شخصيته القوية الهادئة العقلانية, استطاع بوتين تحديث الدولة و القضاء على الازمات الاقتصادية التي ورمت روسيا لسنوات عديدة, و تشجيع الاستثمار و الصناعة و النهوض بالمجال العسكري, و محاربة الفساد و اصلاح النظام المصرفي و النظام الاجتماعي, و تطوير القطاع الزراعي, و حسم الامور في الشيشان و التأكيد على وحدة روسيا, و استرجاع مكانتها اقليميا و دوليا, يقينا منه ان قوة الدولة و مكانتها الخارجية تأتي من الوضع الداخلي المرموق, و من فرض احترام روسيا في الوسط الدولي الذي يهيمن عليه الغرب, و يشجعه في هذا المسار تأييد شعبه الكثيف له. [2]

---

[1]– خديجة لعريبي, مرجع سابق, ص. ص. 89 – 92 .

[2]– صابر ايت عبد السلام, مرجع سابق.

المطلب الثالث: تكامل شخصية و سياسة الرئيس ديميتري ميدفيديف للرئيس بوتين

ولد في 14 سبتمبر 1965 بلينيغراد, درس الحقوق بجامعة لينينغراد و تحصل على الدكتوراء في القانون الخاص سنة 1990, توظف مباشرة كأستاذ محاضر في نفس الجامعة التي كان يعمل فيها بوتين في سان بيترسبورغ, و من هنا بدا مشوارهم العملي. حيث شغل منصب مستشارا لرئيس المجلس التشريعي للمدينة, ثم مستشارا قانونيا في لجنة العلاقات الخارجية التي كان يترأسها بوتين, بعدها نائبا لمدير ديوان الحكومة الروسية لما كان بوتين رئيسا بالنيابة, ثم النائب الاول لمدير الديوان, و هو الذي اشرف على الحملة الانتخابية الرئاسية لبوتين. و لما فاز بوتين في 2000, انتخب ميدفيديف رئيسا لإدارة غاز بروم بالإضافة الى عمله في الكرملين, و في 2003 عين رئيسا للديوان الرئاسي, ثم في 2005 نائب اول لرئيس الوزراء, و في 2007 رشحه بوتين لرئاسة الدولة و وقف الى جانبه للفوز في الانتخابات. [1]

انتخب ميدفيديف رئيسا لدولة روسيا الاتحادية في 2008 و كان يمثل نموذجا جديدا من القادة بالنظر الى تجربته, فهو اصغر الرؤساء سنا لم يعرف الممارسات السياسية مع الحزب الشيوعي السابق, و بعيد تماما عن الساحة العسكرية او المخابراتية السوفيتية, كما انه ينتمي الى التكنوقراط المتميزين في الامور الاقتصادية, فهو اكثر تحررا و انفتاحا على العالم الخارجي باتجاهات ليبرالية, و لا يحبذ المفارقات الايديولوجية لأنه يرى فيها عائقا للتطور الفكري و التقدم الانساني للمجتمعات.

نجاح ميدفيديف في الانتخابات كان فرصة حقيقية لبوتين كي يستمر في ممارسة السياسة العليا الروسية, و تشكيل سلطة قوية لمواصلة السير على نهجه الذي فرض الاستقرار و حقق نتائج ايجابية. فقبل 2008 لم يكتسب ميدفيديف شهرة على انه اصلاحي, و لم يثبت نهجه الاكثر ليبرالية, بل اظهر انه يؤيد الاستقرار و بقاء الوضع كما هو. و اثناء رئاسته لم يكن في طاقمه الحكومي وجوها جديدة غير تلك التي كانت في طاقم سابقه, و تجلى هذا في سياسته التي كانت مكملة لسياسة بوتين, بخلاف بعض التغييرات الرمزية, و استخدام ليبراليته في بعض القضايا الدولية لدعم التعددية في العلاقات الخارجية, و الوصول بروسيا الى قوة يعترف بها عالميا, بالتركيز على تطويرها و الحفاظ على امنها و استقرارها و وحدة اراضيها. و بقي الى جانب الرئيس بوتين بعد 2012 كرئيس للوزراء, مما يؤكد مواصلة الرجلين في تطبيق نظام سياسي واحدة منذ 18 عاما, قائم على شخص بوتين الذي يقرر و ميدفيديف يطبق. [2]

---

[1]– خديجة لعريبي, مرجع سابق, ص. ص. 93 – 95 .

[2]– **لمحة عن ديميتري ميدفيديف, رئيس الاتحاد الروسي**, مجلة المجلة, 06.07.2009. **http://arb.majalla.com**

المبحث الثالث: منطلقات السياسة الخارجية لروسيا من منظور الاتحاد الاوروبي

لقد عرفت السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية منذ سنة 2000 و حتى الان نقلا كبيرا من سياسة خارجية ضعيفة بسبب التبعية و الخضوع للغرب في التسعينيات, الى سياسة خارجية مستقلة تماما و نابعة من الذات الروسية, و هو ما نتج عنه استرجاع روسيا مكانتها و دورها كقوة في الساحة الدولية رغم المحددات التي فرضها العالم الغربي بوجود الولايات المتحدة الامريكية كقطب مهيمن, فقد نجحت روسيا في خلق حلف مساند تمثل في علاقات الشراكة مع الدول الصاعدة مثل الصين و الهند, و الى تفعيل موروث العلاقات السابقة للاتحاد السوفييتي في الدول الاقليمية الطامحة للنفوذ مثل ايران و تركيا, او الدول البعيدة مثل امريكا اللاتينية و بعض الدول الافريقية, مع التركيز على استقرار علاقاتها بالاتحاد الاوروبي للمشاركة في القرارات السياسية المتعلقة بدول اوروبا الشرقية و زيادة انخراطها في الحلف الاطلسي. [1]

المطلب الاول: نقاط قوة السياسة الخارجية لروسيا التي تضعف الاتحاد الاوروبي

كانت روسيا في التسعينيات تتخبط في ازمات داخلية عصيبة, فالدولة لم يكن بإمكانها دفع رواتب العمال و الجنود, و امنها كان مهدد بسطوة المافيا و مخاطر الشيشان, و مؤسساتها تكاد لا تتحكم في مرافقها العمومية التي سيطرت عليها بعض الفئات لمنفعتها الخاصة, كما ابتعد حكام الاقاليم عن مركز السلطة, و كان الحديث على روسيا في الخارج ينزل الى ادنى المستويات, فروسيا انذاك لم يحسب لها الغرب المتماسك حسابا, بل كانت تناضل للحفاظ على مكانة عضويتها الدائمة في مجلس الامن دون تمكنها من التأثير في الملفات الاقليمية او الدولية المطروحة. لكن في 2000 و مع اصلاحات بوتين القياسية التي استأصلت من اطروحته للدكتوراء التي عرض فيها اهمية الطاقة و دورها في سياسة روسيا, و التي وصفها بالموازية لأهمية الترسانة النووية لبلاده رافضا فكرة خصخصة هذا القطاع, استطاع ان يخرج روسيا من الضياع و اللاإستقرار الى بر الامان, معتمدا على تقوية سلطة الدولة المركزية بالدرجة الاولى و تشديد القبضة على قدراتها الاستراتيجية, ساعده في ذلك ارتفاع سعر النفط, و الحرب على الارهاب بعد احداث 11 سبتمبر 2001, و حاجة المجتمع الدولي الى المساندة الروسية في مجلس الامن. [2]

---

[1]– شريف مازن اسماعيل فرج, **توجهات القيادة السياسية الروسية و تطور الدور الروسي في النظام الدولي**, المركز الديمقراطي العربي, قسم الدراسات و العلاقات الدولية, 29.09.2017.

[2]– ناصر زيدان, **دور روسيا في الشرق الاوسط و شمال افريقيا**, الطبعة الاولى, الدار العربية للعلوم ناشرون, لبنان, 2013. ص. ص. 195 – 196 .

فسطر بوتين هدفا لسياسته الخارجية يتمثل في زيادة الاندماج في العمل السياسي و الاقتصادي و الامني العالمي, و لتحقيق ذلك عزز حكومته بسياسات التطور الداخلي التي تقوم على الانتعاش الاقتصادي, من خلال توفير الظروف الملائمة للنمو و تحقيق الاكتفاء الذاتي, الذي بدوره سيسمح لروسيا بإعادة بناء قاعدة عسكرية قوية مدعمة بأحدث الاسلحة و التقنيات من اجل فرض وحدة اراضيها و امنها, و الحفاظ على مناطق نفوذها الحيوية, و تعزيز هذا الهدف ببرنامج دبلوماسي في سياق العولمة لكي تصبح روسيا قوة عظمى حديثة متقدمة اقتصاديا و تقنيا و اجتماعيا, و لها تأثيرها في العالم سياسيا. [1]

اصلاح جهاز الجيش: وضع بوتين خطة اصلاح في 2000 بالتدخل المباشر في وضع الجيش و شؤونه الداخلية من خلال تخفيض عدد الضباط و العسكريين و بعض الوظائف المدنية التابعة للقطاع, و اعادة الاعتبار للبحث في الصناعة العسكرية بتخصيص حصة معتبرة منها للجيش الروسي بعدما كانت تذهب كلها للتصدير, و تم التعاقد مع اختصاصيين لتوفير خدمات مؤقتة للقطاع, و في 2003 اعلن بوتين امام الدوما ان هدفه الاستراتيجي هو عصرنة الجيش و تجهيزه, فخصص له ميزانية معتبرة تفوق ميزانية الاقاليم. و لما اعلنت الولايات المتحدة انشاء درعها الصاروخي في جمهوريتي تشيكيا و بولندا, افصح بوتين بدوره عن برنامج جديد في الدفاع الجوي و بناء حاملات للطائرات, و في 2007 تحدثت روسيا عن تجهيز متطور للقوات الاستراتيجية بأنظمة تشغيل تستعمل لأول مرة, بما فيها نظام الاعتراض الصاروخي و تجربتها لإطلاق صاروخ جديد عابر للقارات, كما عادت الطائرات العسكرية الروسية تحلق فوق المحيطات البعيدة بعد ان توقفت لسنوات. مؤكدة للعالم ان روسيا استعادت قوتها العسكرية. [2]

عقيدة روسيا الدفاعية في الجوار تتجلى في الابقاء على وجودها العسكري فيه لحماية مصالحها المميزة, كتواجدها في مولدوفا و جورجيا ما ادى بها في 2007 الى تعليق تنفيذ معاهدة القوات المسلحة التقليدية في اوروبا, او كتدخل قواتها في حرب خمسة ايام الجورجية في 2008, لكن روسيا لا تستعمل دائما القوة فهي لم تستجب الى طلب الحكومة الانتقالية لجمهورية قيرغيزستان بإرسال قوات حفظ السلام اثر تحول الاطاحة بالحكومة الى احداث عنف في 2010. كذلك العقيدة الامنية الروسية ترى في الولايات المتحدة و دول حلف الاطلسي خطرا عليها باعتبارهم خصم محتمل, و لتفاديه يجب التقرب منه و التخطيط له, لذلك وقعت اتفاق هيكلي لعلاقاتها مع الحلف في 1997, و شاركت في تأسيس مجلس الحلف– روسيا

[1]– شريف مازن اسماعيل فرج, مرجع سابق.

[2]– ناصر زيدان, مرجع سابق, ص. ص. 196 – 198.

في 2002. لكن انسحاب امريكا من معاهدة الحد من الصواريخ المضادة للباليستية, و توسع الحلف الى مجال نفوذها السوفيتي السابق, جعلها تفقد ثقتها في نواياهم المتعلقة بزعزعة استقرار الدول و التدخل في شؤونها الداخلية, و انهم يريدون اضعاف روسيا و منعها من تحقيق مصالحها و اداء دورها كقوة عظمى. و تأكد هذا للروس في 2013 عندما استعمل النفوذ الغربي التخريبي لإشعال الاحتجاجات في اوكرانيا, بالرغم من ان البلدين اعتاد ابرام اتفاقات اقتصادية و دفاعية مستقلة, و اعتاد الخلافات حول طرق تسديد الديون الاوكرانية لروسيا او ما تعلق بأمور اخرى دون تأزم الوضع بينهما, لكن روسيا فاجأت الجميع بتدخلها العسكري في المنطقة و بضم القرم اليها مخاطرة بعلاقاتها مع الغرب. كما ان روسيا لها سياسة خارجية متنوعة, ففي علاقاتها بالغرب تفضل نهج التفاوض الثنائي الذي يختلف من فاعل لأخر كل حسب نوع علاقته معه على نهج التفاوض مع التحالفات, فالغرب يرى ان روسيا بالرغم من انفصالها عن اقاليم معتبرة في 1991 إلا ان جغرافيتها السياسية لم تتغير, و انه يسعى الى دمج روسيا في المؤسسات السياسية و الامنية الاوروبية, اما روسيا فتعتبرها مساعي معادية تهدف الى منعها بكافة الطرق من أداء دور فعال في الساحة الخارجية. [1]

اعادة بناء الاقتصاد: تنظيم الجهاز العسكري الذي شرع فيه بوتين منذ كان رئيسا بالنيابة مكنه من الاسترجاع التدريجي لمؤسسات الدولة التي كانت تعيش حالة فوضى و انقسام, فبدا بالشركات الكبرى التي تستثمر المواد الاولية كالنفط و الغاز, و انشا شركات مختلطة بين الدولة و الخواص على الطريقة الروسية, و لما وثق اغلبية الشعب في اصلاحاته التي عبروا عنها بإعادة انتخابه للعهدة الثانية قام بطرح برنامج تنظيم القطاعات الانتاجية و مؤسسات الدولة و الغاء البيروقراطية الادارية, و رسم سياسة محكمة للاستفادة من هذه الطاقة بزيادة موارد الدولة من هذه المواد, مستعملا طريقة الشروط السياسية مقابل الطاقة للتأثير على دول الجوار و اوروبا التي يمونها و اسواق الطاقة في العالم. فشهدت روسيا خلال حكم بوتين كرئيس للدولة او رئيسا للوزراء نموا اقتصاديا قياسيا باستثناء فترة الركود في 2009. [2]

هدف السياسة الاقتصادية الخارجية لروسيا يكمن في تقربها من الاقتصاد العالمي بجلوسها على مقاعد المنظمات التي تمكنها من اداء دور خارجي فعال, فانضمت الى صندوق النقد الدولي في 1992, و في نفس السنة الى البنك الدولي, و بعد دعوتها الى المشاركة في اجتماعات مجموعة الدول السبع في

[1]- اولجا اوليكر و اخرون, مرجع سابق, ص. ص. 5 – 7 .

[2]- ناصر زيدان, مرجع سابق, ص. ص. 198 – 200 .

1994, تمت دعوتها للعضوية في المجموعة في 1998 التي اصبحت تعرف بمجموعة الدول الصناعية الثمانية, و تم طردها منها في 2014 بسبب ضمها لشبه جزيرة القرم اليها, و التحقت بمنظمة التجارة العالمية في 2012 بعد تعطل المفاوضات بسبب رفض كبرى الشركات الروسية خفض الرسوم الجمركية, و حضور بوتين قمة المنتدى الاقتصادي لمجموعة العشرين في 2014 بالرغم من ادانة المشاركين لسياسته في اوكرانيا, و المشاركة الدائمة لكبار القادة الروس في منتدى سان بيترسبورغ الذي يحضره الرؤساء التنفيذيين و المستثمرين الاجانب, كل هذه المجالس تمثل منافذ يمكن من خلالها تحقيق مصالح روسيا الاقتصادية لتأكيد دورها في النظام العالمي.

اقتصاد روسيا يعتمد على شراكة كبيرة مع الاتحاد الاوروبي مهمة لتنمية الدولة, فقبل الازمة الاوكرانية وصلت مشتريات الاتحاد من النفط و الغاز و المعادن و الكيماويات الى 52 % من صادرات روسيا, و مبيعاته لها من آلات و معدات و مواد غذائية و استهلاكية الى 42 % من مستورداتها. كما ان الاتحاد يستقطب اكبر حصة لإيداعات اموال المواطنون الروس و الشركات الروسية في حساباته المصرفية في الخارج لشراء اسهم و سندات و عقارات في اوروبا, فقامت روسيا و خواصها بدمج اموالهم في النظام المالي الاوروبي. في المقابل قامت الشركات و المصارف الاوروبية بضخ اموالهم في الاقتصاد الروسي لأجل تطوير الخدمات المالية و الاتصال و تجارة التجزئة و الجملة و بناء المساكن, كما قاموا بتمويل استثمارات كبيرة في مجال الطاقة و البنية التحتية, مساهمين في ضخ المهارات التسييرية و الدراية الفنية التي اكتسبها منهم رجال الاعمال و اطارات الدولة, و تسريع النمو الانتاجي الى غاية 2008, و تتجلى اهميتهم في ان روسيا لم تنزع للمستثمرين الاجانب حيازات الملكية حتى في ظل العقوبات المفروضة عليها من الاتحاد, خصوصا و ان روسيا بعد توقيع الاتحاد في 2009 على اتفاقية لشبونة اصبحت اتفاقاتها التجارية الثنائية سابقا مع اوروبا تمر حاليا عبر المفوضية الاوروبية, مما يحد من حريتها في التفاوض و الضغط على دول اوروبا و شركاتها المتواجدة في روسيا, اضافة الى تخوفها من برنامج "حزمة الطاقة الثالثة في الاتحاد الأوروبي" الذي يهدف الى تنويع مصادر اوروبا من الغاز و الحد من تدخل روسيا و شركاتها في تحديد اسعاره, مما يؤثر على اقتصادها سلبا. [1]

اما علاقات روسيا مع دول الجوار فكانت تقوم في الفترة السوفيتية على مد دول اروبا الشرقية و الدول

[1]- اولجا اوليكر و اخرون, مرجع سابق, ص. ص. 9- 10 .

الاعضاء في الاتحاد بما يقارب 80 % من مستهلكاتها للطاقة بأسعار اقل من سعر السوق لأسباب ايديولوجية, لكن بوتين وضع حدا لهذه الاوضاع بتعديل الاتفاقيات مع هذه الدول ليصبح السعر متقاربا مع السعر المتداول, بما فيها اوكرانيا بالرغم من حاجته لها لتمرير انبوب غازه الى اوروبا, و وصل الخلاف بين الطرفين في 2006 بخصوص السعر الى قطع امدادها بالطاقة, فهو يستعملها كورقة ضغط سياسية على دول الجوار خصوصا تلك التي تحاول ازعاجه. و لكي لا تعامله هذه الاخيرة بالمثل لان انابيب الطاقة تمر بها, قام بوتين بإنشاء خطين جديدين لنقل الغاز للتخلص من ضغط اوكرانيا و تركيا, الاول في الشمال يمر ببحر البلطيق ليصل الى هولندا و المانيا و فرنسا و الدانمرك, و الثاني في الجنوب يمر بالبحر الاسود ليصل الى بلغاريا و ايطاليا و النمسا, بالإضافة الى بناء مستودع ضخم للغاز في هنغاريا يؤمن استمرار الامدادات الى اليونان و رومانيا. [1]

المطلب الثاني: فلسفة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية في مفهوم الاتحاد الاوروبي

حدد الرئيس بوتين منذ انتخابه أول مرة عام 2000 اولويات سياسته التي عرفت بوثيقة "مبدأ بوتين", التي ركزت على برامج الاصلاح الداخلي لروسيا و على معارضتها لنظام الهيمنة الاحادية في الخارج, فهي لن تسمح للغرب بتهميشها في القضايا الدولية و الاقليمية لذلك ستعمل الى جانب الولايات المتحدة في ملفات الحد من التسلح و حقوق الانسان و غيرها, و ان الحلف الاطلسي اذا استمر في التوسع شرقا فإنها سترد عليه بتعزيز ترابطها بدول الاتحاد السوفييتي السابقة لتامين منطقة دفاعها الاولى, و تعزيز علاقاتها مع الصين و الهند و اليابان لتامين مجالها الامني في الشرق, و استرجاع دورها تدريجيا في اسيا و الشرق الاوسط, ثم العمل على ايجاد دور و مكانة لها ضمن عالم متعدد الاقطاب. [2]

اثر احداث 11 سبتمبر و اعلان الولايات المتحدة الحرب على الارهاب الدولي, حاول بوتين انتهاز الفرصة و اعلن بدوره عن مشاركة روسيا في التصدي لهذه الظاهرة, في المقابل كان ينتظر من امريكا دعمها لاقتصاد بلاده, و مساندتها له ضد الحركة الانفصالية الشيشانية, و التخلص من نظام طالبان. فدعمت روسيا غزو امريكا لأفغانستان في 2001 و نسقت مع الحلف الاطلسي لهذا الغزو, كما اقترح بوتين في 2003 على امريكا التعاون في مجال الدفاع الصاروخي. لكن السياسة الانفرادية التي سلكتها

[1]– ناصر زيدان, مرجع سابق, ص. 201 .

[2]– ذيب اسليم القراله, **توجهات روسيا الخارجية, من عهد يلتسن حتى ولاية بوتين الثالثة**, مركز المحترفون الدولي للدراسات و الابحاث, 18.02.2017.

واشنطن فيما بعد و تهميشها لمعارضة موسكو عند غزوها العراق عام 2003 و عدم تحاورها معها بشان مستقبل اقليم كوسوفو, و الذي تزامن مع ارتفاع اسعار النفط في السوق العالمية, بالتالي ارتفاع الناتج القومي الروسي و نقص الاعتماد على المساعدات الغربية, جعل روسيا تتبع توجه جديد يمزج بين الاتجاهين الاورواطلسي و الاوراسي بما ينوع لها البدائل دون الدخول في صدام مباشر مع الغرب, ساعية الى تطوير قوتها الذاتية في استقلال تام عن هذا الاخير, و اعادة بناء محيطها الامني و العسكري. [1]

على المستوى الغربي عمد بوتين الى رسم سياسة جديدة قائمة على الحوار و المساواة بين كل الاطراف دون صدام مباشر, منتقضا السياسة الامريكية الاحادية و غزوها للعراق في 2003 دون ترخيص مجلس الامن و استعمالها المفرط للقوة العسكرية في العالم. فطالب بخلق نظام عالمي ديمقراطي متعدد الاطراف و احترام القانون الدولي, و طرح مبادرات لحظر نشر اسلحة الدمار الشامل و تأسيس مراكز دولية لتخصيب اليورانيوم, كما عارض انشاء امريكا للدرع الصاروخية و المحطة الرادارية في بولندا و التشيك مصرحا انهم موجهين لروسيا و ليس لإيران. فاقترح في 2007 على الولايات المتحدة مشاركة بلاده في القاعدة الرادارية لادربيجان و مشاركة اوروبا ايضا, فأرسلت امريكا في نفس السنة بعثة علمية الى اقصى شمال المحيط المتجمد الشمالي حسب اعلانها لبحث الفوهات المائية الحرارية هناك, لكن روسيا لم تقتنع بهذه الحجة و ارسلت بدورها بعثة اكبر الى اماكن متعددة في نفس المنطقة بحجة تعيين حدود الجرف القاري الروسي, من اجل تأكيد حقوق سيادتها على الموارد النفطية في تلك المنطقة.

و نظرا لعدم استجابة الغرب لاقتراحاته حيث اقتصر تعاون الطرفان على مجال الاستخدام السلمي للطاقة النووية مع الدول النامية, وقع بوتين في 2007 قانونا ينص على ان ظروف استثنائية تدعي ايقاف العمل من طرف واحد باتفاقية الاسلحة التقليدية في اوروبا, بداعي ان الدول الجديدة في الحلف لم توقع الاتفاقية و ان هذا يهدد امن روسيا القومي. و في العام نفسه لم يكن لأزمة الطرد المتبادل للدبلوماسيين بين بريطانيا و روسيا انعكاسات تؤدي الى المواجهة, بل بالعكس استمرت موسكو في رئاسة قمة الدول الصناعية الثمانية و نسقت اعمالها, لان روسيا تمكنت من نسج شراكة متينة مع الاتحاد الاوروبي تتجلى في انابيب المد الجديدة لنقل الطاقة لأوروبا بما فيها خط مستقل لالمانيا, او في اتفاقهم بحق روسيا شراء الشركات الاوروبية لتوزيع الطاقة مقابل حق شراء اوروبا الشركات الروسية المنتجة للطاقة. [2]

---

[1]– خديجة لعريبي, مرجع سابق, ص. ص. 102 – 103 .

[2]– ذيب اسليم القراله, مرجع سابق.

كما انشأت روسيا شراكة مع الصين في اطار منظمة شنغهاي للتعاون التي تضم معظم دول اسيا الوسطى, تخص مد خطوط نقل النفط الروسي من سيبيريا الى الصين, مع امل روسيا ان يكون هناك تنسيق عسكري للمنظمة وفق عقيدة عسكرية مشتركة, لكن الصين بدت متحفظة بهذا الشأن. و لتقليص النفوذ الامريكي في اسيا الوسطى نسجت روسيا علاقات جديدة مع اوزبكستان, بعدها طلبت من امريكا سحب قواعدها العسكرية من قيرغزستان و اوزبكستان و بالفعل نجحت في ذلك. كما طورت علاقاتها مع دول الكومنولث (رابطة الدول المستقلة), سواء بالطرق الناعمة كتأسيس الجماعة الاقتصادية الاوراسية في 2000 او بالضغط القهري كحالة جورجيا, لكن عموما استطاعت ان تعيد دول اسيا الوسطى تحت نفوذها من خلال دعم حكوماتها ضد حركات المعارضة السياسية الاسلامية المحلية, و في 2003 انشأت روسيا منظمة معاهدة الامن الجماعي, و الجماعة او المنظمة لهما امانة عامة في موسكو. [1]

اما في الشرق الاوسط فقد خرج بوتين عن سياسة الحياد السلمي السابقة لكي يجعلها سياسة مبادرات, ففي زيارته الثانية للمنطقة عام 2007 عبر عن رفضه لسياسة امريكا الانفرادية, و اقترح عقد مؤتمر اقليمي موسع يجمع كل اطراف الشرق الاوسط لمناقشة القضايا العالقة في المنطقة.

لما تسلم ميدفيديف مقاليد السلطة في 2008 كانت سياسة بوتين خلال العهدتين السابقتين بدأت تعطي ثمارها, لذلك رسم سياسته وفق منهج سابقه, و كان الكل يراه على انه شخصية ديمقراطية ذو توجهات غربية يختلف تماما عن بوتين, لذلك تجرا الرئيس الجورجي الموالي لأمريكا على محاولة استرجاع اقليمي ابخازيا و اوسيتيا الجنوبية المنفصلين منذ 1991 بالقوة العسكرية, بالرغم من وجود قوات حفظ الامن و السلام الروسية هناك, فكان رد موسكو قويا و سريعا لم يتوقعه اي طرف, حيث دخلت القوات الروسية اراضي جورجيا و هاجمت قواتها حتى اقتربت الى العاصمة تبليسي, فوجئ الغرب و الحلف الاطلسي بردة فعل روسيا لحماية مصالحها و لم يعرف كيف يتصرف. و من هنا بدا الدور الروسي في التصاعد, و بقيت لغة حديث القادة الروس حادة كلما تعلق الامر بأمن روسيا و سلامتها, و نلتمس ذلك في تهديد الرئيس ميدفيديف في 2009 بتصويب الصواريخ الروسية الى كل من بولندا و التشيك اذا ما تم نشر عناصر الدرع الصاروخي على اراضيهما. [2]

---

[1]– عبد العزيز مهدي الراوي, **توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة**, مجلة دراسات دولية, العدد 35, ص. ص. 172 – 174 .

[2]– ذيب اسليم القراله, مرجع سابق.

فأمريكا التي كانت تزعم عند بداية حربها في العراق انها لن تحتاج الى المساعدة, اتضح انها بحاجة الى منظمة الامم المتحدة و الى وقوف موسكو بجانبها في الملف الافغاني و الملف النووي الايراني, في مقابل ذلك و ضمن برنامج الادارة الامريكية الجديدة لاوباما من اجل تفعيل العلاقات مع روسيا, تغافلت هذه الاخيرة على روسيا في دول الاتحاد السوفييتي السابق. فلما تأكدت موسكو من صدق نوايا واشنطن و التي اتضحت جليا في: طلب نصائح من روسيا بحكم تجربتها في افغانستان و دعمها اللوجستيكي, شراء طائرات مروحية روسية لدعم قوات الحلف الاطلسي, زيادة الاستثمارات الامريكية في الاقتصاد الروسي, ملف جورجيا الذي اغلق, ملف الدرع الصاروخي الذي الغى, و تطور العلاقات الروسية الاوكرانية مع رحيل قادة الثورة البرتقالية الموالية للغرب و مجيء الرئيس يانوكوفيتش صديق موسكو. عندها وقفت روسيا الى جانب الولايات المتحدة في مجلس الامن للتصويت بالموافقة على العقوبات ضد ايران, و ايقاف تمويلها بالصواريخ الروسية المتطورة, بالرغم من اعتماد طهران على الدعم الروسي. [1]

صرح الرئيس بوتين في عهدته الثالثة 2012 ان امكانيات روسيا الحالية و مكانتها تجعل مشاركتها في القضايا الدولية شيء حتمي, و ان مبدأه الجوهري في سياسته الخارجية هو التعاون الدولي البناء في الاتجاهين, و التحاور من اجل مكافحة الارهاب و رقابة انتشار الاسلحة و الحفاظ على امن العالم, و ان السياسة الامريكية الانفرادية لا يمكن لها ان تستمر في معزل عن روسيا و مصالحها و انها ستلقى التقويم المناسب و الرد المقابل, و ان اعادة تسليح روسيا للردع الاستراتيجي ضرورة حتمية لمواجهة سياسات امريكا, في مشروع بناءها قواعد صواريخ مضادة في بولندا و التشيك, و توسع الحلف الاطلسي الى الحدود الروسية, و بالفعل فقد شرعت روسيا في اضخم برنامج تسلح لها منذ 1991. [2]

و استمر بوتين في النهج السابق لسياسته الخارجية و هو الاستقلالية و المبادرة, ففي مدة قصيرة اجرى لقاءات رفيعة المستوى مع السلطات اليابانية و الفيتنامية و الصربية و مع كوريا الجنوبية و مصر,ضمن برنامج انفتاح روسيا على العالم, و اعادة تفعيل المحور الثلاثي (روسيا, الصين, الهند) الذي وصل فيه التعاون الروسي الصيني الى اعلى المستويات, و اكد ان بلاده ستدعم بكل قوتها الحل السلمي و التشاور بين مختلف الفئات في سوريا, و هذا ما يندرج ضمن برنامج روسيا الدبلوماسي الجديد الذي يعزز دورها كوسيط مرحب به من كل الاطراف لحل النزاعات و الازمات الاقليمية و الدولية, و يعزز ايضا الدور

[1]– ذيب اسليم القراله, مرجع سابق.

[2]– خديجة لعريبي, مرجع سابق, ص. ص. 103 – 104 .

الذي تلعبه في تقديم الاعانة السياسية لإيران و المساعدة التقنية لبرنامجها النووي, و دورها في وحدة العراق, و في حوار الازمة اللبنانية, و دورها في القضية الفلسطينية و حركة حماس, لكن فيما يتعلق بالموقف الاوكراني تبقى الاوضاع على جمودها دون تطور.

اما العلاقات الروسية الغربية فقد نزلت الى ادنى مستوياتها منذ نهاية الحرب الباردة, بسبب غزو روسيا لشبه جزيرة القرم و ضمها لها دون حساب للسيادة الاوكرانية, حيث غامر بوتين بعلاقاته الاقتصادية و التعاونية مع الاتحاد الاوروبي, و اوقف كل محاولات استرجاع للعلاقات الروسية الأمريكية التي شرع فيها منذ خمسة سنوات في قمة الدول العشرين بلندن, فيبدوا ان الرئيس الروسي بوتين لن يتراجع امام تحقيق طموحه الاولي في السياسة الخارجية لبلاده و المتمثل في استرجاع مجد روسيا التاريخي. [1]

المطلب الثالث: معايير نظام العلاقات بين روسيا الاتحادية و الاتحاد الاوروبي

تعتبر روسيا جزء عضوي مكمل لأوروبا الكبرى, فهي تكترث بتطور الاتحاد الاوروبي الذي يمثل جزءا من برامجها, هدف سياساتها الخارجية هو تحويل الفضاء المتواجد بين المحيطين الاطلسي و الهادي الى كيان اقتصادي و بشري موحد سماه خبراءها "اتحاد اوروبا", الذي سيزيد حتما من قوة وسائلها و مواقفها في تحولها الاقتصادي نحو "اسيا الجديدة" في ظل صعود الصين و الهند و غيرها من الاقتصادات الناشئة الاخرى. لكن الصدمات المالية و الاقتصادية التي تهز اوروبا حاليا لا يمكن لروسيا تجاهلها لان الاتحاد الاوروبي هو اكبر شريك اقتصادي و تجاري لها, ثم ان اوضاع اوروبا تنعكس على أفاق التنمية في النظام الاقتصادي العالمي ككل. فروسيا تساند التدابير الدولية المتخذة داخل صندوق النقد الدولي لدعم الاقتصادات الاوروبية المتعثرة, و لا تستبعد مبدئيا المساندات المالية المباشرة في بعض الحالات, لكنها ترى ان الحقن المالي الاتي من الخارج ليس اكثر من حل جزئي للمشكلة, الحل الحقيقي يتطلب عمل نظامي قوي يبدأ بإعادة صياغة الآليات المالية و الاقتصادية لضبط الميزانية, فمصلحة روسيا ان تتعامل مع اتحاد اوروبي قوي. لكن التفاعل الاوروبي الروسي لا يتطابق مع وتيرة التحديات العالمية و لا يدعم بالقدر الكافي القدرة التنافسية للقارة المشتركة, و تقترح روسيا بذل جهد اكبر لخلق مجتمع متناغم من الاقتصادات من لشبونة حتى فلاديفوستوك, اي بمعنى انشاء منطقة تجارة حرة او اليات اكثر تطورا للتكامل الاقتصادي للاستفادة من سوق قارية مشتركة تخدم الروس و الاوروبيون على حد السواء. [2]

---

[1]– ذيب اسليم القراله, مرجع سابق.

[2]- Moskovskie Novosti, **La Russie et l'évolution du monde**, Article de Vladimire Poutine sur la politique étrangère, 27.02.2012.

و ترى بعض دول الاتحاد ان الازمة المفتوحة التي تعرفها العلاقات الروسية الاوروبية قد دامت طويلا, فاعلان روسيا أنها تريد التصديق على نتائج مؤتمر باريس للمناخ في 2015, هي خطوة تدل على سعي هذه الاخيرة للخروج من هذا النفق الذي اثر كثيرا على تمثيلها في العديد من البلدان الاوروبية. و تجدر الاشارة الى ان هذه الازمة ما هي الى مرحلة من مراحل التدهور البطيء للعلاقات الروسية الاوروبية, التي لا يمكن انكار مسؤولية الاتحاد الاوروبي فيها, حتى لو كان احيانا لا يقصد عواقب أفعاله, لكن ما هو واقع فعلا ان العلاقات الاقتصادية بين الطرفين تتغير بشكل يشكك في قدرة اتخاذ كل واحد منهما مكانة له في عالم متعدد الاقطاب, الذي اصبح اليوم واقع بعد ان كان مجرد رغبة في السابق. [1]

لكن طموح روسيا الحقيقي هو التعاون الوثيق بين الطرفين كإنشاء مجمع موحد للطاقة في اوروبا, و الذي يبقى موضوع اخر للتفكير بالنسبة لأوروبا, لكن من الجهة الروسية الوصول اليه يبدأ بخطي المد الشمالي عبر بحر البلطيق و الجنوبي عبر البحر الاسود, و قد حظى المشروعان بتأييد عديد الحكومات و تشارك فيه اكبر شركات الطاقة الاوروبية, و بعد التشغيل الكامل لخطوط المد هذه سيكون لاوروبا نظام امداد بالغاز مرن و يعتمد عليه, مستقل تماما عن الاهواء السياسية لأي طرف, فهي مساهمة حقيقية في مجال امن الطاقة في القارة, خصوصا و ان بعض البلدان الاوروبية قررت خفض طاقتها النووية و اخرى التخلي عنها تماما. لكن روسيا في نفس الوقت متخوفة من مشروع "مجموعة الطاقة الثالثة" الناتج عن ضغوطات المفوضية الاوروبية, بهدف الاطاحة بالشركات الروسية المندمجة في سوق النفط, فهناك عدة سياسيين اوروبيين ينتقدون هذه الحزمة لكنهم لا يملكون الامكانيات الكافية لإزالة هذه العقبة من طريق التعاون الروسي الاوروبي ذو المنفعة المتبادلة. فموسكو ترى ان غيرها من موردي الطاقة يعيشون زعزعة استقرار متزايدة, يمكن ان تتفاقم منها مخاطر نظامية تهدد قطاع الطاقة الاوروبي و تقف كعقبة امام الاستثمارات المحتملة في مشاريع البنية التحتية الاوروبية الجديدة, [2]

اليوم يعرف الاتحاد الاوروبي ازمة لا تترك مجال لتوقع تغيير كبير في علاقاته مع روسيا, تهدده مشاكل سياسية من ازمة اللاجئين الى تفكك اتفاقات شنغن و خروج بريطانيا من الاتحاد الى الصراع بين مجموعات من الدول داخل الاتحاد نفسه, لكن ايضا مشاكل اقتصادية فأزمة الاورو لم تنتهي بعد. الاتحاد الاوروبي اليوم لم يعد قادرا على لعب دورا في ما اصبح يعرف بالعالم متعدد الاقطاب, من ناحية اخرى

[1] - Jacques sapir, **Les relations entre l'UE et la Russie,** conférence au centre MGIMO Moscou, 21.04.2016.

[2] - Moskovskie Novosti, **La Russie et l'évolution du monde,** op. cit.

دول الاتحاد سواء المانيا او فرنسا او ايطاليا لديهم امكانية, و بالطبع اذا توفرت الارادة, لتغيير الاوضاع على مستوى كل دولة على حدى في مجال التعاون الروسي, فهذه البلدان تتطابق مع روسيا و تتقاسم معها مفاهيم مشتركة, و هو ما يجعلنا نتساءل, هل الاتحاد يمثل عائقا لإقامة علاقات جيدة بين الدول الاوروبية, و بينها و بين الخارج؟ فإذا كان الامر كذلك يجب انتقاد المؤسسات الاوروبية بشدة التي تشكلت لتعزيز السلم و التعاون في اوروبا, و التي تمثل اليوم عائقا امام هذا السلام و التعاون, فهو دون شك اكبر اعتراف بالفشل الذي يمكن استخلاصه من البناء الاوروبي. [1]

و تبقى روسيا تطمح دائما الى اقامة شراكة حقيقية مع الاتحاد الاوروبي دون حواجز تعرقل الاتصالات البشرية و الاقتصادية, تنطلق من نظام خال من التأشيرات لتصل الى اندماج حقيقي بين الطرفين, يعزز الاتصالات الثقافية و التجارية لا سيما بين المؤسسات الصغيرة و المتوسطة, و فيما يتعلق بالتخوف الاوروبي من تدفق المهاجرين الاقتصاديين الروس, فان موسكو تأكد ان الروس لديهم كل الفرص لاستغلال خبراتهم المهنية في وطنهم, و ان هذه الامكانيات لا تتوقف عن التوسع و التنوع. ففي 2011 شرعت روسيا و الاتحاد الاوروبي في وضع تدابير مشتركة لإنشاء نظام بدون تأشيرة الذي لم يستكمل, لكن روسيا تصر على ضرورة انهاءه و تطبيقه دون تردد و تكرس لذلك كل مجهودها. [2]

الواقع كذلك ان العلاقات بين الاتحاد الاوروبي و روسيا لم تتدهور مؤخرا بسبب ازمة اوكرانيا و انما منذ اعادة بناء روسيا اثر ازمة اوت 1998 التي وصفت ب "عودة روسيا", لكن هذا لا يعبر عن اي ارادة روسية امبريالية, فروسيا بمظاهرها المختلفة كانت دائما قوة اوروبية عظيمة, التعثر الذي عرفته بعد صدمة تفكك الاتحاد السوفييتي و الازمة الاقتصادية الناتجة عن التحول لم يكن إلا تعثر مؤقت, و قد اخطا من اعتقد العكس. كما اعطى القادة الروس في مقدمتهم الرئيس بوتين اكثر من دليل عن رغبتهم في العودة الى اللعبة الدولية و بالتالي الاوروبية, و اشاروا الى العالم كله ان بعض السياسات يمكن ان تؤدي الى صراعات كبيرة, و كان هذا واضحا في الاستراتيجية المتوسطة المدى لبوتين لما كان رئيسا للوزراء في 1999, و بعدها في التصريحات التي ادلى بها كرئيس لروسيا في قمتي اجتماع الاتحاد الاوروبي في سان بيترسبورغ و روما عام 2003, و خطابه الشهير في 2007 في مؤتمر ميونيخ حول الامن في اوروبا. لكن يجب الاعتراف بان موقف روسيا لم يسمع ابدا, و خطاباته العديدة شوه مضمونها, لعدم تواجد ارادة لأخذ هذه المواقف بعين الاعتبار و مناقشة السبل لتحقيقها, المصطلحات التي استخدمها

[1] - Jacques sapir, **Les relations entre l'UE et la Russie,** op. cit.
[2] - Moskovskie Novosti, **La Russie et l'évolution du monde**, op. cit.

في 2007 تصدي لحد اليوم بكل قوة, " *نحن نشهد تجاهل متزايد لمبادئ القانون الدولي. و علاوة على ذلك فان بعض المعايير, و تقريبا كل النظام القانوني لدولة واحدة, بطبيعة الحال الولايات المتحدة, قد فاض عن حدوده الوطنية في جميع الميادين: في الاقتصاد, السياسة, و في المجال الانساني, و فرض على دول اخرى, من يناسبه* هذا؟ " و بالفعل تسعى الولايات المتحدة اليوم فرض ليس فقط معاييرها السياسية على العالم, و انما المعايير الاقتصادية و الثقافية ايضا, لكن يجب ان لا ننسى ان القانون الدولي هو قانون تنسيق و ليس قانون تبعية, و ما اراد تذكيرنا به بوتين في خطاب ميونيخ, هو فكرة قانون المعاهدات الدولية الذي يتعارض و لا يحترم السيادة الديمقراطية للدول.

فالولايات المتحدة ليست الوحيدة التي تريد فرض معاييرها, في الواقع حتى طريقة تصرف الاتحاد الاوروبي تظهر ذلك, و ان كانت المبادئ التي يريد فرضها هي اقل تعصب, و كانت هذه المشكلة واضحة عند تنفيذ اتفاقية الشراكة و التعاون الموقعة بين الاتحاد و روسيا في منتصف التسعينيات. في حين كان يعتبرها الروس اتفاقا دوليا تقليديا, حاول القادة الاوربيون فرض معايير الاتحاد الاوروبي على روسيا باسم القوانين الدولية, فمسألة "ميثاق الطاقة" التي شجعها كثيرا الاتحاد اكبر دليل على اختلاف تفسير المعاهدات بين روسيا و الاتحاد الاوروبي. [1]

بوتين يرفض الاعتقاد ان كل شيء له قيمة مادية و لا يعتقد ايضا ان بعض القيم مثل الامن الجماعي يمكنها ان تقضي على تضارب المصالح, بمعنى انه يرفض اساسا الرؤية التي تقوم على عدم تماثل سلم القيم, فموقف روسيا يتلخص في الرفض المزدوج للفكر الامريكي الجديد الذي يدعي ان قيمهم تبرر حقهم في فرضها على الاخرين, و النسبية المنهجية التي اعتنقتها الايديولوجية الاوروبية التي ترى ان الامر يتعلق فقط ببناء اجراءات و معايير تقنية متجاهلة تماما شرعية هذه الاخيرة على الاخرين. و هنا يكمن التفسير و الفهم المتباين لمسالة المعايير و المبادئ و القوانين بين الاتحاد الاوروبي و روسيا.

[1] - Jacques sapir, **Les relations entre l'UE et la Russie,** op. cit.

خلاصة الفصل

استبدلت روسيا مبادئ الصراع الايديولوجي لفترة الحرب الباردة بمقتربات فكرية تتجه الى الواقعية, معتبرة الصراعات قائمة على اسباب سياسية او اقتصادية او اثنية و ليست قائمة على مسببات لتناقضات ايديولوجية, مركزة على القضايا التي تهتم بأمن و استقرار المجتمع الدولي, داعية الى اقامة منظومات الامن الجماعي و وقف النزاعات المسلحة و تعزيز التعاون بين جميع دول العالم.

و كانت لإدارة الرئيس فلاديمير بوتين المجد الكامل في وقف التدهور و التخبط الذي عانت منه روسيا في فترة التسعينيات, حيث استطاع بوتين تأسيس قيادة ناجحة و قوية لحكم و تسيير روسيا, تمكنت هذه الاخيرة من فرض الاستقرار في مجتمع لم يعرف ذلك منذ فترة, و استرجعت لروسيا قوتها و تأثيرها على المحيط الدولي بكل ابعاده.

و تبقى روسيا في استعداد دائم لمواصلة ضمان امنها القومي و احترام مصالحها الوطنية, من خلال مشاركتها البناءة و الاكثر فعالية في السياسة العالمية و في حل المشاكل الاقليمية و الدولية. و يؤكد قادة روسيا ان بلادهم تبقى مفتوحة لكل تعاون جاد يعطي منفعة متبادلة للطرفين, و ايضا مفتوحة للحوار مع جميع الشركاء في الخارج, و ان روسيا و كل طاقمها يسخرون جميع الامكانيات لفهم و مراعاة مصالح شركائهم الاجانب, لكن في المقابل يرجون منهم فهم و مراعاة المصالح الروسية ايضا.

الفصل الثالث: المسيرة المعقدة لعلاقات الاتحاد الاوروبي مع روسيا الاتحادية

المبحث الاول: مآلات العلاقات الاقتصادية بين الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية

- امن الطاقة و الاعتماد المتبادل غير المتكافئ
- مجموعة الثمانية او السبعة للدول الصناعية الكبرى
- الطبيعة المزدوجة لعقوبات الاتحاد الاوروبي على روسيا الاتحادية

المبحث الثاني: مؤشرات التوتر العسكري في علاقات الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية

- جولات التوسيع لحلف شمال الاطلسي
- اشكالية مجموعة الدول المستقلة (حالة جورجيا و اوكرانيا)
- تباين المواقف و النجاحات في الازمة السورية

المبحث الثالث: مشوار علاقات الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية على مفترق الطرق

- استدراك الوقت الضائع و خلق قطب منافس لأمريكا
- تغييرات في المراوغة ضمن مباريات باردة
- الفراق بالتراضي و الدروس المحصلة

الفصل الثالث: المسيرة المعقدة لعلاقات الاتحاد الاوروبي مع روسيا الاتحادية

مرت العلاقات الاوروبية الروسية في العقدين الاخيرين بفترات عصيبة و اخرى هنيئة, لكن الكثير من المشاكل اثرت في مفهوم الشراكة بين الطرفين و لم يتحقق ما كان ينتظره كل طرف من الاخر. كان الاتحاد الاوروبي ينتظر من روسيا ان تسير وفق ديمقراطية فعالة و تنضبط بالمبادئ الحقوقية و القانونية و المؤسسية الاوروبية, في حين كانت روسيا تطمح في علاقتها مع الاتحاد الاوروبي الى تطوير اقتصادها و ضمها الى النادي الاوروبي الجار و الصديق. و اتهم الاتحاد في عدة مناسبات تقييميه السياسة الداخلية و الخارجية للقيادة الروسية بمخالفتها للمبادئ و القيم المتفق عليها في اتفاقية الشراكة التي عقدت بين الطرفين في التسعينيات, و التي انتهى مفعولها في 2007 و لم تعوض بأخرى الى يومنا هذا. و في الرد الروسي لا يخفي الرئيس بوتين استياءه من تدخلات الاتحاد الاوروبي في الشؤون الداخلية لدولة قوية كروسيا, و فرض اوروبا على حكومته القيم الاوروبية و قوانين اقتصاد السوق.

فظهر على سطح العلاقات بين الطرفين كل التباينات الجوهرية و المبدئية التي كانت محل نقاش او توتر او حتى ازمة, كتوسع الاتحاد الاوروبي نحو شرق اوروبا, او بالأحرى توسع حلف شمال الاطلسي في المجال الجيواستراتيجي و الجيوسياسي لروسيا, و حركات التحريض الغربي في مجموعة الدول المستقلة من الاتحاد السوفيتي سابقا. اما في مجال الطاقة ففي الوقت الذي يعتبر فيه الاتحاد الاوروبي هو السوق الرئيسية للإنتاج الروسي من الطاقة تأتي روسيا كأكبر مورد للطاقة في اوروبا مما يجعل الطاقة واحدة من ادوات السياسة الخارجية الروسية لمواجهة الخطط الاوروبية. و منذ الازمة في اوكرانيا 2014 فقدت العلاقات الاوروبية الروسية طابعها العملي و البناء, فروسيا دولة كبرى بقوة عسكرية عظمى, من ناحية اخرى الاتحاد الاوروبي قد يبدوا عاجزا عن ضمان امن الدول المجاورة له ضد الطموحات الروسية, فاصبحت اللغة الوحيدة بين الطرفين هي: – اعاقبك بماذا؟, – ارد عليك بماذا؟. فابتدأت الازمة بالطرد الاوروبي لروسيا من مجموعة الدول الصناعية الكبرى الثمانية, تلتها سلسلة من العقوبات التي لم يتوقف نزيفها على روسيا حتى الوقت الراهن. دون الحديث عن لغة الاستفزاز بين الطرفين.

ملحق 3: مسار الانابيب المستقبلية لنقل الغاز بين اوروبا و روسيا

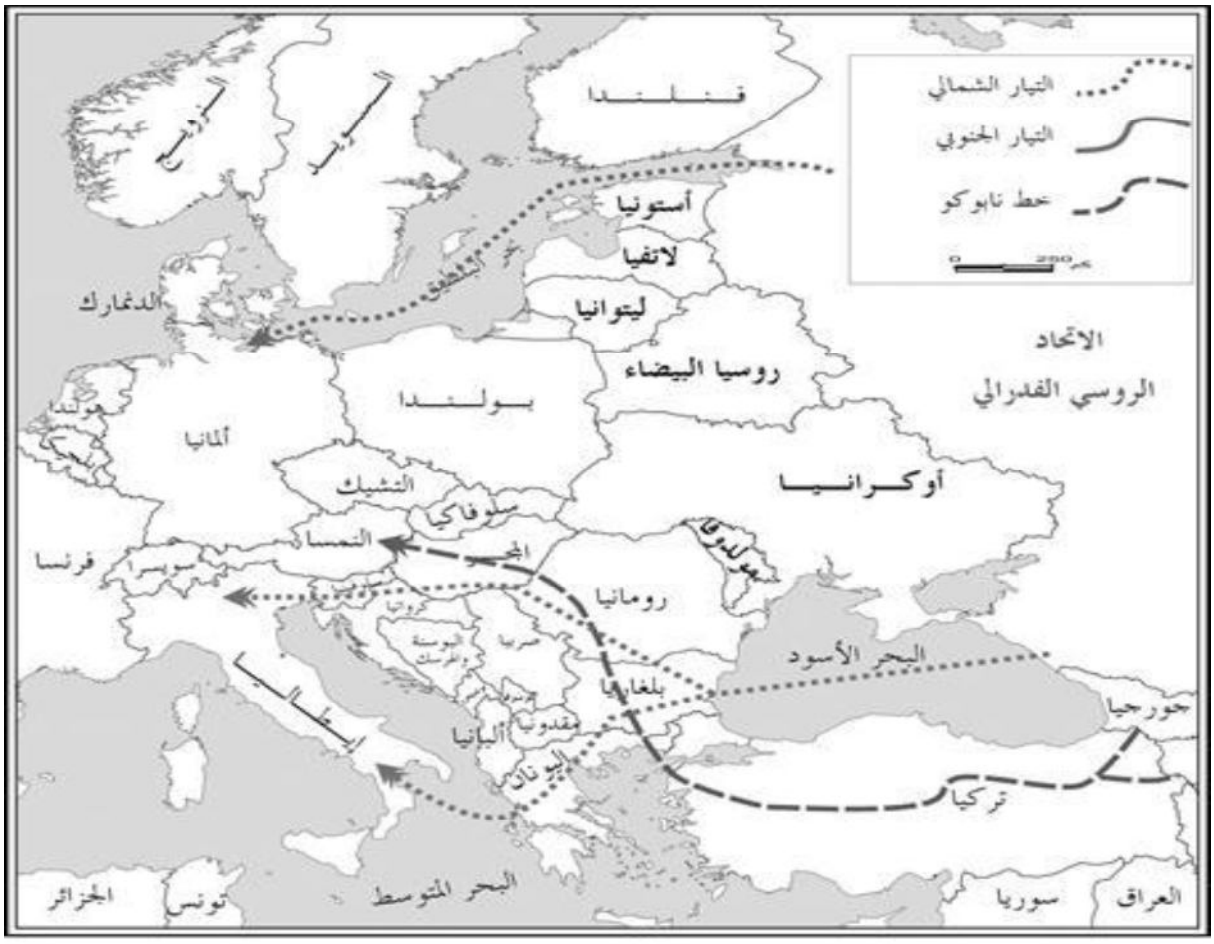

شكل (١٠) المشروعات المستقبلية لتصدير الغاز من روسيا وإقليم القوقاز إلى أوربا

المبحث الاول: مآلات العلاقات الاقتصادية بين الاتحاد الاوروبي و روسيا

من العادة عند وقوع تباينات بين الاتحاد الاوروبي و روسيا في القضايا السياسية او الجيوسياسية بينهما فان التعاون الاقتصادي فقط الذي يخفف من حدة هذه التوترات, اقتصاد روسيا يعتمد بالأساس على الشريك الاوروبي, و تمثل روسيا الزبون الرابع عالميا للاتحاد, و لو عدنا الى لغة الارقام سنجد ان الرابح الاكبر في مجال التجارة و الصناعة هي اوروبا, لكن هذا لا يعني ان التبادلات الاقتصادية و التجارية لم تكن ناشطة بينهما, لكن في ظل سياسة العقوبات الاقتصادية المفروضة على روسيا من الاتحاد الاوروبي يمكننا القول ان النشاط قد رحل. كما تقوم ايضا علاقات الطرفين الاقتصادية على مجال الطاقة, لذلك تركز روسيا كثيرا على امن طاقتها و امن امداداتها من خلال ضمان الظروف التي يمكن من خلالها وصول امدادات الطاقة الى اوروبا, بما في ذلك ضمان مواطن العبور, و حتى هذه الضمانات هي محل تباين مبدئي بين الطرفين. ويبقى الحوار السلمي البناء بين الطرفين الحل الاجدر ان لم نقل الوحيد.

المطلب الاول: امن الطاقة و الاعتماد المتبادل غير المتكافئ

تستهلك دول الاتحاد الاوروبي خمس الطاقة المنتجة في العالم, فبالرغم من وجود بترول في بحر الشمال بالنرويج, و محطات نووية في فرنسا و المانيا, و مناجم للفحم في عدة دول من اوروبا, و ابار غاز في الدانمرك و هولندا, إلا ان استخدام هذه الثروات يبقى مقيدا بتيار الخضر الاوروبي و غير كافي لتحقيق الاكتفاء الذاتي, كما ان المواد في تناقص مستمر, في المقابل الطلب على الطاقة في تزايد مستمر, لذلك تلجا اوروبا الى استيرادها من الخارج و بالأساس من روسيا, الجزائر و قطر في مادة الغاز, و من روسيا, السعودية, ايران و ليبيا في النفط. وتوجه حوالي ثلثي صادرات الطاقة الروسية نحو الاتحاد الاوروبي لتغطي 27 % من احتياجاته النفطية, و اكثر من 50 % من احتياجاته من الغاز الطبيعي, كما ان روسيا لها مع الاتحاد استثمارات في قطاع الطاقة, سواء عن طريق شركاتها المتواجدة في اوروبا و المتخصصة في تطوير الانتاج و الصناعات البتروكيماوية, او الشركات الاوروبية المتواجدة في روسيا و المتخصصة في مجال التنقيب و تطوير التحويل. [1]

[1]– الغلجة هشام داوود, **الاستراتيجيات الطاقوية الجديدة للقوى الكبرى**, مجلة الحوار المتمدن, سياسة و علاقات دولية, العدد 5050, الجزائر, 20.01.2016 .

كانت الطاقة الروسية الضخمة بديلا مهما للسوق الاوروبية و اكثر امانا و استقرارا من نفط الشرق الاوسط, تضاف اليها باقة من التبادلات الاقتصادية الاخرى في محيط جواري اوروبي اسيوي متناسق المبادئ و التوجهات, من اجل تحقيق مصالح حيوية و استراتيجية مشتركة. و تسعى روسيا اكثر من شركائها الاوروبيون الى تعميق علاقاتها مع الطرف الاوروبي بما يحقق المنفعة المتبادلة, و منذ عام 2000 شرع الطرفان في عقد اجتماعات دائمة من اجل التنسيق و التهيئة في مجال الطاقة, كما نظم في 2005 اللقاء الاول للمجلس الدائم للشراكة في مجال الطاقة بين موسكو و بروكسل. [1]

بهدف تموين أوروبا بهذه المواد دون انقطاع, تحرص روسيا على امن طاقتها الذي يركز بالدرجة الاولى على امن عبور هذه المادة من المصدر الى المستهلك, وتواجه في ذلك موجة عراقيل كبيرة تهدد امداداتها للطاقة بالخارج خاصة اتجاه اوروبا, هذه الامدادات فيها ما يزيد عن 50 % تعتمد على ممر دروشبا الاوكراني, مما يجعل روسيا و امنها الطاقوي و اقتصادها معرض للأهواء السياسية الاوكرانية. [2]

تنافس روسيا شبكة معتبرة من انابيب المد بالطاقة, و لكن ما يهدد استقرارها الطاقوي و الاقتصادي هي تلك الانابيب التي تزاحمها في مستهلكها الاساسي اوروبا, منها:

– انبوب باكو جيهان للنفط الذي انشا في 2005 لنقل امدادات الطاقة من اذربيجان عبر جورجيا ليصب في ميناء جيهان التركي.

– انبوب باكو ارضوم للغاز الطبيعي الذي انشا في 2006 ينطلق من كزاخستان, ادربيجان نحو تركيا.

– انبوب نابوكو اقدمت عليه اوروبا بدعم من الولايات المتحدة (نية امريكا هو التخلص تماما من وجود الطاقة الروسية في اوروبا, اما نية اوروبا هو تنويع البدائل في باقة مصادر الطاقة للتخلص من هيمنة الشركات الروسية للطاقة على سوق النفط الاوروبي و اسعاره), يأتي هذا الانبوب من ادربيجان لنقل غاز اسيا الوسطى الى اوروبا, كان من المقرر انهاء الاشغال به نهاية 2017, و يعتبر بمثابة الضربة القاضية للغاز الروسي, لأنه يجمع رابع اكبر احتياطي غاز في العالم بالأسواق الاوروبية دون عبوره على الاراضي الروسية.

---

[1]– اسماء حداد, **الرهانات الروسية الطاقوية و تأثيرها على مكانتها الجيوسياسية**, المركز الديمقراطي العربي, دراسات استراتيجية و سياسات الدفاع, جامعة الجزائر 3 .

[2]– محفوظ رسول, **الامن الطاقوي الروسي بين الفرص و القيود**, علوم سياسية و علاقات دولية, جامعة الجزائر 3, 2016, ص. 09 .

– مشروع الانبوب العربي للغاز الذي لم ينجز بعد, ينقل الطاقة من الدول العربية في الشرق الاوسط مرورا بسوريا و تركيا وصولا الى اوروبا.

– انابيب شمال افريقيا متعددة المصادر و التوجهات, شجعتها اوروبا ضمن برنامجها "الحزمة الاقتصادية الثالثة", اهمها مشروع الانبوب العابر للصحراء لنقل الطاقة من نيجيريا مرورا بالنيجر و الجزائر نحو اوروبا, اما على مستوى الجزائر فيتفرع منها خطين, احداهما لنقل الغاز من الغرب الجزائري نحو اسبانيا و الثاني من الشرق الجزائري نحو فرنسا و ايطاليا, و هو ما سيؤثر حتما على استهلاك الطاقة الروسية في جنوب اوروبا و ربما ما بعد الجنوب الاوروبي.

هذه الانابيب تعتبرها موسكو تحديا استراتيجيا قويا, يقلل من استخدامها لورقة ضغطها الطاقوية, لكن في انتظار انشاء كل تلك الانابيب تبقى روسيا قوة يتزايد نفوذها في الاسواق العالمية للطاقة, و خير دليل على ذلك دورها الفعال في استقرار اسعار النفط في السوق العالمية الى ما يزيد عن 50 دولارا في نهاية 2017 بعد ان نزل قبلها و لمدة طويلة الى حوالي 30 دولار للبرميل. [1]

بعد ازمة الغاز بين روسيا و اوكرانيا في 2006 و 2009 رسم الاتحاد الاوروبي استراتيجية طاقوية جديدة مشتركة بين كل الدول الاعضاء في 2009 تركز على:

- ضمان حصص كافية من الطاقة لأوروبا, و زيادة انتاجها داخليا.
- فتح سوق تنافسي داخلي للطاقة خاصة المتجددة و الحفاظ على البيئة.
- محاولة توفير اسعار ثابتة و مناسبة للجميع.

و جاء في اتفاقية لشبونة 2009 تبني رسميا الاتحاد الاوروبي "سياسة طاقوية اوروبية موحدة". من اجل تحقيق اهداف اوروبية محضة, عن طريق برامج عمل و شراكات ثنائية و متعددة الاطراف مع الدول الممونة للطاقة, و بالفعل استطاع الاتحاد تخفيض استهلاكه من الغاز و النفط و تعويضه باستهلاك معتبر من الطاقات المتجددة المحلية. [2]

اما روسيا و نظرا لعوامل عديدة يمكن اختصارها في:

[1]– محفوظ رسول, مرجع سابق, ص. ص. 10 – 11 .

[2]– الغلجة هشام داوود, مرجع سابق.

- تقريبا نصف مداخيل ميزانيتها هي من عائدات البترول و الغاز, و ثلثي صادراتها هي ايضا من الطاقة, مما يجعل اقتصادها معلقا على مادة واحدة او قطاع واحد.
- الانخفاض المستمر لأسعار النفط في السنوات الاخيرة.
- توتر العلاقات الروسية الاوروبية بعد ازمتي الغاز بين روسيا و اوكرانيا 2006 و 2009, التي جعلت الاتحاد يفكر في مصادر اخرى للغاز, بعدها فكرت روسيا في ايجاد اسواق جديدة.
- انخفاض الطلب الاوروبي على الطاقة عموما, بسبب استراتيجيته التي اعتمدت على الطاقات المتجددة, و بسبب انخفاض النمو الاقتصادي في اوروبا.
- زيادة الانتاج الامريكي للطاقة خاصة الغاز الصخري, مما ينبأ بانخفاض استهلاكها الخارجي للطاقة, و ربما بعد اكتفاءها الذاتي تصبح مصدرة للدول الأسياوية التي يتزايد طلبها على هذه المادة كالصين و الهند.

قامت روسيا في 2010 بتبني استراتيجية طاقوية جديدة 2030 تمثلت في:

- تحديث قطاع الهياكل القاعدية للطاقة.
- الاتجاه نحو دول اسيا و المحيط الهادي للتقليل من التبعية للاتحاد الاوروبي بعد انجاز انابيب مد تنطلق من سيبيريا نحو الصين و اليابان و الهند و كوريا الجنوبية بعد ابرام عدة اتفاقيات بين هذه الدول و روسيا بشان الطاقة.
- التركيز على مناطق القطب الشمالي للتنقيب و الاستكشاف وفق شراكة روسية نرويجية, حيث تحاول الولايات المتحدة مزاحمتهما ايضا في المنطقة و المشروع.
- تقليص حصة النفط في الناتج المحلي الخام لروسيا.
- استغلال الطاقات المتجددة و تطويرها.
- انجاز انبوب جديد شمال ينطلق من روسيا مباشرة نحو المانيا للتخلص من التبعية لأوكرانيا و اخر في الجنوب ينطلق من روسيا مرورا على عدة دول اوروبية ليصل الى ايطاليا. [1]

تكمن اهمية عامل الطاقة بين الشريكين روسيا و الاتحاد الاوروبي, في ان الطرف الاول يعتبره مضخة لاقتصاده و احد اكبر دعائمه, لتحقيق النمو و الانتعاش الروسي و الاستقرار الداخلي, و في نفس الوقت طريق للصعود الدولي, و ورقة ضغط تفتح الطريق امام روسيا لتحقيق مصالحها الجيوسياسية, و تأمينها

[1]- الغلجة هشام داوود, مرجع سابق.

من التهديدات الخارجية الاتية من الغرب. و الطرف الثاني يعتبره ايضا مضخة لقطاعه الصناعي, و بالتالي انتعاش اقتصاده, للحفاظ على مستوى الاستقرار و الرفاهية في الداخل, و بالطبع الحفاظ على نفوذه العالمي, للضغط على الوحدات الدولية الاخرى لتبني معاييره الديمقراطية و الليبرالية.

المطلب الثاني: مجموعة الثمانية او السبعة للدول الصناعية الكبرى

مجموعة الدول الصناعية الكبرى الثمانية هي مجموعة غير رسمية, اعضاءها هم دول ذوي اقتصاد متقدم (فرنسا, الولايات المتحدة, المملكة المتحدة, روسيا, المانيا, اليابان, ايطاليا, كندا), تأسست بمبادرة فرنسية في 1975 من 6 دول لمواجهة اول ازمة نفطية, ثم في العام الموالي انضمت اليهم كندا, ثم روسيا في 1998, و يشارك الاتحاد الاوروبي في المجموعة منذ 1977 ممثلا برئيس المجلس الاوروبي و رئيس المفوضية الاوروبية, تجتمع مرة في السنة في مؤتمر قمة يضم رؤساء الدول و الحكومات, و هي دول غنية تمثل 65 % من الاقتصاد العالمي, و ثلثي التجارة العالمية. [1]

ان مجموعة الثمانية هذه الت الى الماضي و اصبحت مجموعة الدول الصناعية الكبرى السبع بدون اتحاد روسيا الفدرالية, كانت هذه اهم نتيجة ملموسة لقمة لاهاي في مارس 2014 , و هو لقاء مبرمج منذ مدة لمناقشة مسالة الامن النووي, لكنه تحول الى تكاثف دبلوماسي كبير ركز على التدخل الروسي في اوكرانيا عبر الفصائل المعارضة و ضم شبه جزيرة القرم لها. حيث قرر فيه الدول السبع الباقية طرد روسيا من مجموعة الثمانية, و ان قمة مجموعة الثمانية المبرمجة في جوان 2014 بمنتجع سوتشي في روسيا التي تعود لها رئاسة هذا النادي في تلك السنة ستعوض بقمة مجموعة السبع في بروكسال. و لما كان الهدف الرئيسي للولايات المتحدة في هذه القمة هو تمديد العقوبات على روسيا و تشديدها, اتفق زعماء المجموعة على اعداد مرحلة ثالثة من العقوبات التي ستكون ذات طابع تجاري و مالي و مصرفي في حالة تدهور الوضع في اوكرانيا. و كان الهدف من تصعيد العقوبات هو دفع موسكو الى تحمل خسائر اكثر من غيرها, كما طلبت الولايات المتحدة من أوروبا تقليل اعتمادها على الغاز الروسي الذي يغطي 30 % من احتياجاتها, و الذي تحدد في اجتماع لوزراء الطاقة فيما بعد. [2]

[1] – **مجموعة الدول الثماني و مجموعة الدول العشرين**, موقع الدبلوماسية الفرنسية, مارس 2013,
https://www.diplomatie.gouv.fr/ar/politique-etrangere-de-la-france/diplomatie-economique/les-institutions-et-les/g8-et-g20-1431/

[2] - Fabrice Nodé-Langlois, **G7 : la Russie exclue du club des puissants après l'annexion de la Crimée**, le figaro. 25.03.2014.

بدوره الرئيس بوتين اكد مرات عديدة ان روسيا لا تنوي العودة الى مجموعة الثمانية, و انها لم تطرد من هذا النادي لأنه ليس منظمة دولية تصدر بطاقات العضوية, ثم ان هناك منتدى مجموعة العشرين, هو اوسع و افضل لمناقشة القضايا الدولية, اما النخبة السياسية الروسية فقد تكون لها رأي موحد بان مجموعة الثمانية اصبحت ماضي, و لا فائدة للعودة اليها ان لم يتغير شكل المجموعة ليكون عقلاني, هذا طبعا بعد الغاء جميع العقوبات, معتقدين ان الغرب يحاول جذبهم للبدء من جديد في اللعب وفق قواعد غربية, لكن روسيا لا تريد اتباع رغبات هذا الاخير. و في المقابل اعضاء المجموعة لهم كل الثقة في جدول اعمالهم, و بإمكانية الخروج من الازمات الدولية العالقة, لكن من الصعب حل قضايا دولية عديدة دون التشاور مع روسيا, فقد صرحت ايطاليا عن املها في عودة روسيا الى المجموعة, مؤكدة انه من الخطأ العودة الى منطق الحرب الباردة في العلاقات بين الدول الغربية و روسيا, و ان العقوبات لا يجب ان تكون تلقائية مثلما ترغب الادارة الامريكية, و هذا الموقف يتقاسمه مع ايطاليا عدد من السياسيين الالمان ذوي الخلفيات اليسارية, فقد تراكمت قضايا عديدة بين روسيا و الاتحاد الاوروبي و الولايات المتحدة لا يمكن نقاشها او حلها دون حضور روسيا. [1]

سلطت الضوء قمة السبع الاخيرة التي عقدت في ماي 2017 بصقلية الايطالية على عدد كبير من الاختلافات الجديدة بين الولايات المتحدة و اوروبا, و انتهت القمة بفشل اعضاء مجموعة السبع في تحقيق الاجماع على قضية تغير المناخ, لان الولايات المتحدة لم تصادق على اتفاق باريس بل انسحبت منه فيما بعد, و لم يصل الاتفاق على محاربة الارهاب السيبيراني الى اتخاذ تدابير عملية غير الاعتراف بتجريمه, و لم يتم الاتفاق ايضا من الجانب الامريكي على التبادلات التجارية و السوق الحرة بين اوروبا و امريكا, بل ان الرئيس ترامب رفع شعاره "امريكا اولا" و اعلن بصراحة عن عدم رضاه عن العجز الكبير في الميزان التجاري مع المانيا, كما طلب من اوروبا زيادة نفقاتها الدفاعية. لكن اعضاء القمة يشيرون انه بالرغم من الاختلافات يبقى بين امريكا و اوروبا العديد من المصالح المشتركة, سواء ما تعلق بالدفاع الجماعي, السلاح النووي, او نشر القوات في اطار العمليات العسكرية الجارية. [2]

[1] – **مجموعة السبع"عبثا تنتظر روسيا"**, صحيفة العربية, 09.04.2017,
https://arabic.rt.com/press/872429-g7-أزمة-الكبرى-السبع-مجموعة-ايطاليا-روسيا

[2] - Daniel Blinder, **En l'absence de la Russie et de la Chine, le G7 n'est plus d'actualité**. Entretien avec sputnik international, 30.05.2017

و كان للولايات المتحدة في مجموعة السبع الدور الكبير في تصعيد العقوبات الاوروبية على روسيا, حيث كانت النقاشات لا تخلوا من رفضها العلني او الضمني لأي طرف اوروبي ينوي تخفيفها او تعليقها او يناقش عدم جدواها, و كان بيان مؤتمرات القمة للمجموعة يؤكد دائما على بند التزام روسيا باتفاق مينسك الذي وقع بين روسيا و اوكرانيا بتدخل فرنسا و المانيا. و يتخوف الاتحاد الاوروبي و الولايات المتحدة من عدم نتيجة هذا الطرد و هذه العقوبات, فمع مرور الوقت و كأن روسيا تسترد عافيتها دون احداث أي تغيير على واقع اوكرانيا. و يتخوفان ايضا من استعمال خيارات اخرى, كتعزيز قوات الحلف الاطلسي في شرق اوروبا, او تسليح الجيش الاوكراني بأسلحة دفاعية, ان تؤول الى حدوث ازمة بسبب خطا احد الاطراف الذي لم يحسب جيدا ردة فعل الاخر, مما يؤدي الى قيام مواجهة اقليمية او دولية واسعة المجال. فبريطانيا مثلا ترى ان الغرب امام وضع دقيق, و ان هذا الطرد و الاقصاء هو اشارة واضحة الى روسيا على انهم لن يسكتوا على تجاوز خطوطهم الحمراء, و في الوقت نفسه الغرب يدرك ان روسيا في ظل هذه الاجواء المضطربة تشعر بالتهديد, لذلك اعربت بريطانيا انه لا يجب القيام باستفزازات غير ضرورية. لكن روسيا من جانبها لم تتوقف يوما عن ارسال اشارات تهدئة منذ بداية الازمة الاوكرانية لتفادي أي تفاقم سلبي للأمور, و صرح الرئيس بوتين بان روسيا ليست تهديدا و لديها ما يشغلها من الامور الاخرى, مضيفا: " ان الانسان المجنون فقط, و في منامه فقط, بإمكانه ان يتخيل ان روسيا ستهاجم فجأة حلف شمال الاطلسي". [1]

و في ظل عدم قدرة الغرب على فرض الحل العسكري على روسيا, يجدون انفسهم في حاجة الى التحاور الروسي و مواقفه في عديد الملفات الدولية, مثلا عضويتها في المجموعة 5+1 (الولايات المتحدة, روسيا, بريطانيا, فرنسا, الصين, المانيا) التي تتفاوض مع ايران في ملفها النووي, فهم يحتاجون الى المساعدة الروسية المباشرة. و الملف السوري الذي تلعب فيه روسيا دورا مهم, ضف الى ذلك تأثير بوتين على الرئيس بشار الاسد, كدوره مثلا في اقناع هذا الاخير التخلي عن الاسلحة الكيماوية في 2013 لتفادي الضربات العسكرية الامريكية, حتى ان اعضاء المجموعة السبع تناقشوا فيما بينهم دون الرئيس بوتين في 2015 فكرة صفقة محتملة مع روسيا بشان امكانية منح الاسد اللجوء السياسي بهدف انهاء الصراع الدامي, ايضا في ازمات الشرق الاوسط الناشطة, ملف الحرب على التطرف و ما تعلق بتنظيم

[1]- **قمة الدول السبع الصناعية الكبرى و معضلة العلاقة مع روسيا**, المركز العربي للأبحاث, 18.06.2015 .
http://www.almodon.com/arabworld/

داعش في العراق و سوريا, كذلك الوضع في ليبيا و تصارع الاطراف, ايضا في ملف التشابك مع كوريا الشمالية و برنامجها النووي, دون العودة الى الحديث عن محاربة الارهاب الدولي و امن الطاقة العالمي. كل هذه الامور تجعل العلاقات الروسية الاوروبية او الغربية حاجة متبادلة بين الطرفين, لا يمكن فيها للغرب الاستغناء عن روسيا و لا يمكن لروسيا الاستغناء عن اوروبا. [1]

يرى المحللون ان هذا النادي يجمع بين سبعة دول تمثل 60 % من الثروة العالمية, لكنها تمر حاليا بأزمة قيادة عالمية, و جدول اعمال اجتماعاتها الاخيرة تهيمن عليه مسائل مكافحة الارهاب و تغير المناخ و ازمة الهجرة, و يبقى نمو الامكانيات العسكرية الروسية و توسع الصين يلقي ضلالا من الشك على مستقبل الولايات المتحدة و اوروبا, و بالتالي مستقبل مجموعة السبع و كفاءتها, و ستتضخم هذه الظاهرة اذا لم تتوقف اوروبا عن احساسها بالحماية الامريكية و اعتمادها عليها, فحاليا سياسة ترامب تلمح الى غموض كبير في الموقف الامريكي. العالم لم يعد نفسه الذي كان في وقت تشكيل مجموعة السبع في السبعينيات, و ربما يفسر هذا سبب عدم مشاركة بلدان كروسيا و الصين في هذه المجموعة, ما يظهر ان جدول اعمال هذه الكتلة لم يعد موضوعي و حديث, و ان الاجوبة على التحديات الخاصة بمجموعة السبع هي اليوم محدودة, لان لاعبين من هذا الحجم ليسوا في هذه الكتلة.

حتى في ظل تغير الادارة الامريكية و الفرنسية و خروج بريطانيا من الاتحاد الاوروبي, يبدوا ان الامور مازالت مستمرة على حالها دون تغيير مع الطرف الروسي, بل بالعكس هناك تجاذب بين الاطراف الغربية حول قضية ازمة الهجرة مثلا التي تعاني منها اوروبا, فواشنطن تعلن من جهتها بناء جدار مع المكسيك, و من جهة اخرى لا تتخذ موقفا واضحا مع اوروبا. دون العودة الى القول: ان سياسة امريكا في الشرق الاوسط, و في شمال افريقيا, و افغانستان, هي السبب في تدفق موجات الهجرة هذه الى اوروبا, و هذا العبء لا تتحمله هذه الاخيرة انما الشعب الاوروبي و ضرائبه هو الذي يتحمله. لكن هذا لا يعني تصور عكس استمرارية التحالف الامريكي الاوروبي على المدى المتوسط, و عسكريا سيكون التحالف للمدى الطويل حتى, و تبقى الاتجاهات السياسية سببا في ابراز الاختلافات داخل اي كتلة. [2]

المطلب الثالث: الطبيعة المزدوجة لعقوبات الاتحاد الاوروبي على روسيا الاتحادية

تعود العقوبات المسلطة على روسيا الى 2012 عندما تبنى الكنغرس الامريكي "قانون ماغنيتسكي" الذي

[1]– **قمة الدول السبع الصناعية الكبرى و معضلة العلاقة مع روسيا**, مرجع سابق.

[2] - Daniel Blinder, **En l'absence de la Russie et de la Chine, le G7 n'est plus d'actualité**. Op.cit.

الغى "تعديل جاكسون–فينيك" كآخر عنصر للعقوبات الامريكية القديمة ضد الاتحاد السوفيتي, و عوض بعقوبات جديدة ضد بعض المسؤولين الروس, اتهمتهم امريكا بالتورط في انتهاكات لحقوق الانسان.[1]

عند بداية تدخل روسيا في اوكرانيا الشرقية في 2013 و استيلاءها بطريقة غير شرعية على شبه جزيرة القرم, رد الغرب عليها بفرض عقوبات اقتصادية في جويلية 2014, بشكل منسق بين الاتحاد الاوروبي, الولايات المتحدة, كندا, استراليا, النرويج و السويد, تحت ضغط الرئيس اوباما لأوروبا لكي تضغط بدورها على روسيا, للالتزام ببنود معاهدة مينسك, او بالأحرى لكي تجبرها على ان تكون اكثر تكيفا بخصوص المسالة الاوكرانية, هذا الحظر تم تعزيزه بشكل مكثف في سبتمبر 2014, حيث قام الاتحاد الاوروبي بتمديد فترة هذه العقوبات التي كان من المقرر ان تنتهي في جويلية 2015 الى جانفي 2016, اما العقوبات الامريكية و الكندية فهي غير محددة الاجل. هذا الحظر يمكن ان يفهم ايضا على انها اداة مناسبة لسياسة احتواء و اضعاف لروسيا على الرقعة الجيوسياسية العالمية, بهدف اثارة الرأي العام ضد الرئيس بوتين للإطاحة بالنظام الروسي. اما من الناحية الاقتصادية فقد كانت ثلاثة انواع من العقوبات, النوع الاول يقيد وصول مؤسسات روسية حكومية محددة في قطاعات الصرافة و الطاقة و الدفاع الى الاسواق و الخدمات المالية الغربية, النوع الثاني يفرض حظرا على الصادرات الى روسيا من اجهزة عالية التقنية للتنقيب عن النفط و انتاجه, اما النوع الثالث فيفرض حظرا على الصادرات الى روسيا من بضائع عسكرية و بضائع ثنائية الاستخدام, في المقابل فرضت روسيا حظرا على الواردات الغذائية من الدول الغربية في اوت 2014 و الذي مازال قائما للان.[2]

كما قامت روسيا في منتصف 2015 ردا على العقوبات التي فرضها عليها الاتحاد, بتسليمه قائمة سوداء فيها 89 اسما لشخصيات سياسية يحظر دخولهم الى اراضيها, فردت اوروبا باستياء على ان القائمة لا يوجد لها أي مبررات و انها تعسفية و غير شفافة, و اتهمت موسكو بمخالفتها للقوانين الدولية, و لا يمكن الطعن بها في المحاكم. اما روسيا فقد ردت بان الاتهامات عبثية و خرقاء, و ان موسكو لم تكن البادئة بفرض هذه القوائم, و ان القائمة تشمل اسماء الاشخاص الذين ساندوا الانقلاب بكل قوة في اوكرانيا, ما

[1]– شيري عاطف, **الاقتصاد الروسي في ضوء العقوبات الامريكية**, المركز المصري للأبحاث و الدراسات الاستراتيجية, 14.08.2017 .

[2]– ادوارد كريستي, **العقوبات بعد جزيرة القرم: هل نجحت؟**, مجلة الناتو, 2015.

عرض المواطنون الروس هناك للقهر و التمييز, وان هذه القائمة لا تتضمن ممثلي دول عديدة كقبرص, هنغاريا, النمسا, اليونان, و هي اطراف ذات مواقف اكثر اعتدالا تجاه السياسة الروسية. اما المحللين فيرون ان بلدان الاتحاد تعتقد ان لها الحق في فرض عقوبات و ليس لغيرها الحق في ان يعاملها بالمثل, هذا يعني انه لا مجال و لا نية للغرب بالسير مع روسيا في حوار متكافئ, و ان لغتهم الوحيدة مع موسكو هي "لغة التهديد و الفضائح و المطالبة", و عن البلدان التي لم تمسها القائمة انه يمكن اعتبار هذه الخطوة اكبر دليل على ان روسيا لها مواقف مختلفة من دول الاتحاد الاوروبي. [1]

مست العقوبات الاقتصادية الاوروبية المفروضة على روسيا بدرجة كبيرة قطاع المال و الطاقة و السلاح, و خلفت اثار سلبية قصيرة المدى تراجعت فيها المبادلات التجارية بين الجهتين مخلفة اضرار في روسيا اكبر من تلك في اوروبا, هذا يعود الى ان الاتحاد هو السوق الاولى للمنتجات الروسية, بينما روسيا تحتل المرتبة الرابعة في اسواق الاتحاد, اما في مجال الطاقة فان العقوبات كان لها تأثير نسبي نظرا لانخفاض سعر النفط في الاسواق العالمية و انخفاض كمية انتاجه عملا بالاتفاق الدولي, مما اجبر الشركات الكبرى للتنقيب عن النفط تجميد مشاريعها, إلا شركة غاز بروم لم يحظر عليها لتخوف اوروبا من تعرضها لازمة غاز, و لحسن حظ روسيا هذه الشركة تمثل عماد الاقتصاد الروسي. لكن في انظمة سياسية مثل النظام الروسي بعض اثار الحظر الاقتصادي يمكن ان تحول الى نقاط ايجابية تخدم مصالح الدولة, كالدعاية الى المنتوج الوطني, زيادة الانتاج, استقطاب اسواق جديدة, في المقابل الحظر الذي خص به بوتين الاتحاد الاوروبي تسبب في توتر الاطراف الاوروبية, و تحول الى ضغط سياسي مكون من المعارضة, و فئات داخل الحكومات القائمة, و تمرد شعوب بعض دول اوروبا الشرقية على الخطابات المناهضة لروسيا, ضف الى ذلك استياء عالم الاعمال و الشركات الاوروبية من الخسائر التي لحقت بها خاصة تلك التي تعمل في انتاج المواد الغذائية و الزراعية. اما في المجال السياسي فالحصار الاقتصادي عزز نجاح الحزب الحاكم "روسيا الموحدة" في تشريعيات 2016 و اضعاف الجبهات الاخرى ذات التوجه الغربي, و ايقظ الحس القومي الروسي في الاوساط الشعبية برسم صورة لروسيا العظمى التي يترقبها اعداء كثيرون يريدون لها كل السوء. [2]

---

[1]– اليكسي تيموفيتشوف, **القوائم السوداء الروسية: الغرب ينتقد موسكو على ردها بالمثل**, مجلة العربية, 03.06.2015

[2]– خيري حمدان, **تمديد العقوبات الاوروبية ضد روسيا...الاثار و التداعيات**, صحيفة العربي الجديد, 04.07.2016 .

اما خروج بريطانيا من الاتحاد الاوروبي, روسيا تؤيده و تنوي تغيير توجهها الاقتصادي و السياسي نحو هذه الاخيرة و باقي الدول الاوروبية, كما يدرك بوتين ان محاربة الحصار ممكنة بطرق دعائية او ملتوية, كإيداع صورة عن روسيا الرائد العالمي الاقتصادي و السياسي في الاعلام الخارجي, او التحريض على الانفصال من الاتحاد الاوروبي ليتمكن من فك الحصار عليه. كما ان دول اوروبية عديدة انتهزت فرصة العقوبات و سوقت منتجاتها الى روسيا عبر دول محايدة كبيلاروسيا او صربيا, كما تمكن رجال اعمال روس و رؤوس اموال روسية من تخطي قائمة المحظورين من الاستثمار في اوروبا, من خلال تسجيل شركاتهم الخاصة في جزر فيرجينيا البريطانية. على اية حال تعلم روسيا ان الاتحاد الاوروبي منهمك في الاونة الاخيرة في مشاكله الداخلية, ثم ان خروج بريطانيا و تصفية الحسابات بين الشركاء عند الانفصال يأخذ وقتا طويلا, و يخلف خسائر مادية يجب العمل لتعويضها, كما يخلف اثار معنوية تنعكس في عدم رغبة الاتحاد قبول اعضاء جدد الى وقت لاحق. بقي على اوروبا ان تفتح باب الحوار مع روسيا, لان هذه الاخيرة لم تتوقف يوما عن المطالبة بالحوار من اجل مستقبل علاقات الطرفين, و عن نواياها في اتخاذ خطوات ايجابية تجاه شركائها الاوروبيون, و الذي لا يمكن تحقيقه في اتجاه واحد. [1]

العقوبات المفروضة في 2017 من الولايات المتحدة على روسيا كانت انفرادية, اثارت ردود افعال دول الاتحاد الكبيرة, لان الحظر مس شركات اوروبية لها علاقة بشركات الطاقة الروسية و اخرى تعمل داخل روسيا منذ سنوات عديدة, كما ان اوروبا لا تنوي تبديل الغاز الروسي الرخيص الثمن بالغاز الامريكي المكلف, و صرحت المانيا عدم توافقها مع الخلط المباشر بين السياسة الخارجية و المصالح الاقتصادية في الطبخة الامريكية, التي تنوي اقصاء الغاز الروسي من اوروبا. و بعض المحللين يرون في العقوبات الامريكية الاخيرة على روسيا و تداعياتها على اوروبا, نهاية لمرحلة التفاهم الاقتصادي بين الاتحاد و واشنطن, فهي تعبر عن انانية امريكية ساطعة, ناهيك عن انسحابها من اتفاق باريس للمناخ الذي اعلنت روسيا نواياها في التصديق عليه, الى ضغطها على المانيا, لكن الموقف الاوروبي ايضا يشوبه كثير من الغموض, في ظل الاختلافات الناشئة بين الطرف الغربي لأوروبا و طرفها الشرقي, و ألمانيا مع فرنسا يقودان الاتجاه المهاجم لروسيا بالرغم من حاجتهم لها اكثر من أي طرف اوروبي اخر. [2]

[1]– خيري حمدان, مرجع سابق.

[2]– شيري عاطف, مرجع سابق.

لكن المفاجأة الحقيقية تحدث تحت انظار العالم كله, و هو ما يثير استفزاز الغرب و لا يعرفون كيف يتصرفون, إلا مضاعفة العقوبات التي ستؤول حتما الى خنقهم اذا ما اختنقت روسيا, اقتصاد روسيا المتأزم في الفترة الاخيرة بسبب العقوبات نجح في اعادة خلق قاعدة للنمو الصناعي, ان المؤشرات الاقتصادية الروسية تعود للضوء الاخضر و بقوة, فالنظام المالي الروسي في نهاية 2017 عاد للتوازن و الاستقرار, و الاقتصاد الروسي تجاوز مرحلة الركود و عاد للنمو و الانتعاش بشكل غير متوقع, مثله مثل اقتصادات الدول المتقدمة, و تراجعت معدلات التضخم بمستويات قياسية. بالرغم من ذلك تبقى العلاقات بين الاتحاد الاوروبي و روسيا على نفس المسار.[1]

المبحث الثاني: مؤشرات التوتر العسكري في علاقات الاتحاد الاوروبي و روسيا

تتلخص العلاقات الامنية العسكرية بين الاتحاد الاوروبي و روسيا الفدرالية في نقطتين: الاولى هي نشاط الجهاز الامني الاوروبي المعروف بحلف شمال الاطلسي في التوسع نحو شرق اوروبا على مقربة من الحدود الروسية, و هذا التوسع الذي تسبب في اشعال نار الفتيل بين الطرفين. اما النقطة الثانية فتتعلق بوجهة نظر كل طرف لمفهوم الأمن القومي و الجماعي, فعلى مستوى الاتحاد الاوروبي يختصر في عدم استعمال القوة الصلبة في الجوار القريب لحل اية ازمة من أي نوع كانت, لضمان امن الاراضي الاوروبية و بالتالي امن كل دولة في الاتحاد, و العكس يسمى تهديدا مباشرا يستحق كل التجنيد لمواجهته, اما على المستوى الروسي فالأمن يرتكز على عدم المساس بالأراضي الروسية, او بالجوار القريب لها الذي يمكن ان يستعمل كممر عبور للوصول الى زعزعة امنها القومي او استقرار وحدة اراضيها, و إلا فالرد سيكون سريعا و حاسما و بالقوة ان توجب الامر. لكن عند العودة لمنطلق السياسة الامنية لكل طرف, نجد ان روسيا لها سياسة امنية مستقلة تماما في عقيدتها و ملحقاتها الهيكلية, مبادئها واضحة لا يصوغها أي طرف خارجي, اما السياسة الامنية الاوروبية فهي غير مستقلة, مبادئها واضحة لكن في تضارب مستمر مع الاهواء الامريكية و ضغوطها, و اللواحق الهيكلية و تسييرها ملك خالص لأمريكا و لقراراتها, مستأجرة لكن لا قدرة للاتحاد في فرض سياسته على هذا الحلف, بل ان السياسة الامنية الاوروبية هي احدى نقاط الضعف الكبيرة للاتحاد الاوروبي. و ما زاد الامور تعقيدا هو السلوك الاوروبي الذي ينتقد و يحكم على

[1] – فريد غايرلي, **مدفيديف يؤكد ثبات النظام المالي و المصرفي في روسيا**, صحيفة العربية,30.11.2017 .
https://arabic.rt.com/business/912871

كل تصرف لا يتوافق مع مزاجه الديمقراطي, لكن أمريكا و سياساتها التحريضية الاستفزازية المناهضة للقوانين الدولية و لحقوق الانسان و حتى للمناخ, فلا تعقيب عليها, بل تقابل بالسكوت و التساهل التام.

المطلب الاول: جولات التوسيع لحلف شمال الاطلسي

يمثل توسع حلف شمال الاطلسي نحو شرق اوروبا تهديدا مباشرا لمصالح روسيا و امنها, و فيه عزلها عن اوروبا و بالتالي القضاء على كل طموحات الاندماج السياسي و التكامل الاقتصادي, بل اكثر من ذلك سيرسم خطا فاصلا يجعل كل طرف يترقب تحركات الاخر, و سيستيقظ العالم على حرب باردة ثانية كالحرب العالمية الثانية. و لم تتردد المواقف الروسية في اعلان رفضها للسياسة الغربية و لاقتراب مرافق الحلف الاطلسي العسكرية من حدودها, و ان هذا التوسع و انعكاساته السياسية على روسيا و الجماعة الغربية, لن يستفيد منه احد إلا صانعي الاسلحة و مديريات الضرائب الامريكية, و توعدت موسكو في 1999 بان انتشار الحلف الاطلسي خارج حدوده المباحة في اوروبا, يحتم عليها اعادة صياغة سياساتها و ربطها بأمنها العسكري في القوة التقليدية و الردع النووي للتقليل من التهديد العسكري للحلف. [1]

فكرة توسع الحلف الاطلسي نحو اوروبا الشرقية كانت استراتيجية ضمنية لقادته منذ ظهور ملامح سقوط الاتحاد السوفيتي, و في قمة الحلف التي عقدت في بروكسل في 1994 وافق الاعضاء على برنامج الولايات المتحدة للشراكة من اجل السلام, الذي ركز على تكثيف التعاون الوظيفي بين هياكل الحلف و الدول الاعضاء, و عرض فكرة ضم دول اوروبا الوسطى و الشرقية في اقرب الاجال الى الحلف. في نفس السنة وقعت روسيا مع الحلف الاطلسي على استراتيجية الشراكة من اجل السلام في مجال التعاون العسكري الاوروبي, هذا التوقيع كان الحل الوسط بين اختيارين امام روسيا, عزل دول اوروبا الشرقية عن اطار الامن الاوروبي, او انضمام دول البلطيق مع بعض دول اوروبا الشرقية الى الحلف دون موافقتها. لكن هذه الوثيقة لم تعطي لروسيا العضوية الكاملة في الحلف الذي عاملها كدولة صغيرة, كما لم تنص على أي التزام بعدم توسع الحلف في مجالها الحيوي.

ان روسيا لا تخالف مبدئيا توسع الحلف الاطلسي, انما تخالف التوسع المفرط الذي يريد من خلاله السيطرة على مجموعة الدول المستقلة التي تعتبرها خط تماس لأمنها و امن مصالحها. بعدها عقدت موسكو اتفاقيات تعاون مع اطراف تعارض هيمنة الغرب على النظام الدولي (ايران, كوبا, كوريا الشمالية,

---

[1]– عبد العزيز مهدي الراوي, **توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة**, مجلة دراسات دولية, العدد 35, 2007, ص. ص. 180 – 181 .

الصين, العراق, سوريا), و تخوفا من التقارب الصيني الروسي اضطر الحلف الى التوقيع على الميثاق الاطلسي في 1997 الذي تضمن قانون تأسيسي بين روسيا و الحلف. [1]

بسبب الانتشار المستمر للحلف الاطلسي اصبحت العلاقة بينه و بين روسيا علاقة مركزية في الهيكل الامني الاوروبي, و هي ترتيبات تفوق تلك الموجودة في منظمة الامن و التعاون في اوروبا التي فقدت تدريجيا هيكليتها مبكرا, و بسبب الصراع الذي خلفته حرب كوسوفو, و الذي تلاه تعاون روسيا مع الغرب ضد الارهاب في افغانستان, ابرم ميثاق جديد بين الحلف الاطلسي و موسكو في 2002 عندما تقرر التوسيع الثاني للحلف في الشرق. و كان الهدف من هذه الترتيبات اقامة شراكة و تعاون بين الطرفين من خلال اجتماع دوري, و ايضا طمأنة روسيا من ان توسيع الحلف ليس موجه ضدها, و كانت الضمانات هي القانون التأسيسي بعدم نشر قوات قتالية كبيرة على اراضي البلدان الاعضاء الجدد في الحلف.

لكن هذه الشراكة لم تكن خالية من دوافع خفية, فمن الجانب الغربي كان من الضروري تجنب اعطاء روسيا حق النقض, لذلك لم يعرض عليها مطلقا العضوية الكاملة في الحلف, و ايضا من اجل توطيد الديمقراطيات الجديدة مع الغرب, اما من الجانب الروسي فكان ينظر الى توسع الحلف على انه تهديد لمصالح روسيا و امنها يجب احتواءه. و على الرغم من ان هذا التصالح مصحوبا بترتيبات متفاوض عليها, إلا ان توسيع الحلف من طرف واحد كان جزءا من استياء روسيا من الغرب. [2]

لكن فيما بعد نشب خلاف بين اعضاء الحلف حول تحديد مفهوم التهديد, و تحديد العلاقة مع روسيا كشريك او خصم, و تراجع النظام القانوني لهذا الحلف الذي تجلى في مخالفة امريكا لنظام الاجماع بين الاعضاء عند تدخلها في العراق 2003. ثم جاء قرار امريكا بتنصيب درع صاروخي في بولندا و التشيك, حسب تصريحاتها للتصدي لإيران و كوريا الشمالية. لكن موسكو ردت على الاعلان بأنه استفزاز يمثل تهديدا صريحا للأراضي الروسية و لأمنها القومي, و ان هذا التصرف يجبر روسيا على العودة للسباق نحو التسلح, و على الانسحاب من اتفاق الحد من الاسلحة الاستراتيجية النووية, و ان روسيا ستصوب

[1] – شيخ حنان, **السياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة**, مذكرة ماستر في السياسة الخارجية, جامعة الجزائر, 2015, ص. ص. 118 – 119 .

[2] - Pascale Joannin, **La Russie et L'occident : dix contentieux et une escalade inévitable ?**, fondation robert schuman, questions d'europe n° 379, l'élargissement de l'OTAN, 25.01.2016.

صواريخها نحو اوروبا اذا ما تعاون القادة الاوروبيون مع امريكا في مشروعها هذا, و انهم سيتحملون مسؤولية عودة سيناريو الرعب لأوروبا, لان روسيا قدمت اكثر مما توقعت اوروبا و ان الكرة في ملعبها. [1]

هذا الدرع هو نظام دفاع صاروخي صممته امريكا يعرف بالصواريخ الباليستية, و بما ان التهديد الوحيد الذي يمكن ان يمس اول قوة عسكرية في العالم يأتي فقط من منافستها, فالعالم كله يرى ان هذا النظام موجه الى روسيا, خصوصا و ان مشاريع تنصيبه كلها كانت في اوروبا الشرقية مع الحدود الروسية في بولندا, التشيك, و مؤخرا اوكرانيا. مما سيجمد التحرك الدفاعي الروسي و يفقده حق الردع, لأنه ببساطة لن يكون له الوقت الكافي للرد على هجمات هذه الصواريخ الامريكية, و لن يتمكن من بعث الضربة النووية الثانية بنجاح, لان هذه الصواريخ يمكن لها ان تعيق نظام الدفاع المعاكس في الجو. ففي حالة ما حدث هذا يمكننا تصور روسيا مستضعفة غير قادرة على صد الاعتداء, و هو تغير استراتيجي جدري في المنطقة, يفتح الطريق امام عودة الهيمنة الامريكية بقوة على العالم كله. [2]

جاءت الشراكة التعاونية في قاعدة غاباالينسك بين روسيا و امريكا كاقتراح عرضه بوتين لحل الازمة, اكد من خلاله للرأي العام العالمي رغبته في التعاون مع الحلف الاطلسي لمسح حالة التوتر التي تعرفها جميع الاطراف, و تفادي الرجوع الى حقبة الحرب الباردة. و لم يكن من قبيل المصادفة ان احدث ازمات العنف و الصراع, كحرب جورجيا في 2008, و الازمة الاوكرانية في 2014, وقعت بعد قمة الحلف في افريل 2008 ببوخارست, التي وعد فيها بانضمام جورجيا و اوكرانيا الى حلف شمال الاطلسي, لكن التوتر زاد بين موسكو و اعضاء الحلف بسبب الازمة الجورجية في 2008, و هنا علق الحلف الاطلسي كل برامج عمله مع روسيا, اما ادارة اوباما و شركائه الاوروبيين فقد اوقفت هذه السياسة منذ 2009, لفرضها بطرق اكثر نعومة في وقت لاحق, ما تجلى في اصرار الاتحاد على الشراكة الاوروبية الاوكرانية. [3]

بعد الازمة الاوكرانية اعتمدت الولايات المتحدة و الحلفاء الاوروبيون اجراءات لتفعيل الحلف الاطلسي, ضد الضغط العسكري الروسي و امكانية اعتداءه على دول اوروبية اخرى, بنشر قوات جوية في بولندا و مضاعفة القوات البحرية المتواجدة في دول البلطيق. و في قمة الحلف 2014 اقترحت امريكا مع بولندا و دول البلطيق الابقاء على قوات الحلف على اراضي دول التحالف الشرقية بشكل دائم, بحجة ان ما

---

[1]– شيخ حنان, مرجع سابق, ص. ص. 119 – 120 .

[2]– بلعباس عبد الكامل, **الاستراتيجية الروسية تجاه اوكرانيا**, مذكرة ماستر في ادارة النزاعات الدولية, جامعة الجزائر, 2015, ص. ص. 78 – 79 .

[3]– شيخ حنان, المرجع نفسه, ص. ص. 120 – 121 .

يعيشه شرق اوكرانيا و القرم فيه زعزعة جذرية للوضع الامني في اوروبا, و هنا الحلف ليس ملزما بالعمل بالقانون التأسيسي لعلاقة الحلف بروسيا الذي يؤكد عدم تنصيب قوات مقاتلة كبيرة للحلف في اراضي الدول الاعضاء الجدد في الحلف من اوروبا الشرقية, و كان من المستحيل التوصل الى اجماع كل الاطراف, لان المانيا و عدة دول اعضاء بالحلف رفضت الاقتراح, باعتبار ان هذا الاجراء ستقرئه روسيا على انه استفزاز لها. و بدلا من هذا وضع الرئيس اوباما مخطط "ضمان امن اوروبا", و هي خطوة بمليار دولار لمضاعفة القوات العسكرية في دول البلطيق و بولندا, و تحسين كفاءة البنية التحتية العسكرية لهذه الدول, و ستعمل القوات الامريكية الى جانب قوات الحلف كقوة رادعة للدفاع عن حلفاء المعاهدة. و في قمة الحلف في 2016, تم وضع خطط اكثر توسعا للسنة الجارية و للسنة التي تليها. لكن الحلف الاطلسي و اعضاءه في غرب اوروبا و شرقها, يواجهون حسب تصورهم عائقا كبيرا بالرغم من كل القوات و التجهيزات التي جندت, و المساعدة العسكرية المباشرة للقوات الامريكية و تواجدها الى جانب الحلف, و هو احتمال استمرار وجود فجوة بين التواجد الذي يرغب فيه الحلف, و التواجد المتاح في الجهة الشرقية للحلف لمواجهة التهديد الروسي.[1]

حلف شمال الاطلسي الذي اوقف بشكل اوسع في 2014 كل التحركات التعاونية و الشراكات مع روسيا عند ضمها لشبه جزيرة القرم, جدد المحادثات معها في بداية 2016, و قبل نهاية السنة كان الحلف الاطلسي قد اجرى ثلاث اجتماعات مع روسيا لمناقشة الوضع في اوكرانيا. و يرى الطرفان ان هذه اللقاءات و المفاوضات الثنائية ضرورة قصوى, من جهة لطمأنة الحلف خصوصا و ان الصراع في اوكرانيا في تصعيد مستمر, و من جهة اخرى لخفض التوتر و القلق الذي يعرفه الطرف الروسي من جراء برامج انتشار الحلف في دول البلطيق و بوانداً, و احتمال مضاعفتها لاحقا.[2]

المطلب الثاني: اشكالية مجموعة الدول المستقلة: حالة جورجيا و اوكرانيا

الجوار الحيوي لروسيا هو فضاء للمناورات السياسية التي تهدد امنها, سواء بطريقة مباشرة مع الدولة الجارة بسبب خلافات ثنائية معينة, او بتحريض من جهات خارجية بهدف تشجيع التوتر بينها و بين

---

[1]– اف. ستيفن لارابي و اخرون, **روسيا و الغرب بعد الازمة الاوكرانية**, دراسة عسكرية لمؤسسة راند للأبحاث, كاليفورنيا, 2017, ص. ص. 12 – 15 .

[2]– خيري حمدان, **العجز الاستراتيجي الاوروبي في اوكرانيا و سوريا**, مجلة اراء العربي, 20 .12 .2016 .

جاراتها, و في حالة حدوث مواجهات فان الانعكاسات تمس بالدرجة الاولى روسيا, ثم يكون لها تأثير على علاقات هذه الاخيرة مع الاطراف الاخرى المعنية بالمسالة, او مع شركاء مهمين لهم ثقلهم السياسي في الساحة الدولية كالاتحاد الاوروبي, و في هذا السياق علاقات موسكو مع بروكسل بعد الالفية الثانية نسقتها ثلاث مسائل هي:

رابطة الدول المستقلة بين طموح الامن الجماعي و النفوذ الاوروبي: تمثل مجموعة الكومنولث* المتواجدة في الجوار القريب لروسيا مجالها الحيوي, حاولت موسكو جمع شمل الرابطة الذي تفكك و خلق تقارب بين دولها بعد التوتر الذي سادها لسنوات عديدة, و خروج بعضها عن اطارها للتوجه نحو الغرب, كاجتماع كل من اوكرانيا, اوزباكستان, مولدافيا, سنة 1997 في منظمة "غام" ثم التحقت بهم اوزباكستان فيما بعد, بدعم من الغرب للتخلص من رابطة الكومنولث و تبعيتهم للنفط الروسي, في محاولة لتجسيد مشروع انبوب نابوكو المستقل عن روسيا الاتي من بحر قزوين الى الاتحاد الاوروبي. [1]

لكن بوصول الرئيس بوتين الى السلطة جعل الرابطة احدى اولويات سياسته الخارجية, ليحصن جواره و بالتالي امن بلاده من تهديدات الغرب و نفوذهم الرهيب في المنطقة. فسطر لها برنامج عمل لتفعيل التكامل الاقتصادي بين الاعضاء و خلق منطقة للتبادل التجاري الحر, و بالرغم من عدم قدرته على التحكم في التطورات الواقعة في المنطقة, إلا انه استطاع في 2002 اعادة احياء اتفاقية الامن الجماعي السابقة (1992), لتصبح منظمة معاهدة الامن الجماعي التي تضم روسيا, بيلاروسيا, ارمينيا, كازاخستان, طاجكستان. غايتها التعاون من اجل التصدي للتهديدات الداخلية و الخارجية, و تبادل التجارب السياسية و التنسيق العسكري, و اكدت موسكو ان المنظمة تمثل عنصرا هاما في النظام الامني الدولي, و انها ترغب في التعاون مع الحلف الاطلسي و منظمة شنغهاي, من اجل تعزيز عمل المنظمة لمسايرة التهديدات الجديدة. و كانت تريد من خلالها روسيا خلق جهاز عسكري اوراسي يضاهي الحلف الاطلسي, كما كانت تطمح ان يجيء اليوم الذي تلتحق فيه دول الاتحاد الاوروبي و دول شرق اسيا بهذه

---

[1]– شيخ حنان, مرجع سابق, ص. ص. 90 – 92 .

*– كان الاتحاد السوفيتي سابقا يتكون من 15 جمهورية, و عند انقسامه في 1991 و اعلان جمهورياته استقلالها, تكونت كومنولث الدول المستقلة او رابطة الدول المستقلة في ديسمبر من نفس السنة, في عجلة قبل اختفاء الاتحاد السوفيتي, بانضمام كل الجمهوريات (روسيا, جورجيا, اوكرانيا,ارمينيا, اذربيجان, روسيا البيضاء, كازاخستان, قرغيزستان, مولدوفا, طاجكستان, تركمانستان, اوزبكستان) إلا دول البلطيق الثلاث. كان الغرض منها المحافظة على الروابط الاقتصادية السوفيتية السابقة, و بناء قوة عسكرية واحدة مشتركة لكل اعضائه, لحماية كل دولة في هذه الرابطة.

المنظمة للتخلص من سيطرة الولايات المتحدة و الحلف على الحراك العسكري في العالم. و تمكنت موسكو من الحصول على موافقة دولية و دعم الامم المتحدة. لتشكيل قوات روسية لحفظ السلام في دول الكومنولث, و تعززت معاهدة المنظمة ببروتوكول و اتفاقات اخرى, كتقديم المساعدة العسكرية و التقنية للدول الاعضاء في حالة العدوان الخارجي, و في 2009 توصلت المنظمة الى تحقيق خطوات نحو الامام بتشكيلها لقوات الرد السريع. [1]

تداعيات الازمة الجورجية على العلاقات الروسية الاوروبية: عند تولي الرئيس ساكاشيفيلي الموالي للغرب السلطة في جورجيا عام 2004 زادت الفجوة بين هذه الاخيرة و روسيا, بعض المسائل كانت تفرز بينهما بطريقة ودية (استعادة اجاريا, غلق قاعدة روسية), لكن في ابخازيا و اوسيتيا الجنوبية (منطقتان منفصلتان عن جورجيا بالحدود الروسية) كانت التوترات في تزايد مستمر, و كان للرئيس الجورجي سياسة رامية الى استعادة هذه الاراضي, يشجعه على هذا الولايات المتحدة و جزء من دول اوروبا. و في افريل 2008 خلال قمة بوخارست للحلف الاطلسي, تم منح خطة عمل للعضوية لجورجيا و اوكرانيا, تأكد عضويتهما في القريب اللاحق في حلف شمال الاطلسي, تم ذلك تحت الضغط الامريكي و بالرغم من التردد الفرنسي الالماني, و هو ما كان بدون شك بالنسبة للروس تجاوزا للخط الاحمر

بمجرد رحيل الرئيس بوتين عن السلطة في روسيا التي تولاها بعده الرئيس مدفيديف, قام الرئيس الجورجي بشن هجوم على اوسيتيا الجنوبية في 07 اوت 2008, تبعه في يوم الغد رد روسي بالقوة العسكرية, و في خلال خمسة ايام هزم الجيش الجورجي و استطاعت القوات الروسية الوصول الى مشارف تبيليسي العاصمة الجورجية. يومها تولى الرئيس الفرنسي بصفته رئيسا لمجلس الاتحاد مبادرة الوساطة بين موسكو و تبيليسي في ليلة 12 – 13 اوت, و التي صادق عليها في الغد جميع وزراء خارجية دول الاتحاد الاوروبي, حيث استطاع التوصل الى التزام موسكو بسحب قواتها خارج مجال المواجهات, و ربما نجاح الاتحاد في الوساطة هذه يرجع لغياب التأثير الامريكي نظرا لاقتراب نفاذ فترة ادارة بوش. [2]

في نهاية شهر اوت اعلنت موسكو استقلال ابخازيا و اوسيتيا الجنوبية عن جورجيا, و ربما كان هذا ردا للغرب على قضية اعلان استقلال كوسوفو, كما يعني هذا ان روسيا لن تنسحب من الخطوط الاولية, و هو ما لم يكن في الاتفاق (بعد وقف اطلاق النار في 1992 –1993 احتفظت جورجيا بالسيطرة على

[1]– شيخ حنان, مرجع سابق, ص. ص. 93 – 95 .

[2] - Pascale Joannin, **La Russie et L'occident**, op. cit.

جزء من ابخازيا و اوسيتيا الجنوبية), و في سبتمبر انتشرت بعثة مدنية تابعة للاتحاد الاوروبي لمراقبة انسحاب القوات الروسية من الحدود بين البلدين, و على هذه الانجازات الروسية غير المكتملة و الغير كافية, وافق الاتحاد الاوروبي على اعادة العلاقات مع روسيا, و استئناف المفاوضات بشان الاتفاق الجديد الذي علق في شهر اوت.[1]

الصراع الجورجي ترك انعكاسات سلبية في صف الاتحاد, بعضهم يعتبره نتيجة حتمية لمغامرة الرئيس الجورجي, المعتدي الاول الذي تخلت عنه امريكا بسبب نهاية ادارة بوش, و الذي انتهى به الامر الى مغادرة السلطة في 2013 لفشله في هذا الصراع. و اخرون يرون انهم صادقوا على الوساطة السلمية لوقت ظرفي و أي خطا ثاني من طرف موسكو فإنها لن تنجو من العقاب. لان روسيا استعملت لأول مرة قواتها العسكرية ضد دولة جارة, و لم تحترم الاتفاق المتوصل اليه في اوت, و قواتها مازالت متواجدة هناك, و ان الاتحاد الاوروبي قد سارع في استعادة العلاقات الثنائية مع موسكو. اما استقلال جمهورية ابخازيا و جمهورية اوسيتيا الجنوبية فلم يتطرق لهما الاتفاق, و لا تعترف بهما إلا قلة من الدول التي ليس لها اهمية سياسية (نيكاراغوا, فنزويلا, ناورو), و هم الان في تبعية لموسكو اكثر من أي وقت مضى, و ليسوا اكثر من ممرات استراتيجية لها (الوصول الى البحر الاسود عن طريق ابخازيا, السيطرة على فتحة النفق الاستراتيجي روكي الذي يربط بين اوسيتيا الجنوبية و اوسيتيا الشمالية), و لا تتوقع تبيليسي امكانية استرجاعهما يوما ما. و اصبحت تواجه جورجيا معضلة كبيرة مع الحلف الاطلسي, اما ان تكون جورجيا تحت حماية الحلف باستثناء المنطقتين, لأنه لا يستطيع الحلف استرجاعهم لها, و اما ان تختار الاحتفاظ بكل ترابها و التخلي عن حماية الحلف,[2]

في الحقيقة التباين في الاراء في الوسط الاوروبي تجاه روسيا, و موقف روسيا الصلب في الصراع الجورجي, هي كلها ترجمة لتوتر الوضع بين الطرفين قبل الازمة. جذوره ترجع الى نفاذ مدة اتفاق الشراكة و التعاون الذي كان يربط الطرفين منذ 1997, و الذي برمج تفعيله بمفاوضات جديدة في نهاية 2006 في القمة الاوروبية الروسية, إلا ان الخلاف بين روسيا و بولونيا بسبب الحظر الروسي لاستيراد اللحوم من بولونيا عرقل المحادثات. و اسباب اخرى سابقة: كانتقاد اللجنة الاوروبية لتطور النظام السياسي الروسي, اعتراف الغرب باستقلال كوسوفو, دورهم في الثورة البرتقالية, سياسة مد النفوذ الاوروبي في

[1]– بركاني توفيق, **التدخل الروسي في جورجيا 2008, و في اوكرانيا 2013**, دراسة مقارنة, مذكرة ماستر في تحليل السياسة الخارجية, جامعة الجزائر, 2015, ص. 55 .

[2] - Pascale Joannin, **La Russie et L'occident**, op. cit.

الجوار الحيوي للمصالح الروسية, مشروع الدرع الصاروخي. ضف الى ذلك ان موسكو وقفت على حقيقة مؤلمة هي ان كل محاولات التعاون و الشراكة مع الاتحاد الاوروبي و الحلف الاطلسي كانت من طرف واحد, و انه لا يوجد مصالح نفعية للطرفين في هذه العلاقة. فاختارت لها روسيا وجهة اخرى نحو خارج اوروبا للاندماج في نظام دولي جديد متعدد الاطراف, دون التخلي عن مصالحها السياسية و الامنية في جوارها القريب او البعيد, من خلال سياسة وقف نفوذ اوروبا و الحلف الاطلسي في مجالها الحيوي,[1]

تداعيات الازمة الاوكرانية على العلاقات الروسية الاوروبية: ترى اوروبا ان بحجة الانقلاب في اوكرانيا الذي تم تنظيمه من الخارج, و استنادا الى حق الشعوب في تقرير مصيرها, فان روسيا انتهكت بشكل صارخ قواعد القانون الدولي: وحدة و سلامة الاراضي الاوكرانية, قانون عدم استخدام القوة (و لو انها تحركت بشكل خفي), و ميثاق بودابست 1994 الذي ضمنت بموجبه حدود اوكرانيا مقابل تسليم هذه الاخيرة الاسلحة النووية المتواجدة على اراضيها. اما الدبلوماسية الروسية فقد بررت انحرافها عن المبادئ و المعايير القانونية, بان السياسة الغربية هي التي اكتفت بالأمر الواقع و لم ترد الاستماع الى روسيا.

الاتحاد الاوروبي لم يكن امامه خيارا اخر سوى الوقوف الى جانب الولايات المتحدة في سياسة العقوبات ضد روسيا التي لم يشهد لها مثيل: توقف الحوار السياسي و الاقتصادي الذي كان ساريا بين الطرفين, العقوبات المستهدفة (حظر الاقامة), تجميد الاصول (ضد شخصيات روسية متورطة في العدوان ضد اوكرانيا, لكن ليس ضد بوتين او وزير خارجيته), عقوبات اقتصادية منذ جويلية 2014 (حظر تكنولوجي, حظر الوصول البنكية في اسواق راس المال الاوروبية). لم يعد بإمكان الاتحاد الاوروبي ان يؤدي دور الوساطة في هذه الازمة, و لم يكن لدى الوسطاء الاخرين (الامين العام للأمم المتحدة, مجلس اوروبا, الرئيس السويسري لمنظمة الامن و التعاون الاوروبية) الثقل السياسي الكافي لتولي المهمة بفعالية. ان القوة التي اظهرتها موسكو في جورجيا و انتهاكها للقانون الدولي في اوكرانيا مثل قطيعة بين الطرفين.[2]

فبادرت فرنسا و المانيا الى التدخل للحد من تصعيد الصراع, و تم التحضير لأول لقاء في جوان 2014 يجمع الرئيس بوتين بالرئيس الاوكراني المنتخب مؤخرا للشروع في التفاوض (صيغة نورماندي). و عقب هجوم مضاد شنه الانفصاليون في نهاية شهر اوت ضد عملية مكافحة الارهاب الاوكرانية, تفاوضت موسكو و كييف بمينسك في سبتمبر على مشروع اتفاق وقف اطلاق النار في شرق اوكرانيا, و مجموعة

[1]– بركاني توفيق, مرجع سابق, ص. 56 .

[2] - Pascale Joannin, **La Russie et L'occident**, op. cit.

اجراءات اخرى لتسوية الازمة. بعدها حدث تصعيد اخر على الساحة اجبر فرنسا و المانيا على المشاركة شخصيا في مفاوضات اخرى, في قمة اتفاق جديد بمينسك في افريل 2015, كان تحت اشراف فرنسا و المانيا على المستوى السياسي (صيغة نورماندي), منظمة الامن و التعاون الاوروبي على المستوى الدبلوماسي, فريق الاتصال الثلاثي الذي يضم روسيا, اوكرانيا و الانفصاليين, و مراقبي منظمة الامن و التعاون الاوروبي المنتشرين في الميدان, و بالفعل قلت حدة الصراع. [1]

لكن الجواب الروسي يصرح من جانبه ان الحكومة الروسية اختارت الاعتدال في مواجهة استفزازات كييف في دومباس و القرم, التي اصبحت في الواقع ارضا روسية بعد تغيير النظام في 2014, و ان الحكومة الروسية تعرب عن تأييدها لضرورة العمل بصيغة نورماندي كأداة رئيسية لحل الصراع في شرق اوكرانيا, و مواصلة اتفاقيات مينسك الثانية, على الرغم من ان الحكومة الاوكرانية لم تفي بعد بالتزاماتها, و لم تغير في دستورها شيئا. [2]

لكن رهانات كبيرة تقوم حاليا على موضوع اعادة ادماج المناطق الشرقية في اوكرانيا, و الخطر يكمن في امكانية بقاء الاوضاع على حالها (مولدوفا, القوقاز, تعثر مسالة الانتخابات الحرة في دونباس), و يمكن ان يحدث نفس الجمود الان في وضعية القرم. لكن الظرف الراهن له ميزة استراتيجية على الاقل من المنظور الروسي, لما فشلت روسيا في تحييد أوكرانيا, و الذي لم يرد الغربيون مناقشته مع موسكو باسم الحق السيادي للدول في اختيار تحالفاتها, يجعل من المستحيل كما هو الوضع في جورجيا, ان تنضم اوكرانيا الى الحلف الاطلسي, ما سيساهم في اضعاف هذه الدولة امام روسيا. [3]

العجز الاستراتيجي الاوروبي في اوكرانيا يظهر ايضا في المحادثات الصعبة بين الاعضاء التي جرت في ديسمبر 2016, و التي انتهت بضم اوكرانيا الى معاهدة التجارة الحرة دون دعم, بمعنى دون ترشيح اوكرانيا للانضمام الى الاتحاد الاوروبي او حتى وعدها بحدوث ذلك مستقبلا. بل اكثر من ذلك عدم برمجة مساعدات او دعم مالي لهذه الاخيرة, و في المجال الامني لا توجد وعود او ضمانات بتدخلات عسكرية لحماية سيادة اوكرانيا على كامل ترابها. ربما يعود هذا التقلص الى الاستفتاء الشعبي الذي اجرته هولندا في بداية السنة, الذي صوت ضد دعم و انضمام اوكرانيا الى الاتحاد الاوروبي, مما جعل موقفها

[1] - Pascale Joannin, **La Russie et L'occident**, op. cit.
[2] - Pierre- Emmanuel Thomann, **Les relations entre l'union européenne et la Russie** : une autre voie est nécessaire depuis l'élection de donald trump, eurocontinent, 20.01.2017.
[3] - Pascale Joannin, **La Russie et L'occident**, Ibid

حاسما حتى في رفض اتفاقية التجارة الحرة. لكن استطاعت اوكرانيا ان تحصل على رفع التأشيرة على مواطنيها للدخول الى دول الاتحاد الاوروبي, باستثناء اصحاب جوازات السفر الروسية.[1]

لو اخدنا العامل الدبلوماسي بعين الاعتبار, لوجدنا ان المساعي الاوروبية سواء لحل الازمة الاوكرانية, او لتهدئة الاطراف المتنازعة في الميدان, او لاسترجاع العلاقات مع روسيا, لا يزيد نشاطا و تفاعلا عن نظيره العامل الامني العسكري. دبلوماسيا تبدو روسيا انشط في هذه الازمة بالرغم من انها طرفا فيها, فهي لم تتوقف يوما عن المطالبة بسماع عروضها و مقترحاتها, ايضا المطالبة بالتعاون و التناسق وفق اتفاقات عادلة تحترم حق كل الاطراف بالتساوي, فهي لحد الان تنادي كبيف للحوار و التعاون بكل الاشكال للخروج من هذه الازمة, و لا تطالب روسيا باكثر من ضمانات قانونية, ثم الالتزام بها و عدم الخروج عنها, و ان كان لطرف ان يتعدى على الاخر و على القانون الدولي و على المعاهدات المبرمة و لو بطريقة غير مباشرة, فلماذا يعاقب اخر فقط لأنه قام بالرد على الخطأ الذي ارتكب في حقه, كما ان روسيا و لحد الساعة تطلب الحوار مع شركائها الاوروبيين.

هناك من النخبة الباحثة من يرى في ميلاد الازمة في اوكرانيا و تصعيدها استخدام للفتنة القومية من طرف الغرب, الذي لعبها بمهارة في الوسط الشعبي الاوكراني لمصالحه الخاصة, و ان كل هذا التحريض على الكراهية العرقية و الفتن هي عدوان حقيقي موجه لموسكو, و ما اوكرانيا إلا وسيلة للوصول الى روسيا. النتائج السلبية ستتحملها اوكرانيا هذه حقيقة, لكن الأسوأ من ذلك ان امريكا ستبحث في دول الكومنولث على ضحية اخرى سنعرفها مستقبلا, اما حاليا, الضحية الاخرى في المسالة و التي لم تنل إلا الخسائر السياسية و الاقتصادية و الانقسام: هي الاتحاد الاوروبي.[2]

المطلب الثالث: تباين المواقف و النجاحات في الازمة السورية

ظلت مضاعفات الصراع السوري في تزايد منذ ان اصطدمت سلطة الرئيس بشار الاسد بموجة الربيع العربي عام 2011, و بما ان روسيا تسير دائما بخطوة اسبق نحو الأمام مقارنة بالغرب, فقد جعلت من الثورة السورية قضية خاصة بها, على غرار مثيلاتها منذ الشرارة الاولى, و اعلنت عن موقفها المساند للنظام القائم و رفضها القاطع لأي تدخل خارجي, بهذا تكون قد غلقت الممر امام الغرب لتتولى زمام

[1]– خيري حمدان, مرجع سابق.

[2]– **الوضع في اوكرانيا– نذير لبلدان رابطة الدول المستقلة**, الاخبار العربية, موقع سبوتنيك, 11.05.2014 .
https://arabic.sputniknews.com/arabic.ruvr.ru/2014_05_11/272239207

الامور بنفسها, و كانت حجتها في ذلك, استدراك غيابها في القضية الليبية التي تولاها الغرب, و تصحيح خطا تصويتها بالموافقة على قرار الامم المتحدة رقم 1973 الذي فوض حلف شمال الاطلسي بالتدخل لإسقاط نظام القائد معمر القذافي, و الحالة السيئة التي وصلت اليها الاوضاع في ليبيا و انعكاساتها على منطقة الشرق الاوسط التي لم يستطع الغرب فرزها الى يومنا هذا.[1]

كان بوتين تحركه بعض المبادئ الاساسية و الثابتة: دعم الحكومة الشرعية القائمة (عدم قبول تغيير النظام بالقوة او بالشارع, تجنب ان يكون مصير بشار الاسد كمصير القافي الذي اطيح به في 2011 بتدخل قوات الحلف بتفويض من مجلس الامن الدولي), محاربة الارهاب الاسلامي السني (لتجنب العدوى للمسلمين القوقاز), مصالح روسيا في الشرق الاوسط (الحفاظ عليها كونها قوة اقليمية), و بشكل عام وضع روسيا كقوة عالمية سياسية و عسكرية (توازن القوى مع الغرب).

تتوتر المواقف بين الدول الاوروبية بسرعة كبيرة كلما تعلق الامر بالملف السوري, حريصين على اظهار معارضة ديمقراطية لاستبدال نظام بشار الاسد, و ضد روسيا التي تدافع عن الحكومة القائمة. ففي صيف 2013 عندما بدا بشار الاسد في استعمال ترسانته النووية في قمع الشعب, و لما الغرب خططوا لمشروع التدخل العسكري في سوريا (ادارة اوباما اعتبرته تجاوز للخط الاحمر , و فرنسا اعلنت استعداداها للتحرك عسكريا, بالرغم من انسحاب المانيا و بريطانيا), استطاع الرئيس بوتين تحقيق نجاح كبير في اقتراحه لنزع السلاح الكيميائي في سوريا, متجنبا بذلك التدخل العسكري الغربي (الذي لم تكن ادارة اوباما ترغب في القيام به من باب التحفظ الاستراتيجي) و استطاع تحقيق هدفين هما: اظهار روسيا كقوة مسؤولة (السيطرة على تفاقم الوضع), و اطالة مدة حكم النظام السوري.[2]

و في 2014 عندما بدا تنظيم الدولة الاسلامية في العراق و الشام في التوسع عبر اراضي الجوار و حتى في قلب دول الغرب, مما جعله يشكل تهديدا مشتركا, توحد الغرب مع القادة العرب و روسيا. فبدأت امريكا و حلفائها في قصف المراكز الاسلامية في العراق و سوريا (لم تشارك فرنسا و بعدها روسيا إلا في منتصف 2015), لكن ما يتعدى التهديد المشترك و تحالفهم ضده, هو تباين المواقف بين روسيا و اوروبا بخصوص مصير بشار الاسد, لكن هذا الاختلاف لم يستر ما اظهره هذا الصراع من عودة قوية

---

[1]– حسني عماد حسني العوضي, **السياسة الخارجية الروسية تجاه الازمتين السورية و الاوكرانية**, دراسات مركز بيروت لدراسات الشرق الاوسط, لبنان, 03.06.2016.

[2] - Pascale Joannin, **La Russie et L'occident**, op. cit.

لروسيا الى طاولة المفاوضات كطرف رئيسي, مثل عودتها اثر مفاوضات الازمة النووية الايرانية (اتفاق 14.07.2015), دون اغفال ان هذا الصراع كان هدفا حققت من خلاله مصالحها. [1]

لكن السياسة الروسية كانت لها دوافع اخرى ضمنية هي في غنى عن التصريح بها مثل: كون سوريا من اكبر مستهلكي السلاح الروسي, كما تتواجد بها قاعدة بحرية روسية تطل على البحر الابيض المتوسط, مما يجعل سوريا فضاء استراتيجي و حيوي روسي. كما تعتبر روسيا الازمة السورية فرصة سانحة لإبراز مهاراتها السياسية و الدبلوماسية القيادية, للوصول تدريجيا الى البرهنة للعالم كله ان النظام العالمي في مرحلة تحول فعلي الى نظام متعدد الاقطاب, اين يظهر فيه الدور الروسي جليا او على الاقل لا تكون القيادة للولايات المتحدة بمفردها. [2]

لم يكن للاتحاد الاوروبي برنامج فعلي لمواجهة الازمة السورية سوى التصريحات الاستنكارية و الادانة لطرف او لأخر, حتى قادتهم اعترفوا ان ما قدموه لا يعبر عن ما يرغبون في القيام به, و في الابقاء على العقوبات المفروضة على روسيا, الكل يرى الان انها اصبحت غير مجدية و محل جدل و تباين بين الاطراف الاوروبية, و حتى الحلف الاطلسي لم يتدخل لفك الازمة, ربما لم تستخدمه اوروبا لعدم التورط في خسائر مثل ما حدث في ليبيا, و كانت حجتهم الوحيدة ان قوات الحلف لو تدخلت كانت ستؤثر سلبا على الاوضاع في البلاد, و ستزيد من حجم الخسائر, و ان الحياد احيانا يكون افضل من التدخل. [3]

المثير في الامر ايضا هو اصرار الرئيس بوتين على موقفه منذ البداية, دون تردد بالرغم من وقوف كل الاطراف الدولية المهمة ضده و التي يمكن ان تكون لها انعكاسات سلبية على بلاده هو في غنى عنها. و بالفعل اصبحت روسيا الفاعل المحوري في هذه الازمة, و العضو المهم في مؤتمرات جوناف الاوروبية التي تعقد بشان دراسة الحلول الممكنة للمسالة, و استطاعت الدبلوماسية الروسية فرض مبدأها على الاتحاد الاوروبي بالرغم من رفضه القاطع له, و هو لا امكانية للحل السياسي في سوريا او رحيل بشار الاسد إلا بعد القضاء على الارهاب. كما استطاعت السياسة الروسية و بحكمة تجاوز كل التباينات مع مختلف الاطراف المعنية من بعيد او من قريب, التي يمكن ان تواجهها في طريقها لحل الصراع السوري,

[1] - Pascale Joannin, **La Russie et L'occident**, op. cit.

[2] – حسني عماد حسني العوضي, مرجع سابق.

[3] – خيري حمدان, مرجع سابق.

و تهدئة الرأي العالمي من خلال مؤتمرات جوناف 2 و جوناف 3, إلا مع الشريك الاوروبي الذي يبدو ان سياسته الخارجية ليست على استعداد للتعاون معها كفاعل دولي مهم.[1]

كما اعرب الاتحاد الاوروبي ان ليس له استعداد من الناحية السياسية لتقاسم اعباء اعمار سوريا بعد الحرب, بالرغم من المساعدات الانسانية التي يقدمها هذا الاخير عبر الهيئات الاممية, و بالرغم من انه يشارك في المجموعة الدولية لدعم سوريا, لكنه لم ينخرط مباشرة في المفاوضات الاخيرة التي اجريت باستانا في كازاخستان التي شارك فيها: الدول الثلاث الضامنة لوقف اطلاق النار بسوريا (روسيا, تركيا, ايران), وفد الحكومة السورية, و فصائل المعارضة المسلحة السورية.[2]

عندما تم الاتفاق على وقف اطلاق النار, رأت موسكو انه الوقت المناسب لسحب قواتها العسكرية من سوريا مادامت قد حققت الى حد كبير اهدافها المبرمجة, و ان الجهود الروسية سيعاد تفعيلها و تكثيفها للتحضير للمرحلة الموالية, و هي المرحلة الدبلوماسية التفاوضية لإحلال السلام و انهاء الصراع في سوريا. و ربما كان قرار موسكو سحب قواتها بعد انهاء المهمة قرار صائب ميزها نوعا ما في الساحة الدولية, فظهرت بالشكل اللبق الدبلوماسي الذي يحترم الغير, و لم تكن لها أي اطماع بترك قواتها في مكان الصراع لفترة اطول, ربما كانت هذه خطوة للتقرب من الشركاء الاوروبيون, او كانت رسالة للعالم ان روسيا ليست كالولايات المتحدة, و الكل يعلم كم بقيت القوات الامريكية في افغانستان و العراق.[3]

استطاع الروس فرض وجودهم كزعماء ائتلاف ملتزم بمحاربة الارهاب الاسلامي في سوريا, بالتنسيق مع ايران كشريك استراتيجي و معها تركيا, التدخل العسكري الروسي في سوريا جنب هذه الاخيرة الانهيار, كما نجح في جعلها تلعب دور المنطقة المحصلة للإرهاب, و الواقية للمناطق المجاورة من انتشاره لوقف تهديده. ليس فقط ضد تنظيم الدولة الاسلامية, بل ضد جميع المتمردين في الحركة الاسلامية كجبهة النصرة التي غيرت اسمها الى جبهة فتح الشام, و بالتالي الدفاع عن امن و سلامة كل التراب الاوراسي. المبادرات الروسية لوقف اطلاق النار ساهمت في وقف الاقتتال في سوريا, و استئناف البرنامج السياسي للمفاوضات. في حين كان التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة قد اتجه نحو استراتيجية معاكسة, بدعم الجماعات المسلحة في المعارضة المعتدلة, لمحاربة النظام القائم قبل محاربة ما يسمى بتنظيم الدولة

---

[1]– حسني عماد حسني العوضي, مرجع سابق.

[2]– **اوربا غير مستعدة لإعادة اعمار سوريا**, اخبار العربي, موقع سبوتنيك, 10.10.2017.
https://arabic.sputniknews.com/world/201710101026672995

[3]– حسني عماد حسني العوضي, المرجع نفسه.

الاسلامية, في النهاية حكومات التحالف مع الولايات المتحدة انتقلوا من موضع الزعيم المستقبلي في الازمة السورية الى موضع المراقب.[1]

المبحث الثالث: مشوار علاقات الاتحاد الاوروبي و روسيا على مفترق الطرق

لم تدفن بعد انعكاسات الحرب الروسية على جورجيا عام 2008 و اثارها السلبية على روسيا عند الاوروبيين, حتى جاء الربيع العربي 2011, و الثورة السورية, و نظام بشار الاسد الذي ينظر له الغرب على انه قامع للحريات المعارضة الثائرة و قاتل للمدنيين, فكان رد اوروبا و الغرب عموما بالإدانة المزدوجة للنظام السوري و لشخص بشار الاسد. و بما ان القاعدة تقول صديق عدوي يصبح عدوي, فكان بوتين الشخص و روسيا بلادا عدوا للغرب, بسبب دعمه للأسد و النظام القائم في سوريا, فاستنكره الاوروبيون بدوره, و أصبح التوتر و البرودة شعار العلاقات بين موسكو و الغرب. و في 2014 اصبحت روسيا مرادفة للأزمة الاوكرانية, من جهة تمكنت روسيا من كسب الرهان و استرجاع شبه جزيرتها القرم التي كانت قبل 1954 جزءا من ترابها, و قبل 1991 كانت تحت الاتحاد السوفيتي, لكن من ناحية اخرى تسببت لها في اكبر الازمات حدة منذ الحرب الباردة في علاقاتها مع الغرب, و الاتحاد الاوروبي على وجه الخصوص بالنظر الى حجم الشراكة و التبادلات بين الطرفين. رأى هذا الاخير ان ضم القرم لروسيا فيه خرق للقوانين الدولية و استنكر و ادان السلوك الروسي, فالتحق بالولايات المتحدة لفرض مجموعة من العقوبات الاقتصادية واسعة النطاق, اما روسيا ترى ان القرم غالبية سكانه روس, و كان عليها حماية مواطنيها من التمييز و القهر الذي تعرضوا له, و انها لو لم تفعل ذلك لكانت شبه جزيرة القرم بقيت تحت السلطة الاوكرانية, و كانت ستواجه حتما نفس مصير دومباس و الجمود الذي يميزه. و هنا زادت حدة التوتر بين الطرفين و دخلا في ازمة ضاربة, و بدلا من صنع السلام يواصلان تبادل اللوم و العقوبات, و اصبح غير واضح كيف ستسير الجهود الدبلوماسية في المستقبل القريب.[2]

المطلب الاول: استدراك الوقت الضائع و خلق قطب منافس لأمريكا

يتوافد الخبراء من مختلف الدول الاوروبية و الروسية لاستشراف سيناريوهات مستقبل اوروبا مع جيرانها في الشرق و على رأسهم روسيا, هو عمل مثير للاهتمام, موجه لصانعي السياسات لإعطائهم مسالك للتفكير توصلهم الى منافذ مرضية للخروج من الازمة, مع الاخذ بعين الاعتبار قدرة و ارادة بروكسل

[1]- Pierre- Emmanuel Thomann, **Les relation entre l'union européenne et la Russie**, op. cit.

[2]– ايفان غروشكوف, **حرب باردة بلا قواعد...تهدد روسيا**, مقالة لصحيفة روسيا ما وراء العناوين, 17.12.2014 .

و موسكو في المساهمة في ذلك. و مع وجهة نظر المحلل ديميتري سوسلوف نقف هنا امام سيناريو المصالحة لإنهاء الازمة من فوق, و هو الاكثر تفاؤلا و بالتأكيد الاكثر احتمالا, هنا يتحمل النظام الروسي وطأة الازمة الاقتصادية الناتجة عن العقوبات الغربية, و التي ستؤدي حتما الى اصلاحات ليبيرالية اقتصادية و ديمقراطية سياسية, تمهد الطريق للتقارب مع الاتحاد بمعنى مصالحة الكيانين, و تضافر الجهود ليس فقط لحل الصراعات في اوروبا, بل لمواجهة التهديدات المشتركة ايضا.[1]

اما عند الرجوع الى عامل الطاقة و مدى اهميته للطرفين, فان مستقبل العلاقات في هذه الحالة يكون بتطور او على الاقل بقاء العلاقات في هذا المجا على حالها بين الجانبين, دون تحقيق تقدم في شراكات جديدة او تدهور اضافي في فسخ اتفاقات الطاقة الساري العمل بها, في انتظار حل دبلوماسي يتم من خلاله فرز الوضع في الشرق الاوكراني. و هنا سينتهز الطرفان الفرصة للتقرب من جديد, نظرا للحاجة الملحة لكل طرف في مواصلة المشوار الاقتصادي مع الاخر, و ستكون هنا الولايات المتحدة الخاسر الاكبر في هذه اللعبة, لان اهدافها كلها كانت منذ البداية تنصب في كيفية ابعاد الاتحاد الاوروبي عن روسيا, و افشال الشراكة و التعاون القائم بينهما, كي تستفرد بروسيا و تستضعفها و تتمكن من تحقيق مصالحها في شرق اوروبا, و سيشجعهما على ذلك التوجه الجديد للنظام العالمي نحو التعددية القطبية, اين كل المؤشرات السياسية الدبلوماسية و العسكرية تؤكد تراجع الدور الامريكي في الساحة الدولية.[2]

و في ظل العقوبات المفروضة مؤخرا على روسيا من الولايات المتحدة, و التي تختلف عن سبيقاتها التي فرضت في 2014 كانت بقرار من الولايات المتحدة, الاتحاد الاوروبي, كندا, استراليا, النرويج و السويد, مراعين فيها المصالح الفردية لكل طرف عن تشاور و تراض, اين العقوبة كانت موجهة لروسيا وحدها و ليس للأطراف المشاركة في القرار. على خلاف العقوبات الامريكية الاخيرة التي اثارت ردود افعال الدول الأوروبية الكبرى, لأنها مست شركات اوروبية عملاقة تنشط في روسيا منذ سنوات عديدة, و مصالح خاصة بالأوروبيين الحريصين على ضرورة استمرار علاقات الطاقة مع روسيا, على الاقل للفترة الحالية في انتظار التحضير الجيد للبديل عن الغاز الروسي.[3]

---

[1] - **Quel avenir pour les relations entre l'UE et la Russie ?**, article, toute l'europe, 15.06.2015.

[2] – ايمان ابو زيد مخيمر, **مستقبل العلاقات الاوروبية الروسية في ضوء ازمة القرم**, مشاريع بحثية, قسم الدراسات و العلاقات الدولية, المركز الديمقراطي العربي, نوفمبر 2014.

[3] – شيري عاطف, **الاقتصاد الروسي في ضوء العقوبات الامريكية**, بحث, المركز المصري للأبحاث و الدراسات الاستراتيجية, 14.08.2017 .

هذا ما يجعل الباحثين يعتقدون ان فترة التناغم و التلاحم بين الولايات المتحدة و الاتحاد الاوروبي قد ولت, فاسحة المجال لعديد التباينات و لأنانية اقتصادية امريكية ساطعة, و في نفس السياق ظهر تباين اخر بداخل الاتحاد بين اطراف كانت تدعوا من البداية الى عدم تمديد العقوبات كثيرا, و ان الوقت حان لخلق فرص للحوار و التفاوض مع روسيا, و اطراف اخرى كانت تتق في امريكا, و ترى انها تعمل الى جانبها للمصلحة الاوروبية التي لم يحترمها ترامب. و هنا يتوقع الباحثون ان العقوبات الامريكية لن تضر بالاقتصاد الروسي بالحجم الذي يتصوره البعض, لان الاستثمارات الغربية و بالأخص الامريكية ضعيفة جدا في روسيا, و بالتالي لن تؤثر كثيرا عن حركة الاموال, كما ان موسكو اليوم تعول على شركاء جدد كالصين, الهند, تركيا, و اسواق التجارة الحرة في الجوار ضمن التحالف الاقتصادي الاوراسي, بالإضافة الى التفوق الذي احرزته في الشرق الاوسط, و في العالم كله في القضية السورية, و قضية كوريا الشمالية, ما يسمح لها بالتهرب من تلك العقوبات سواء بطرق معتدلة او بطرق ملتوية. [1]

المطلب الثاني: تغييرات في المراوغة ضمن مباريات باردة

ان دراسة السيناريو الثاني في ترتيب التفاؤل لا يقوم على الصورة المثالية السابقة, و انما على الركود لفترة طويلة لا مفر منه, و فيما بعد تأتي البراغماتية, الاتحاد الاوروبي و روسيا في البداية لن يتمكنا من خلق الفرص للخروج من هذه الازمة, و سيكون هناك حتما 10 سنوات من العلاقات ضائعة بين الطرفين, كما ان تهدئة العلاقات يتوافق اكثر او اقل مع رحيل الرئيس بوتين, الذي سيكون حتما في 2024, لأنه سيكون قد وصل الى نهاية عهدته الرابعة و غير المتجددة. عندها سيركزان الطرفان على مصالحهما المشتركة, و في هذا السياق و في انتظار حدوث ذلك هناك اتفاقيات للتجارة الحرة, التي تدرس انضمام شراكة بلدان اوروبا الشرقية التي لم تعد مجبرة على الاختيار بين بروكسل و موسكو. [2]

بطبيعة الحال لا يجب التغافل او التقليل من تأثير القوى الاخرى كالولايات المتحدة الامريكية, او الصين, في تطور العلاقات بين الاتحاد الاوروبي و روسيا. فحسب الخبراء الولايات المتحدة ستعمل على تقوية العمل الاطلسي الاوروبي مما سيثبت المواجهة مع روسيا, و يجعل الخروج من الازمة غير محتمل. اما الحكومة الروسية فإنها ستميل الى الاقتراب من الصين و الهند, و تدعيم الشراكة الاوروبية الاسيوية لتجنب عزلتها على الساحة الدولية. و يوصي الخبراء ايضا بوقف العقوبات المالية التي يعتبرونها ذات

[1]- شيري عاطف, **الاقتصاد الروسي في ضوء العقوبات الامريكية**, مرجع سابق.

[2] - **Quel avenir pour les relations entre l'UE et la Russie ?**, op. cit.

نتائج عكسية, حيث انها ستدفع بروسيا نحو الشرق و ليس للاستسلام. بالفعل نقف امام توصيات الخبراء التي تلخص الوضع جيدا, و خاصة الحالة المالية المتواجدة فيها روسيا, و تكشف لنا طبيعة الملفات التي تطرح في اجتماعات المسؤولين الاوروبيين مع نظرائهم الروس, و منه لا تفاؤل في الخروج من الازمة. لأنه بالاستماع الى الخبراء نفهم ان موسكو لا تخاف من ميزان القوى, و على استعداد لمواجهة طويلة جدا, و هي تمارس الخداع بإتقان رهيب. باختصار, هناك فجوة عميقة تفصل موسكو عن بروكسل من حيث القيم و المبادئ, اوروبا بطبيعة الحال تدين بحصتها من المسؤولية ازاء الحالة الراهنة, و يعاب عليها على الاقل عدم احترافية دبلوماسيتها, و هي تواجه الان تحديا حاسما لمستقبلها. [1].

فمن المرجح ان يكون الحوار الروسي الاوروبي طويلا و صعبا, و يرى المراقبون ان قطيعة العلاقات بين الطرفين تعيق نجاح التفاوض, لذلك تفضل روسيا العمل الثنائي مع الدول الاوروبية الكبرى في الاتحاد, بدلا من الجري وراء اتفاقات عامة, بقيود و محددات غير مريحة مع دول الاتحاد كلها, و هذا الشكل من التعاون يحتم الاخذ بعين الاعتبار 27 دولة اوروبية في القضايا المتصلة ببناء الفضاء الاقتصادي, و القانوني المشترك, لكن اوروبا لم تنتبه الى ان مصالح روسيا تغيرت, بالضبط كما تغيرت سياساتها بشان تعاونها مع الاتحاد, و يرى الخبراء ايضا ان اوروبا تمادت في عقوباتها و الان لا يمكنها التراجع لان عملية تخفيف هذه العقوبات قد يؤدي الى مشكلتين: الاولى دخول اوكرانيا في حالة من اليأس و الضعف و فقدان مكانتها الاوروبية, دون التوصل لحل الازمة المشتعلة على حدودها الشرقية, و الثاني في حال لم تنفذ روسيا بنود اتفاقية مينسك, سينجر عنه انقسام بين اعضائه و اضعاف الاتحاد ككل. [2]

اما الاقتصاد الروسي الذي تجاوز مرحلة الخطر و الركود و عاد للنمو بحسب ما تظهره البيانات الاقتصادية, و اصبح نمو حجم الناتج المحلي الاجمالي لسنة 2017 يماثل نمو اقتصادات الدول المتقدمة, فيمكن له ان يصمد امام هذه العقوبات, و تتمسك موسكو بموقفها.

[1] - **Quel avenir pour les relations entre l'UE et la Russie ?**, op.cit.

[2] – خيري حمدان, **تمديد العقوبات الاوروبية ضد روسيا...الاثار و التداعيات**, مرجع سابق.

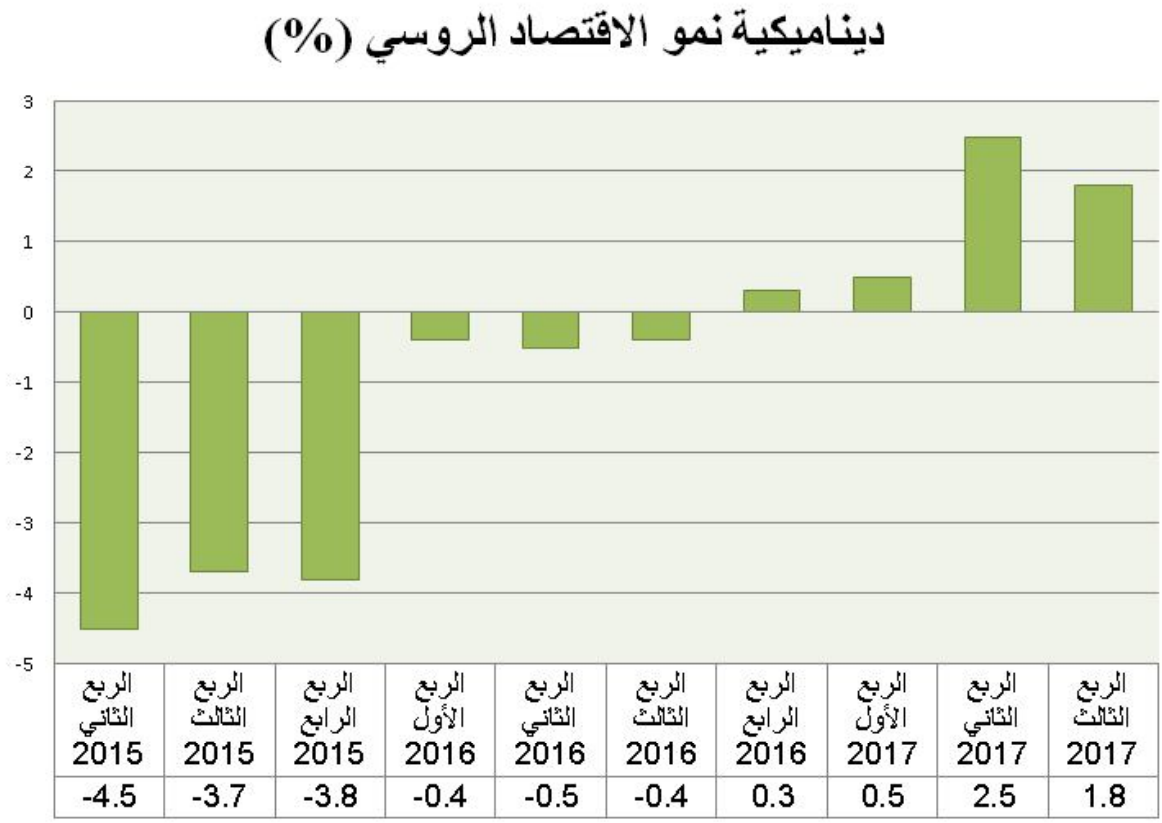

ملحق5: بيان الاقتصاد الروسي خلال السنوات الاخيرة

يبدو ان الطريق مسدود امام رفع العقوبات, كما يظهر واضحا ايضا إتجاه المجابهة بين الطرفين, و حالة التصاعد التي تعرفها هذه المجابهة من خلال الحرب الاعلامية التي يشنها كل طرف ضد الاخر, حيث من المحتمل ان يكونا اعداء للعقود القريبة القادمة و لو تصالحا. و من جهتها روسيا تبحث عن شركاء جدد, و تغلق ملفات المشاريع المشتركة مع الغرب. و كان التخلي عن مد انبوب الغاز المعروف بالسيل الجنوبي اكبر مثال على ذلك, و اختار بوتين التصريح بان روسيا لا تستطيع مواصلة تنفيذ مشروع السيل الجنوبي, في تركيا, كرسالة للغرب ان حاجة الاقتصاد التركي للغاز, و استعداد روسيا لزيادة ضخها من خلال توسيع انبوب السيل الازرق, ستجعل كلا من الجانبين شريكين لمدة, حبث الطاقة و الاقتصاد الروسي لاحقا لن يعتمد على الزبون الاوروبي فقط كما في السابق.[1]

سيسير الغاز ايضا و بكميات اكبر نحو الصين, و هذا من نتائج قمة منتدى التعاون لمنطقة المحيط الهادي الاسيوية (ابيك), التي احتضنتها بيكين في نوفمبر 2014 و المكملة للاتفاقية التي وقعت في ماي

[1]– ايفان غروشكوف, مرجع سابق

2014 حول ضخ الوقود الى الصين عبر الخط الشرقي "قوة سيبيريا", تقرر فيها زيادة هذه الشحنات الى الضعف تقريبا عبر الخط الغربي "الطاي". كما اظهرت المباحثات استعداد رجال الاعمال الصينيون للاستثمار بقدر كبير في الصناعة الروسية, و لتزويد السوق الروسية بالمنتجات الزراعية, و الذي تم بحثه في قمة البريكس بالبرازيل في جوان 2014. هذه الخطوات كان على روسيا ان تجريها من قبل كي لا تترك الفرصة لأي متعامل معها ان يقيد من حريتها الاقتصادية, كما كان الحال مع اوروبا. و هذه العلاقات مع الشركاء الجدد مهمة لها في ظل الظروف التي تعيشها الغرب, و التي يعتبرها المحللون حرب باردة بلا قواعد على عكس الحرب الباردة الاولى, التي اعترفت فيها الولايات المتحدة بمناطق النفوذ السوفيتي, و اعترف الاتحاد السوفيتي بمناطق نفوذ امريكا. [1]

المطلب الثالث: الفراق بالتراضي و الدروس المحصلة

السيناريو المحتمل في هذه الحالة هو سيناريو من تأصيل المواجهة, مع البقاء على الوضع الراهن و ميلاد المنطقة العازلة, و هو تصاعد غير مرغوب فيه للازمة. جوهر هذا الاحتمال هو ان الخمس عشرة سنة المقبلة لن تغير اللعبة بين اوروبا و روسيا, اين العلاقات ستكون جامدة في "سلام بارد", كما يقول الخبراء ان الترابط الاقتصادي يمنع الوضع من التدهور اكثر, و لكن عدم الثقة المتبادلة لن تؤول الى الهدوء. في ظل هذه الظروف, الدول الاعضاء في الشراكة الشرقية التي لا تزال ممزقة بين موسكو و بروكسل, سوف تعاني من تدهور اقتصادها الذي سيبقى معلقا لسنوات طويلة, اما روسيا و الاتحاد الاوروبي سيعانيان ايضا من حالة ثابتة و جامدة, بطبيعة الحال لا تساعد على الانتعاش الاقتصادي. اما في حالة تطور السيناريو السابق و تصاعده, فسيكون مرادفا للعودة الحقيقية للحرب الباردة و الى الاضطرابات و التوترات الخفية. هذا لما الاتحاد الاوروبي و روسيا يشكلان فريقين مستقلين, كل طرف على حدى في جهته الخاصة به, سيتمكنان من التغلب على مشاكلهم الداخلية, و لن يعانون من علاقاتهم المجمدة. و التحول في مجال الطاقة يصبح حقيقة في اوروبا, و سيلغي في طريقه الاعتماد الاوروبي على الغاز الروسي. في حين ان روسيا بوتين ستقوم بتحديث نسبي, يعطي للطرفين امكانية التصرف بشكل مستقل لكل طرف عن الاخر. و كما هو الحال في السيناريو السابق فان دول الجوار المباشر للطرفين ستكون كغشاء واقي يحافظ على وجود الكتلتين في منطقة عدم الاستقرار و التنافس. كما يوصي

[1]– ايفان غروشكوف, مرجع سابق.

الخبراء المقربين من موسكو و المدافعين عن مصالحها, بتجنب أي تصعيد للتوترات لأنه من المنظور العسكري لموسكو, روسيا لا تخاف المواجهات العسكرية. [1]

فتشدد و اصرار كل طرف على موقفه لا يساعد على الحوار, و يؤدي بالطبع الى افشال المساعي الدبلوماسية, و بالتالي قطع العلاقات تماما بين الطرفين, و ربما هذا ما ستسعى الولايات المتحدة الى القيام به من اجل تحقيق مصالحها, و عندها لن تستثني المعضلات اي طرف, روسيا سيتأثر اقتصادها اكثر خصوصا مع تدهور سعر النفط في الاسواق العالمية و قيمة عملتها و غيرها, اما اوروبا فعليها اعادة النظر في تحقيق امن طاقتها بعد خسارة الامدادات الروسية. [2]

اما العقوبات الامريكية الاخيرة, فيمكن لها في هذا السيناريو ان تضر بالاقتصاد الروسي فعلا, و ستعطل عجلة النمو الاقتصادي في البلاد, خصوصا وان الحكومة الروسية بالتو تستطيع ان تتجنب الخناق على اقتصادها, الذي يحاول الخروج من ازمة العقوبات الاولى منذ 2014, و بمجرد ان تحسن قليلا في الاشهر الاخيرة حتى تأتي عقوبات اخرى مضاعفة لا يستطيع اقتصادها تحملها, سيتحتم على موسكو في ظل هذه الظروف توقيف اصلاحاتها الهيكلية, بسبب ضعف السيولة المالية الناتجة عن تقلص قانون المبالغ المالية التي يمكن ان يستثمرها الامريكيون في مجال الطاقة داخل روسيا. كما ان الموقف الاوروبي يبدو غامضا و غير مفهوم, فكيف لهذه العقوبات الامريكية الانفرادية المضرة بالمصلحة الاوروبية ايضا, ان لا يكون للدول الاعضاء في الاتحاد رد موحد و حاسم لوقف الاندفاعية الامريكية و وضع حد لمرضها السياسي و ازماتها الاقتصادية المعدية, ان تخرج عن حدود بلادها و ان تتفشى في اوساط قوى كبرى اخرى كالاتحاد الاوروبي او روسيا. [3].

[1] - **Quel avenir pour les relations entre l'UE et la Russie ?**, op. cit

[2] – ايمان ابو زيد مخيمر, مرجع سابق.

[3] – شيري عاطف, مرجع سابق.

خلاصة الفصل

الاتحاد الاوروبي قوة اقتصادية مؤسساتية اقليمية و دولية لها دورها الفعال في الساحة الدولية, و روسيا دولة كبرى و بمعاييرها العسكرية هي دولة عظمى, و زاد مجال الطاقة من اهميتها, بتزايد الطلب الاوروبي على نفطها و غازها.

لكن يظل الاتحاد الاوروبي غير قادر على تجسيد التقاطعات المصلحية الجيوسياسية بينه و بين روسيا في كثير من الاحيان, بالرغم من ان العلاقات الثنائية بين الطرفين كان من المفروض ان تمثل قاعدة متينة لتغيير بناء النظام العالمي ليكون اكثر عدلا و استقرارا, و فرصة ذهبية للطرفين لقيادة القوى الصاعدة في الفضاء الدولي.

على الرغم من العقوبات الاقتصادية التي فرضها الغرب و محاولة عزل روسيا, إلا انها حافظت على استقرارها السياسي و الاقتصادي و قدر كبير من ثقة الشعب في الرئيس و حكومته, و يشهد العالم حاليا عودة روسيا للساحة العالمية مع معارضة قوية للمعسكر الغربي, من خلال تطبيق سياسة خارجية مستقلة, واعية, و متفتحة تسعى من خلالها الى: زحزحة الحكومات الغربية من فضائها الحيوي الاوراسي, و دفع الولايات المتحدة خارج منطقة نفوذها الاوروبي, و الوقوف على قدم المساواة الدبلوماسية معها. وفق استراتيجية عدم مواجهة اوروبا او الولايات المتحدة مباشرة و احتواء الخلافات, و تكوين تحالفات جديدة.

لكن لغة التنافس في معاقبة كل طرف للأخر لا يمكن لها ان تتواصل الى ما لا نهاية, فأوروبا مضطرة الى مد اليد اليها بشان قضايا اخرى كإيران و سوريا, و بسبب هذا التناقض تبقى روسيا تمثل معضلة للغرب. ربما هذا يعني ان الحكومات الغربية يمكن لها ان تتأقلم مع السياسة الخارجية لموسكو و ان الاستمرار في تجاهلها او حتى التعويل على تغييرها في القريب العاجل بات محل شك و يفضي الى طريق مسدود خاصة لو استمر عهد بوتين. و الاتحاد الاوروبي اليس الوقت مناسبا له كي يعيد صياغة سياسته تجاه روسيا للدفاع بشكل افضل عن مصالحه, و إلا فالأوروبيون سيعزلون انفسهم و يبقون كما كانوا من قبل و كما سيكونون بعد الفترة الجديدة الاتية التي ستفتح, اكبر الخاسرين في هذه اللعبة.

الخاتمة:

لو آلت الاوضاع بأوروبا الى فقدان نفوذها في شؤون العالم الاقتصادية و السياسية, فإنها ستظل لاعبا رئيسيا له وزنه العالمي. الاتحاد الاوروبي بموجب معاهدة ماستريخت له سياسة خارجية و امنية مشتركة, لكن منذ 1992 و المفاوضات جارية لتعزيز تطبيقها, و ربما الطريق مازال طويلا امامها لكي تصبح فعالة. فالاتحاد الان تمثله رئاسة برأسين و ممثل اعلى لم يرد الاتحاد تسميته وزير الخارجية, و ليس لديه سلك دبلوماسي لكن لديه سلك للعمل الخارجي, و لا يوجد سفارات و لكن وفود, و ليس لديه جيش لكن لديه سياسة امنية و دفاع مشترك.

فبالرغم من ان السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي لم تلبي التوقعات التي اثارتها, لكن قادتها يتوعدون بعدة اصول و ادوات للتعامل مع التهديدات الحالية و الفوز عليها, تدبرها الاتحاد الاوروبي اثر عملية نضجه الفكري و السياسي الطويلة. و اليوم لا تزال لديه فرص حقيقية للعمل المشترك من اجل تحسين حضوره في العالم, بإصلاح بعض المسارات التي من الضروري تطويرها, كإستراتيجية الامن الاوروبي, تعزيز دور الممثل السامي و النشاط الدبلوماسي للاتحاد, رسم سياسة جديدة تجاه دول الجوار, تقوية القدرات الاقتصادية و الطاقوية, و اخيرا اتباع نهج عملي و براغماتي في سياسة الامن و الدفاع. لكن هذا المشروع الكبير الذي ستتخذ فيه قرارات بشان تجديد او تراجع اوروبا, يتوقف على دور شعوبها في اختيار قادة دولهم, الذين سيحكمون و يترأسون ايضا المؤسسات الاوروبية, و سيلعبون دورا حاسما في تحديد خلافاتهم الداخلية التي تقرب المواقف داخل الاتحاد او تباعدها, و هو ما سيحدد مستوى طموح التكامل و الاندماج للسنوات القادمة. التحديات ليست بالهينة لتشكيل قوة اوروبية, و هي تؤثر في الشراكة عبر الاطلسية, و في التعاون مع القوى الكبرى للدفاع الافضل عن القيم و المصالح الاوروبية.

لكن الازمة الحقيقية التي يعيشها الاتحاد الاوروبي تكمن في سلوكه الخارجي اكثر من الداخلي, بدليل ان في القرن الحالي بالرغم من توطيد العولمة إلا ان النظام الدولي المتعدد الاطراف قد اصبح حقيقة, تعززت بالصعود السلمي للصين و اعادة تأكيد القوة الروسية (بالرغم من الصعوبات التي يواجهونها). هنا وضع الاتحاد استراتيجية للتكيف مع العالم الجديد, لا يريد ان يكون فيها طرفا فقط, بل يجب ان تكون له وجهة نظر سياسية و جيوسياسية, لتوطيد هذا النظام الجديد و نشر الديمقراطية فيه. و يرى ان هذا الطموح هو شرط للتوفيق بين اوروبا و شعوبها. و بما ان العالم يحتفظ بالدور المركزي للدول, فهو يرى ان الاتحاد الاوروبي بنموذجه سيقدم اطارا و اداة لا غنى عنها. و انه من الضروري تعزيز استعمال ادواته الاوروبية

من جهة و تعبئة الدول الاعضاء للعمل المشترك في البيئة الدولية من جهة اخرى. في الحقيقة الاتحاد يريد مسايرة النظام المتعدد الاقطاب ليصبح في الاخير قطب واحد ديمقراطي ليبرالي غربي, لكي لا يكون على الشعوب الاوروبية حجة على قادتهم في نقض الاتحاد او مقارنته بأنظمة مركزية اخرى, بمعنى لكي ينجح الاتحاد الاوروبي يجب ان يكون العالم كله مثله و معه.

لكن وقف الاوروبيون على حقيقة ان نموذجهم لا يمكن تصديره الى العالم الخارجي لأنه لم يستطع السيطرة على القارة الاوروبية, و تكامله الاقتصادي تسبب في انعدام الامان و الاستقرار, و ان المؤسسات الدولية لا قوة لها في فرض قانونها, حتى حدود الدول في قارتهم تغيرها القوة في عهد السلم. كل هذه الاستنتاجات, كانت نتيجة الصدمة الكبيرة لضم الرئيس بوتين في 2014 شبه جزيرة القرم لروسيا. لان اوروبا لم تهتم يوما بمعرفة الرؤية الروسية للعالم و توجهاتها فيه, او بمكانتها الاقليمية و العالمية, و لم تفهم رسائل استياءها من النظام الغربي, بل كانت تعتقد ان مشاكل روسيا تكمن فقط في التخوف من الصين و من انتشار الاسلام الراديكالي, بالإضافة الى الشكاوي من توسع الحلف الاطلسي و من نظام الصواريخ الامريكية التي لم تأخذ بعين الاعتبار, هذا يعني ان اوروبا فهمت العقيدة الروسية فهما خاطئا.

في التسعينيات لما روسيا او بالأصح الاتحاد السوفيتي لان روسيا لم تتشكل في تلك الفترة الانتقالية, لما فشلت في تسيير امورها في ظل نظام ما بعد الحرب الباردة, اتجهت نحو النموذج الاوروبي الذي لا يعني الموافقة عليه انما كان الحل الوحيد للخروج من الازمة, و لما تم ادماجها في نظام و مؤسسات الاقتصاد العالمي لم توافق لكي تكون سياستها الخارجية تابعة للغرب, بل لان الروس يؤمنون بان السيادة السياسية يكملها الاستقلال الاقتصادي التنافسي العادل. و القوة المسلحة لحمايتها من الخطر الخارجي و لتوازن القوى, مع الحفاظ على الهوية الثقافية الروسية بالتركيز على التنمية الداخلية كوسيلة للبقاء. ثم ان النخبة الروسية لم تتوقف عن التفكير في عودة روسيا الى الساحة العالمية, و ربما كقوة عظمى مثل الاتحاد السوفيتي, و هو ما يطمح له بوتين الذي يعتبر ان انهيار الاتحاد السوفيتي لم يكن نتيجة تاريخية حتمية لتفوق المعسكر الغربي, انما كان نتيجة لفشل القادة السوفييت انذاك. فروسيا لا تريد تقليد القيم الاوروبية الغربية لأنها تملك قيمها الخاصة بها, لكنها متحمسة لتقليد السلوك الدولي الامريكي بعد اصلاحه.

ثم ان اوروبا رائدة الديمقراطية و الحرية و الاستقرار و السلم و السلوك الناعم كلغة للحوار الدولي, لم تستنكر يوما الاستفزاز الامريكي لروسيا سواء في الثورات الملونة المصممة و الممولة من طرف واشنطن, التي مثلت تهديدا مباشرا على استقرار و هدوء روسيا, او عند اثارة الرأي العام الاوكراني ضد نظامه في

2013 و بالتالي ضد روسيا, بخصوص اتفاقية التجارة بين اوكرانيا و الاتحاد الاوروبي, بالرغم من ان اوكرانيا تعتبر منطقة نفوذ لروسيا, ثم ان الدولتين يجمع بينهم اتفاق تجاري و نظام رفع الرسوم الجمركية بين الشرق الاوكراني و روسيا, و هو ما يمثل خطأ اقتصادي كبير من طرف اوروبا, بالأخص انها كانت تعيش ازمة مالية لا تسمح لها بمساعدة كييف لتخطي ازمتها, ان لم تكن نواياها الحقيقية الوصول الى روسيا عن طريق مناطق نفوذها بالقوة الناعمة المكملة للتخطيط الامريكي. كما كان الاتحاد يمر بأزمة توسع اوروبية مفرطة اوقفت مشاريع توسعه, و خلقت ازمة توافق بين دوله في قضايا اوروبية و دولية, و الدليل على ذلك ان كييف الان تعيش ازمة كبيرة, و بروكسل تحت ضغط بعض دولها و شعوبهم التي رفضت انضمام اوكرانيا الى الاتحاد او حتى مساعدتها ماليا, لم تفعل لها شيء من غير اتفاق تجاري يخدم المصلحة الاوروبية اكثر من المصلحة الاوكرانية, او رفع التأشيرة عن الاوكرانيين لدخول اوروبا لجلب السواح و رجال الاعمال الأوكران الذين تحتاجهم خير من اكتظاظها بالمهاجرين غير الشرعيين.

كما لم يتوقف الغرب ايضا عن دفع قوات الحلف نحو حدود روسيا الغربية, و رغبتهم في تنصيب نظام الدفاع الصاروخي الامريكي بحجج غير مقنعة. هذا يعني انه من غير المفاجئ ان تتمرد روسيا على الغرب في اوكرانيا, ما دامت ترى ان الاتحاد الاوروبي يمثل تهديدا لا يقل عن التهديد الامريكي. حتى تحليلاتهم لمقارنة مجال القوة بين روسيا و الغرب, فمن جهة كل احصائياتهم الرقمية تشير الى تفوق الغرب في الاقتصاد و التكنولوجيا و الانفاق العسكري, لكنهم لا يتوقفوا عن استفزاز روسيا ثم يقنعون انفسهم انه يجب ان يحذروها, كل هذه الضغوطات ولدت في الاخير تمرد الضعيف الذي لا يبحث عن هزم العدو لأنه اقوى منه, لكن لإحراجه على ارضه و هو ما فعلته روسيا في القرم.

الرد الاوروبي على الانتهاك الروسي لأوكرانيا كان بفرض عقوبات قاسية لكي لا تقوم بعدوان اخر, او ربما لإضعاف النظام الروسي و الاطاحة به, او ربما لسحب قواتها من اوكرانيا و ارجاع القرم...المهم ان النتيجة المنتظرة لم تظهر لحد الان. فالغرب خطأ في تعامله مع روسيا على انها صربيا في التسعينيات, ليس لان روسيا قوة نووية, بل لان الشعب الروسي بثقافته و عقيدته لا يحلم ان يكون جزءا من المشروع الاوروبي. نظام العقوبات نجح في اعطاء النتائج لكن بشكل اخر, جعلت اهداف اوروبا الطويلة المدى محدودة, بعد ان خططت ليصبح التنافس الجيوسياسي في اوروبا الشرقية يقتصر على المجال الاقتصادي و الاجتماعي, الذي لم تخترقه روسيا إلا بعد استفزازها و الاحساس بالخطر الذي يهدد امنها و استقرارها. كما ان العقوبات ساعدت بوتين على عزل روسيا عن الغرب لصالحه و ليس عن باقي العالم, و زادت

من شعبيته في الوسط العام الروسي الذي اتحد معه ضد التآمر الاوروبي الغربي, و خبأت ضعف الاقتصاد الناجم عن تقلص المدخولات, لكنها زادت من التنافس العسكري الروسي مع الغرب, دون الاشارة الى الانعكاسات السلبية لهذه العقوبات على النظام العالمي, من انقسامات الى معسكر مؤيد للغرب يرى كل من يتعامل مع روسيا هو ضد الغرب, و معسكر اخر من المستعمرات السابقة للدول الاوروبية, مع الدول التي عاشت الحظر و الحصار, و الدول التي سئمت هيمنة الولايات المتحدة و حليفتها أوروبا على العالم. بغض النظر عن تدبدب اقتصاد بعض الدول في اسواق المال و النفط العالمية.

فبالرغم من ان الاتحاد الاوروبي نجح في جمع مواقف الدول الاعضاء في مواجهة روسيا بقوة, إلا انهم لم يفعلوا كذلك لرسم استراتيجية للوضع الحالي تأخذ بعين الاعتبار التغيرات الجيوسياسية في اوروبا, و تعزز استمرار النموذج الاوروبي خصوصا و انهم مقتنعون بسموه و ليسوا على استعداد لتقبل البدائل الاخرى. و لكي ينجح الاتحاد الاوروبي في مواجهة الازمة, يجب عليه ان يفهم ان انتهاك روسيا لسيادة اوكرانيا لا يمثل بداية ازمة نظام اوروبي في مرحلة ما بعد الحرب الباردة, بل هي المرحلة الاخيرة في ازمة اوروبية روسية دامت طويلا. و يجب ان يتخلى عن مبدأ التعامل مع روسيا على انها دولة من دول الاتحاد الاوروبي, لان روسيا لا تنتمي الى الاتحاد و لا تريد الالتحاق به او التدخل في شؤونها الداخلية. لها تاريخها و عقيدتها و دينها و ثقافتها الخاصة بها التي يجب احترامها. كما لها اهداف تريد تحقيقها في البيئة العالمية المتعددة الاطراف, تخدم مصالحها مع شركائها بالعدل و المساواة, و ليس بالشراكة غير المتكافئة, مما يضمن لها مكانة محترمة دوليا دون التعدي عليها و الاستهزاء بها. و تطمح الى الزيادة المعقولة في قوتها لأمنها و استقرارها و ليس للهيمنة المفرطة على العالم و خلق الصراعات. تتعامل مع كل الاطراف و الاقطاب وفق دبلوماسية و سياسة حرة و مستقلة دون تبعية للغرب, لا تريد فيها فرض ايديولوجيتها او دينها, بل احترام القوانين الدولية من طرف الجميع و ليس حسب الحاجة الغربية.

في الاخير الاختلاف في القناعات لا يعني التناقض او عدم التعايش و التعاون, لذلك يجب على الاتحاد الاوروبي التقرب من روسيا التي ما زالت تطالب بالتعاون و الشراكة ضمن نظام تعددي و تحالف اوراسي طموح (الاتحاد الاقتصادي الاوراسي) دون فوضى امريكا و ازماتها, تطالب بالتفاوض مع اوروبا لتحديد المصالح و مناطق النفوذ بينهما لتفادي التوتر. و هي قناعات اوروبية قبل ان تكون روسية لا يبادر فيها أي طرف بالسوء للأخر, كما انها اشارات واضحة تريد بها روسيا اظهار ان عجلتها ليست مندفعة, و ان دبلوماسيتها مفتوحة للحوار الاوروبي, خير من انتظار صدفة التحولات في مسار اللعبة الدولية.

لكن لعبة التحريض الامريكية التي تجول اطراف العالم دون قيود, و التي لا تتوارى عن اشعال فتيل الفتنة بين الاطراف التي تحمل مشاريع شراكة و تعاون و اندماج و تكامل في المنظومة العالمية, التي يريدها الاتحاد الاوروبي و روسيا موزعة على اقطاب تتنافس من اجل تحقيق الاحسن للعالم, اعمت الاوروبيون و جعلتهم يبتعدون عن العقلانية. او ربما ينتظرون حتى تصل الازمة عندهم الى النخاع, ليتأكدوا ان الولايات المتحدة لا يهمها الاتحاد الاوروبي بل مصالحها فقط, و ان الخاسر الاكبر في هذه المسالة هي اوروبا اكثر من اوكرانيا او روسيا

لذلك فمن الافضل للاتحاد الاوروبي تحديد الى اي مدى روسيا هي اوروبية, و تطوير رؤية استراتيجية لمكانتها في النطاق الاوروبي العام. ثم ايجاد توازن بين الاختلاف و التعاون لفصل مسارات الاشتباك مع روسيا, و الاقرار بمصالحها في اوكرانيا و في شبه جزيرة القرم, بعد تحديد هذه المصالح و ضبط وسائل الحفاظ عليها. بعدها التطلع الى المستقبل من خلال التحديد سويا لرؤية استراتيجية لمستقبل علاقات اكبر قوتين عالميتين, مندمجة في سياق دولي يتعامل مع الولايات المتحدة و الصين, بدل اعادة بعث حرب باردة جديدة في اوروبا.

الملاحق

ملحق 1: خريطة الاتحاد الاوروبي في سنة 2016 036

ملحق 2: خريطة روسيا الاتحادية 071

ملحق 3: الحدود الفاصلة بين اوروبا و روسيا 080

ملحق 4: مسار الانابيب المستقبلية لنقل الغاز بين اوروبا و روسيا..... 104

ملحق 5: بيان الاقتصاد الروسي خلال السنوات الاخيرة 134

قائمة المراجع

المراجع باللغة العربية:

الكتب:

1- حسين بوقارة, السياسة الخارجية, دراسة في عناصر التشخيص و الاتجاهات النظرية للتحليل, دار هومة, الجزائر, 2012 .

2- محمد السيد سليم, تحليل السياسة الخارجية, ط 2, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, 1998 .

3- لويد جنسن, تفسير السياسة الخارجية, ت, محمد بن احمد مفتي, محمد السيد سليم, عمادة شؤون المكتبات, جامعة الملك سعود, السعودية, 1989 .

4- جهاد عودة, النظام الدولي, نظريات و اشكاليات, ط 1, دار الهدى للنشر و التوزيع, مصر, 2005 .

5- محمد عبد الغنى سعودي, الجغرافيا السياسية المعاصرة, دراسة الجغرافية و العلاقات السياسية الدولية, مكتبة الانجلو مصرية, مصر, 2010 .

6- الاميرال بيير سيليريه, الجغرافيا السياسية و الجغرافيا الإستراتيجية, ت, احمد عبد الكريم, ط 1, الاهالي للنشر و التوزيع, دمشق, 1988 .

7- اسماعيل عبد الفتاح, محمود منصور هيبة, النظم السياسية و سياسات الاعلام, مركز الاسكندرية للكتاب, مصر, 2005 .

8- مخلد عبيد المبيضين,الاتحاد الاوروبي كظاهرة اقليمية متميزة, ط 1, الاكاديميون للنشر و التوزيع, الاردن, 2012 .

9- جون بيندر و سايمون اشروود, الاتحاد الاوروبي, مقدمة قصيرة جدا, ترجمة خالد غريب علي, مراجعة ضياء وراد, الطبعة 1, مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة, مصر 2015 .

10- ناصر زيدان, دور روسيا في الشرق الاوسط و شمال افريقيا, ط 1, الدار العربية للعلوم ناشرون, لبنان, 2013 .

الرسائل و المذكرات:

11- عبد الله حجاب, السياسة الاقليمية لإيران في اسيا الوسطى و الخليج 1979-2011, مذكرة لنيل الماجستر, جامعة الجزائر 3, علوم سياسية تخصص دراسات اسيوية, 2011-2012 .

12- معن عبد العزيز الريس, الاتحاد الاوروبي و التفاعل الدولي في ظل النظام الدولي الجديد: القيود و الفرص, مذكرة ماجستر في العلوم السياسية, جامعة الشرق الاوسط, الاردن, 2014 .

13- قريب بلال, السياسة الامنية للاتحاد الاوروبي من منظور اقطابه: التحديات و الرهانات, مذكرة ماجستر في العلوم السياسية, جامعة الحاج لخضر, باتنة, الجزائر, 2011 .

14- بلغام حنان, الاستراتيجية الامريكية تجاه روسيا, مذكرة ماستر في الدراسات الاستراتيجية, المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية, الجزائر, 2015 .

15- خديجة لعريبي, السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط بعد 11 سبتمبر 2001, مذكرة ماجستر في العلاقات الدولية و الاستراتيجية, جامعة بسكرة, 2014 .

16- نجاة مدوخ, السياسة الخارجية الروسية تجاه منطقة الشرق الاوسط في ظل التحولات الراهنة: دراسة حالة سوريا 2010-2014, مذكرة ماجستر علاقات دولية و استراتيجية, جامعة بسكرة, الجزائر, 2015.

17- شيخ حنان, السياسة الخارجية الروسية بعد الحرب الباردة, مذكرة ماستر في السياسة الخارجية, المدرسة الونية العليا للعلوم السياسية, جامعة الجزائر, 2015 .

18- بلعباس عبد الكامل, الاستراتيجية تجاه اوكرانيا, مذكرة ماستر في ادارة النزاعات الدولية, جامعة الجزائر, 2015 .

19- بركاني توفيق, التدخل الروسي في جورجيا 2008, و في اوكرانيا 2013: دراسة مقارنة, مذكرة ماستر في تحليل السياسة الخارجية, جامعة الجزائر, 2015 .

المجلات و الجرائد و المقالات:

20- احمد نوري النعيمي, البنيوية العصرية في العلاقات الدولية, مجلة العلوم السياسية, العدد 46, العراق.

21- خالد المصري, النظرية البنائية في العلاقات الدولية, مجلة جامعة دمشق, كلية العلوم السياسية, المجلد 30, العدد 2, 2014 .

22- انور محمد فرج, السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي تجاه الشرق الاوسط, اعلان برشلونة نموذجا, دراسة تحليلية, مجلة الدراسات الدولية, العدد 39, جامعة السليمانية.

23- احمد سعيد نوفل, الاتحاد الاوروبي في مطلع الالفية الثالثة: الواقع و التحديات, دراسة لجامعة اليرموك, قسم العلوم السياسية, الاردن.

24- محمد مجدان , تحديات قيام سياسة خارجية اوروبية موحدة و مؤثرة, مجلة المفكر, العدد 11, كلية الحقوق و العلوم السياسية, جامعة محمد خيضر, بسكرة, الجزائر, 2010 .

25- سمير هلال, تحديات كبرى تواجه الاتحاد الاوروبي العام القادم قد تؤجل استكمال مشروعه الاندماجي, مقالة, وكالة المغرب العربي للأنباء, المغرب, 26 ديسمبر 2015 .

26- محمد مجدان, سياسة روسيا الخارجية اليوم: البحث عن دور عالمي مؤثر, المجلة العربية للعلوم السياسية, الجزائر, 2016 .

27- مايا اوتاراشفيلي, الى اين يتجه الاقتصاد الروسي ... هل يتداعى ام يبقى صامدا ؟ مجلة العرب الدولية, نوفمبر 2016 .

28- روسيا تشهد ازدهارا في المجال الزراعي رغم العقوبات, مجلة دو فيناسيل تايمز, بريطانيا 20.04.2017 .

29- جورج فريدمان, الصعود الروسي: 10 خرائط تشرح استراتيجيات روسيا السياسية, مقال في صحيفة ن بوست, 02.02.2016 .

30- صابر ايت عبد السلام, التوجهات الكبرى للإستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة, مجلة جسور الدراسات الدولية, قسنطينة, 16.04.2012 .

31- عبد العزيز مهدي الراوي, توجهات السياسة الخارجية الروسية في مرحلة ما بعد الحرب الباردة, مجلة الدراسات الدولية, العدد 35 , 2007.

32- الغلجة هشام داوود, الاستراتيجيات الطاقوية الجديدة للقوى الكبرى, مجلة الحوار المتمدن, سياسة و علاقات دولية, العدد 5050, الجزائر, 20.01.2016 .

33- ادوارد كريستي, العقوبات بعد جزيرة القرم: هل نجحت؟ مجلة الناتو, 2015 .

34- اليكسي تيموفيتشوف, القوائم السوداء الروسية: الغرب ينتقد موسكو على ردها بالمثل, مجلة العربية, 04.07.2016 .

35- خيري حمدان, تمديد العقوبات الاوروبية ضد روسيا...الاثار و التداعيات, صحيفة العربي الجديد 04.07.2016 .

36- خيري حمدان, العجز الاستراتيجي الاوروبي في اوكرانيا و سوريا, مجلة اراء العربي, 20.16.2016 .

37- ايفان غروشكوف, حرب باردة بلا قواعد...تهدد روسيا, مقالة لصحيفة روسيا ما وراء العناوين, 17.12.2014 .

الملتقيات و الاعمال الدراسية و مراكز البحوث:

38- خالد علي لورد, فهم و تفسير السياسة الخارجية, محاضرة, الجزء الثاني، سودانيل, 23.09.2011

39- ابراهيم بولمكاحل, تطور اتجاهات المدرسة الواقعية في تحليل العلاقات الدولية و السياسة الخارجية, محاضرات في العلوم السياسية, جامعة قسنطينة, 2011 .

40- منير محمود بدوي, العلاقات الدولية, عالم واحد نظريات متعددة لستيفن والت, محاضرة بجامعة الملك سعود, قسم العلوم السياسية و العلاقات الدولية, السعودية 2009 .

41- عبد الكريم شكاكطة, محاضرات حول الجغرافيا السياسية, جامعة الجيلالي بونعامة, خميس مليانة, قسم العلوم السياسية, 2015-2016 .

42- حمدوش رياض, محاضرات في نظريات التكامل و الاندماج, المدرسة الوظيفية و الوظيفية الجديدة, جامعة قسنطينة, قسم العلوم السياسية.

43- ستيفن بلوكمانز , باحث في مركز دراسات السياسة الاوروبية, في حوار له لصحيفة واشنطن بوست.

44- اولجا اوليكر و اخرون, السياسة الخارجية الروسية في السياقين التاريخي و الحالي, تقرير تحليلي, مركز البحث راند كوربوريشن, الولايات المتحدة, 04.2014 .

45- شريف مازن اسماعيل فرج, توجهات القيادة السياسية الروسية و تطور الدور الروسي في النظام الدولي, المركز الديمقراطي العربي, قسم الدراسات و العلاقات الدولية, 29.09.2017 .

46- ذيب اسليم القراله, توجهات روسيا الخارجية من عهد يلتسن حتى ولاية بوتين الثالثة, مركز المحترفون الدولي للدراسات و الابحاث, 18.02.2017 .

47- اسماء حداد, الرهانات الروسية الطاقوية و تأثيرها على مكانتها الجيوسياسية, المركز الديمقراطي العربي, دراسات استراتيجية و سياسات الدفاع, جامعة الجزائر 3 .

48- محفوظ رسول, الامن الطاقوي الروسي بين الفرص و القيود, تحليل لأستاذ العلوم السياسية و العلاقات الدولية, جامعة الجائر 3, 2016 .

49- شيري عاطف, الاقتصاد الروسي في ضوء العقوبات الامريكية, المركز المصري للأبحاث و الدراسات الاستراتيجية, 14.08.2017 .

50- ستيفن لارابي و اخرون, روسيا و الغرب بعد الازمة الاوكرانية, دراسة عسكرية لمؤسسة راند للأبحاث كاليفورنيا, 2017 .

51- حسني عماد حسني العوضي, السياسة الخارجية الروسية تجاه الازمتين السورية و الاوكرانية, دراسات مركز بيروت لدراسات الشرق الاوسط, لبنان, 03.06.2016 .

52- ايمان ابو زيد مخيمر, مستقبل العلاقات الاوروبية الروسية في ضوء ازمة القرم, مشاريع بحثية, قسم الدراسات و العلاقات الدولية, المركز الديمقراطي العربي, نوفمبر 2014 .

المواقع الالكترونية:

53- عبادة السباع, نظريات السياسة الدولية, النظرية الليبرالية و نظرية النظام, الباحثون السوريون, سوريا, 31.03.2014 .

http://www.syr-res.com/article/1678.html

54- النظرية البنائية في العلاقات الدولية, الموسوعة الجزائرية للدراسات السياسية و الاستراتيجية, قسم علم السياسة و الفكر السياسي, 04.03.2015 .

55- نظرية الدور الاقليمي, منتديات طموحنا, 25.12.2011 .
https://www.tomohna.net/vb/showthread.php?t=10529

56- بشير النجاب, نظرية الدور و مفهومها, الحوار المتمدن, السياسة و العلاقات الدولية, 12.05.2017 .
http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=558434&r=0&cid=0&u=&i=0&q=

57- نظرية الدور في العلاقات الدولية, الموسوعة السياسية, 03.06.2017 .
نظرية-الدور-في-العلاقات-الدولية http://political-encyclopedia.org/2017/06/03/

58- منصور العمري, روسيا اكبر كارثة جيوسياسية في القرن العشرين, موقع اوريان نات, 02.03.2015 .
http://www.orient-news.net/ar/news_show/85537

59- احسان العقلة, عدد سكان روسيا, موقع موضوع, 08.02.02016 .
http://mawdoo3.com

60- هدير الأنور, كم عدد سكان روسيا, موقع المرسال, 09.09.2016 .
https://www.almrsal.com/post/382105

61- لبان عودة, ابرز 10 حقائق عن الاقتصاد الروسي ... تعرف عليها, قناة العربية, دبي, 30.05.2017 .
https://www.alarabiya.net/ar/aswaq/economy/2017/05/30/

62- سامر الياس, روسيا و اوروبا لصوغ علاقات اقتصادية مختلفة, موقع الحياة, 06.06.2016 .
http://www.alhayat.com/Articles/15933415/

63- سياسة روسيا الخارجية و لعنة الجغرافيا, صحيفة الجزيرة نات, 01.11.2015 .
http://www.aljazeera.net/news/presstour

64- لمحة عن ديميتري ميدفيديف: رئيس الاتحاد الروسي, موقع المجلة, 06.07.2009 .
http://arb.majalla.com

65- مجموعة الدول الثماني و مجموعة الدول العشرين, موقع الدبلوماسية الفرنسية, مارس 2013 .
https://www.diplomatie.gouv.fr/ar/politique-etrangere-de-la-france/diplomatie-economique/les-institutions-et-les/g8-et-g20-1431

66- مجموعة السبع عبثا تنتظر روسيا, صحيفة العربية 09.04.2017 .
https://arabic.rt.com/press/872429-g7-روسيا-إيطاليا-مجموعة-السبع-الكبرى-أزمة-لافروف

67- قمة الدول السبع الصناعية الكبرى و معضلة العلاقة مع روسيا, موقع المركز العربي للأبحاث, 18.06.2015 .
http://www.almodon.com/arabworld/

68- فريد غايرلي, مدفيديف يؤكد ثبات النظام المالي و المصرفي في روسيا, صحيفة العربية, 30.11.2017 .
https://arabic.rt.com/business/912871

69- الوضع في اوكرانيا-نذير لبلدان رابطة الدول المستقلة, الاخبار العربية, موقع سبوتنيك, 11.05.2014 .
https://arabic.sputniknews.com/arabic.ruvr.ru/2014_05_11/272239207

70- اوروبا غير مستعدة لإعادة اعمار سوريا, اخبار العربي, موقع سبوتنيك, 10.10.2017 .
https://arabic.sputniknews.com/world/201710101026672995

المراجع باللغة الاجنبية

Livres

71- Federica Bindi, and Irina Angelescu, The Foreign Policy of the European Union, Assessing Europ's Role in The Wold, 2 edition, the brookings institution, washington, 2012 .

Revues, journaux, articles, études analytique

72- Alexandra Lesur ; Sécurité et lutte contre le terrorisme en Europe, article de presse, toute l'Europe, Europe, 07.09.2017 .

73- Anthony faiola, and Michael bimbaum, British exit from the E.U. sets up a European crisis of diminished power, the washington post, 24.06.2016 .

74- Maxime Lefebvre, La politique étrangère européenne : quel bilan ? La revue géopolitique, vincennes, France, 02.06.2016 .

75- Moskovskie Novosti, La Russie et L'évolution du monde, article de vladimir poutine sur la politique étrangère, 27.02.2012 .

76- Fabrice Nodé-Langlois, G7 : la Russie exclue du club des puissants après l'annexion de la Crimée, le figaro, 25.03.2014 .

77- Pascale Joannin. La Russie et L'occident : dix contentieux et une escalade inévitable ? fondation robert schuman, question d'Europe, n° 379, l'élargissement de l'OTAN, 25.01.2016

78- Pierre-Emanuel Thomann, Les relations entre l'Union Européenne et la Russie : une autre voie est nécessaire depuis l'élection de Donald tramp. Eurocontinent, 20.01.2017 .

79- Quel avenir pour les relations entre l'U E et la Russie ? Article. Toute l'Europe, 18.06.2015 .

Séminaires

80- Jaques sapir, les relations entre L'UE et la Russie, conférence au centre MGIMO Moscou, 21.04.2016 .

82- Daniel Blinder, En l'absence de la Russie et de la Chine, le G 7 n'est plus d'actualité, entretien avec sputnik international, 30.05.2017 .

Sites électroniques

83- WIKIPEDIA, **Union Européenne**, https://fr.wikipedia.org/wiki/Union_europ%C3%A9enne

الفهرس

الشكر

الاهداء

الملخص

مقدمة ..... أ

فصل تمهيدي: الاطار المفاهيمي و النظري للسياسة الخارجية 010

المبحث الاول: مفهوم السياسة الخارجية 010

المطلب الاول: تعريف السياسة الخارجية 010

المطلب الثاني: وسائل السياسة الخارجية 013

المطلب الثالث: محددات الساسة الخارجية 015

المبحث الثاني: النظريات في تحليل السياسة الخارجية 018

الطلب الاول: النظرية الواقعية 019

المطلب الثاني: النظرية الليبرالية 022

المطلب الثالث: النظرية البنائية 023

المبحث الثالث: المقاربات التفسيرية في السياسة الخارجية 026

المطلب الاول: المقاربة الجيوسياسية 027

المطلب الثاني: مقاربة الدور و الدور الاقليمي 030

المطلب الثالث: المقاربة الوظيفية 032

الفصل الاول: معالم السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي 037

المبحث الاول: بيانات تعريف الاتحاد الاوروبي 037

المطلب الاول: مراحل تشكيل الاتحاد الاوروبي 037

المطلب الثاني: التنظيم المؤسساتي للسياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي 040

المطلب الثالث: عناصر يختص بها الاتحاد الاوروبي كفاعل دولي 043

المبحث الثاني: محاور السياسة الخارجية للاتحاد الاوروبي..... 047

المطلب الاول: السياسة الخارجية المشتركة للاتحاد الاوروبي 047

المطلب الثاني: السياسة الخارجية الامنية المشتركة للاتحاد الاوروبي 051

المطلب الثالث: السياسة الخارجية الاقتصادية الموحدة للاتحاد الاوروبي 054

المبحث الثالث: لبعد العالمي للاتحاد الاوروبي 057

المطلب الاول: التهديدات والتحديات الدولية التي تواجه الاتحاد الاوروبي 058

المطلب الثاني: حصيلة اشغال الاتحاد الاوروبي و دوره في العالم 061

المطلب الثالث: ترسيخ الاتحاد الاوروبي لنظام عالمي تعددي جديد 066

خلاصة الفصل 070

الفصل الثاني: صورة روسيا الاتحادية بالنسبة للاتحاد الاوروبي 071

المبحث الاول: محددات شأن روسيا الاتحادية بالنسبة للاتحاد الاوروبي 072

المطلب الاول: الجوار الجغرافي لروسيا الاتحادية مع الاتحاد الاوروبي 073

المطلب الثاني: اقتصاد روسيا الاتحادية و تكامليته مع اقتصاد الاتحاد الاوروبي 076

المطلب الثالث: جيوسياسية روسيا الاتحادية و اثارها على علاقاتها مع الاتحاد الاوروبي 079

المبحث الثاني: صناعة القرار في السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية 083

المطلب الاول: البيئة العامة لصناعة القرار في سياسة روسيا الاتحادية 084

المطلب الثاني: تأثير شخصية الرئيس فلاديمير بوتين على التوجه السياسي لروسيا 087

المطلب الثالث: تكامل شخصية و سياسة الرئيس ديميتري ميدفيديف للرئيس فلاديمير بوتين..... 089

المبحث الثالث: منطلقات السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية من منظور الاتحاد الاوروبي 090

المطلب الاول: نقاط قوة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية التي تضعف الاتحاد الاوروبي 090

المطلب الثاني: فلسفة السياسة الخارجية لروسيا الاتحادية في مفهوم الاتحاد الاوروبي 094

المطلب الثالث: معايير نظام العلاقات بين روسيا الاتحادية و الاتحاد الاوروبي 098

خلاصة الفصل 102

الفصل الثالث: المسيرة المعقدة لعلاقات الاتحاد الاوروبي مع روسيا الفدرالية 103

المبحث الاول: مآلات العلاقات الاقتصادية بين الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية 105

المطلب الاول: امن الطاقة و الاعتماد المتبادل غير المتكافئ 105

المطلب الثاني: مجموعة الثمانية او السبعة للدول الصناعية الكبرى 109

المطلب الثالث: الطبيعة المزدوجة لعقوبات الاتحاد الاوروبي على روسيا الاتحادية 112

المبحث الثاني: مؤشرات التوتر العسكري في علاقات الاتحاد الاوروبي و روسيا الاتحادية 116

المطلب الاول: جولات التوسيع لحلف شمال الاطلسي 117

المطلب الثاني: اشكالية مجموعة الدول المستقلة (حالة جورجيا و اوكرانيا) 120

المطلب الثالث: تباين المواقف و النجاحات في الازمة السورية 126

المبحث الثالث: مشوار علاقات الاتحاد الاوروبي و روسيا على مفترق الطرق 130

المطلب الاول: استدراك الوقت الضائع و خلق قطب منافس لأمريكا 130

المطلب الثاني: تغييرات في المراوغة ضمن مباريات باردة 132

المطلب الثالث: الفراق بالتراضي و الدروس المحصلة 135

خلاصة الفصل 137

الخاتمة 138

الملاحق 143

قائمة المراجع 144